
نصيف الناصري
الخشية من ارتكاب الإثم
بغداد - عمّان - مالمو
السيرة الثانية
2016

نصيف الناصري

الخشية مِن ارتكاب الإثم.

بغداد. عمّان. مالمو.

"السيرة الثانية"

اسم الكتاب : الخشية مِن ارتكاب الإثم.
اسم المؤلف : نصيف الناصري
تصميم الغلاف

الطبعة الأولى : 2016
الناشر : دار مخطوطات

Makhtootat press and publishing house
Mauvelaan 67
SW Rijswijk 2282
The Netherlands
Tel : 0031610119235
0031620778642
e-mail: makhtootat1@gmail.com

الخشية مِن ارتكاب الإثم.

رأيْتُ نَهر الفرات في الحلم
في جريانه البطيء ما
بَين مُنْخفضات متآكلة
ووقفات عَريضة في فجوات
من الرمل، مزدانة بنسيج
مِن عَناكب الشَجَر.
ماذا رأيْتَ أنتَ خلال
ثلاثين سنة أو "مئة"؟

مونتالي

يحدث في منتصف الحياة أن يأتي الموت
ليأخذ مقاساتنا. هذه الزيارة تُنسى
وتستمر الحياة. لكن الثوب
يُخاط بلا علمٍ منّا.

توماس ترانستومر

الفصل الأوّل.

عليّ أن أتحمّل هذا الأمر.

(1)

ولدتُ سَنَة 1960. يعني انّني لَم أكُن موجوداً بالعالم في السَنَة التي سَبَقتْها. تَزَوَّجَ أبي وَأُمّي فأنْجَباني وَفُرِضَ عليَّ أنْ أحْيا حياتي مِثْل البّشر. ايشْ صَنَعتُ في حياتي الفَقيرة؟ عَمَلتُ مَعَ أبي بعمر ال 10 سَنَوات في مدينة "الكاظمية" 5 سَنوات. سَنَة 1975 وعمري 15 سَنَة ذَهَبْتُ الى مدرسة "الجبل الأخضر"بمدينة "الثورة" وَسَجَّلْتُ اسمي للدراسة في مركز محو الأمّية وتعليم الكبار. درستُ 6 شهور وتمَّ منْحي شهادة "يقرأ ويكتب".صَلَّيْتُ الى الله الواحد الأحد خالق العالم والبشرية كُلّها 5 سَنوات مِن سَنة 1975 الى سَنَة 1980 في مساجد الشيعة والسُنّة ببغداد وَزرْتُ أضرحة الأولياء والكنائس وقرأتُ كُلّ الكتب المُقدَّسة بحثاً عَن الله. سَنَة 1980 اكتَشَفْتُ الشعر واكتشفتُ فيه خلاصي فتركتُ الصلاة ورحتُ أبحثُ عَن الله في الشعر. الكارثة أن العالم الذي تعيش فيه الشعوب الآن أكثر مِن 7 مليارات ونصف. الدين فيه مؤسسة ولَها أنظمتها وقوانينها العنصرية التي تقتل الآخر. الله هوَ الضمير ووردة في قلب

الانسان وهوَ الاحترام للقانون الذي لا يؤذي الناس. عموماً، الله في قلبي. شَربتُ العرق والبيرة منذ سَنَة 1980 والآن إذا أصفّ قوارير العرق وعلب البيرة التي شَرِبتها في حياتي، تصل مِن بغداد الى الاكوادور وبشرفي ولا مَرَّة سَرقتُ درهماً مِن الدولة أو سَبّبتُ أذيّة الى انسان ما. النساء اللواتي أحْبَبْتهنَّ ما قطَعْتُ علاقتي بِهُنَّ. لازم أموت. أنجزتُ ونشرتُ 37 عَمَلاً شعرياً وسيرة مُسخَمة عن الحرب والآن أواصل كتابة سيرة ثانية وأكتب مجموعة جديدة وأعدّ مختارات مِن الشعر العربي القديم غير الرسمي . إذا جاء الموت فمرحباً بهِ. مَرَّةً قالَ لي صَديق:" شوف نصيف، أنتَ انسان زينْ لازم تَتَزوَّج حَتَّى تُخلّف الوَلد الذي يحمل اسمك بَعدَ موتك" فأجبته" قابل آني هتلر. بيتهوفن. عبد الكريم قاسم حَتَّى أخلّف ويحمل ابني اسمي؟" قال لي:" لَكْ، لا، هؤلاء ولا واحد فيهم تَزَوَّج وَخلَّفَ" .

(2)

ملل من كلّ شيء. شوق جيّاش الى صيف عام 1989. ذكرى جلسة شراب في حانة قرب قناة الجيش ببغداد. لا الأغنية لا الفيلم لا الكتاب يعيد التوازن النفسي. ما العمل الآن؟ الكتابة. نعم الكتابة هي البلسم الشافي لسأم الانسان في عالمنا الذي الذي يستلبنا في كل حين. أخرج للنزهة المعتادة، أجمّع شظايا الماضي والصور أثناء المشي الطويل وأعود الى البيت. التواصل الدائم مع الكتابة أستمده من القراءات الماضية والراهنة، ومن الذكريات ومن حياتي الذي عشته في قلب الكارثة. كلّ تواصل مع الطتابة يمنحنا القدرة على فعل التذكّر وعلى كيفية الإمساك بقوة على العناصر السرية للوجود. أن تواصل الكتابة دائماً عبر اخلاصك لها وتكرس لها حياة كاملة، تستطيع أن تحول الجماد والأشياء الراكدة الى نبضات تسمع من بعيد. لا معنى لحياتك اذا حاولت أن تشغلها بترهات الواقع اليومي وفظاعاته. شعرية التأليف معناها أن تكون مليئاً على الدوام بهواجس الكتابة وعذاباتها. تصبح الأساليب والصور والموضوعات أكثر سهولة في سيلانها

على الورق، من خلال الذهن المليء بالقلق والتوتر، ومن خلال الذاكرة. هل نحتاج الى ذاكرة شاغرة؟ شعرية التأليف عدوة للعادة والمألوف. في كل سطر جديد تتوسع الآفاق المتعددة للكتابة بشرط الحفاظ على المغايرة والجدّة والطرافة. فعل التذكر هنا ضروري جداً، كذلك التخيّل. كل كتابة تنأى عن التذكر والتخيّل تصبح عادة فجّة. نطلب من الشعر نار المحبّة ومساعدتنا على الخلاص من الأشياء التي تعرقل سيرنا في الليل الطويل للعالم .

(3)

طُرِحَت البَشَرية منذ الأزل في قبر ضخم
وعُوملت بازدراء. حظائر الغنم وزرائب
الخنازير، لا يَتَوجَّس مِنها الله الخوف على
التّبن الذي ألقاه في العابر والشائن. الشَرع
والمواثيق والطبيعة، تَخلو مِن المشابهات
والإلهي يَبتعد وَتَتَحلَّل عَناصره ولا تعويض
لِمَن تُركوا يعانون الضنك في البَرَّيِّة. الشرّ
المتلألىء في فجر العالم، لَم يُطهِّر الفاني
مِن إثمه وَلَم يسعفه في إشارة يجتاز بها
المُخيف والزِّبد الكبير لهلع الزَوال. كيلا
يساور الذين ينتظرون نضوج الثمرة الشكّ،
عَليهم أن يقذفوا ذواتهم بتَوقر في الهاوية ولا
يَنتظرون وعد الرضاعة مِن النسيم الأسود.

(4)

غائصاً الى العنق في الخسارة، أستعيد معاطف قاسية مِن الماضي. الأيَّام معاطف مغطَّاة بالفزع. الرجال العجائز استجابوا لنداء الثمار المتعفّنة وتذلّلوا لكلّ شيء يركبهم. الرجوع الى البيت بَعد ساعات العَمل المملَّة ووضع الأصفاد في اليدين، لا ينقذ الهالك مِن اجتياز الممشى الضيّق لحياته. أخبرت الذين أرادوا رؤية الندبة في وجودي، انني تحمَّلت الضيم وثقبت الباب المظلم للزَمن ولَم أعثر على اللحاف في الشَجَرة. الأفق شاحب وتتوارى خلفه حجارة القبور.

(5)

أُصيْب قضيْب شُويْعر أكاديْمي
بالشَلَل وَكان الاعتقاد لَدَيْنا انَّهُ
فقد المُخَصِّب الى الأبد،
لكنّه كانَ رَقيْعاً. تَفَرَّسَ في
وجوه المَوْتى وَنَسَبَ الى نَفْسه
القُدرَة على الشفاء مِن
العنّة وَمَصَّهُ وأدْخَلَهُ
في طيْزه. طَريْقة وَرَثها مِن
الزُمْرة التي سبَقَتْه في
مَديْح الجَلاَّدين. البَعض رأى
في نَيْكه لنَفْسه
مُمارسة شِعْرية
تُكْسبهُ التَوْقير اللازم طوال
حَياته، لكنَّ مَنِيَّته وافَتَهُ حيْن
انفَجَرَت ضَرْطَته المَطْمورة

(6)

أعلم منذ دّهْر طويل ان الشاعر الذي يخضع الى تَرْبية
المُعلِّم والمُدرِّس بالجامعة والعائلة. إذا كانَ خانعاً،
لا يصير شاعراً حقيقياً.
التمرّد. التمرّد. هو المطلوب.
أغْلَب أساتذة الشِعر العربي منذ 100 سَنة مطايا
ويجب الخراء عليهم وعلى إنجازاتهم.
لازم يَبْدأ الشاعر مِن الشَخْبَطة والخَراميش
لحين الوصول الى الهدف.
الموهبة. أكذوبة. ماكو موهبة في الشِعر.
أكو تجارب وخبرات ومران ودرْبة وقراءات
دائمة. ماكو الآن شاعر مِن الستّينيّات
يقرأ. خَدَعونا ووصَلَتْ لَنا مِنهم
إيْصالات بخدْعة ".

(7)

طَبْعاً ماكو حُبّ في شِعرنا العراقي
منذ بداية القرن الماضي الى نهايَته
والى الآن، إلاّ الشيء القليل.
الشاعر أول ما يَتوظَّف أو
ينهي دراسته أو قبلها. يتزوَّج فَتاة
يكون قدْ أعْجب بها، أو يجبره الأبّ
حَسَب التَقاليد العشائرية على الزَواج.
بَعْدَ 20 سَنَة يكون قدْ تَورَّط ب
جوقة أولاد.

معيشتهم وتأمين مستقبلهم. دراستهم.
تزْويجهم. تأمين البيوت لَهُم.

ماكو شاعر كَتَبَ
الكَثير في الحُبِّ.

البَعض ضَرَبَ جلقْ
واعتَقَدَ انّهُ كَتَبَ عَن
الغَرام.

(8)

الشَفيعة في المطبخ تنْسج قبَّعة لي. قرُبَ الشتاء.
آني أريد أن أشْرب وهيَ لا تقبل. اختَرَعْت حيلة

***آنَّا، راح أسْلق الباقلاء حَتَّى الصبح قبلَ ذهابك الى العَمل**
نأكل تشريب الباقلاء بالبيض والدهن الحُرّ وأريد أن أسمع أغاني
عراقية. مِن فضلك انتقلي الى الصالة.

- اوكي، ناسيف.

بقيت أسْلقُ الباقلاء
وأخْبط الفودكا بالبيرة
وباب المطبخ مغلق.

عاشَت الصعلَكات.

(9)

على مدى 35 سنة ضَرَبْتُ في بغداد

وعمّان ومالمو، على الراقصات
اللاتي يظْهرنَ خَلفَ فريد الأَطرش في أغنيته
"يا حبايبي يا غايبين، وحشيني يا غاليين"،
أكثر مِن رُبع جلّكان جلقْ. قلقتُ جداً واعتقدت
أن ايْري سيكون بنحافة الماصول.

(10)

مولانا الشاعر الصوفي الكبير عبد الرحمن الجامي ،كتب قصته الشعرية "يوسف وزليخا" برؤيا عرفانية وجعل أحلام يوسف في صباه وأحلام زليخا بيوسف في شبابها من أجمل الرؤى في القصة. يتزوّج يوسف زليخا ويموت قبلها وتلحق به بعد ذلك وهي تحبه .
تقول له:

يا يوسف
يا تحفة العطاء الإلهي
أيّ خالق وهبكَ هذا الجمال الكامل؟
أيّ مبدع جعل جبينكَ وضاء كالشمس؟

(11)

شروط حياة الحيوان.

الأمان
المأوى
الجنس

الطعام.

أغلب هذه الشروط غير متوفرة للانسان العربي
الجائع
والخائف.

(12)

يا مطايا الوطن العربي اتحدوا.
وَطنٌ حرٌّ
وشعبٌ في السويد.
2 بالمية مِن العراقيين
الشعب السويدي.

(13)

في سَنَوات الثّمانينيّات مِن القرن الماضي بالعراق،
عرفتُ الكثير مِن الناس الذين يعاقرون الخمرة،
لا يعرفون المقاييس والأوزان.
البَعض لا يشرب عَرَق "أبو نؤاس" وَيُسمّيه عَرق "هِبْهِب"
يعني انّه مصنوع في البيوت بمنطقة "هبْهب" وربما مغشوش،
ويفوته انَّه 70 فوليم. بقية الخمور بالعراق 50 فوليم.
في اوروبا العرق 37 أو 38 فوليم عَدا نوع مِن العرق الفرنسي
أخضر اللون 45 فوليم.
البعض لا يشرب البيرة ماركة "شهرزاد" ويُفضّل البيرة الشهيرة
ماركة "فريدة". شهرزاد ثقيلة 7 فوليم وفريدة 5 فوليم.
بيرة "أمسْتل" الهولندية" 5 فوليم والبيرة الالمانية "هَنْجر" 7

فوليم. يحدث أحياناً أنْ يشرب الشاعر في نادي اتحاد الأدباء
3 أرباع القنينة مِن العرق "الزحلاوي" وَمِن ثم يغادر الى بيته
يسقطُ أرضاً أو يتعرَّض الى حادث ما.
يقولون عَنه:" ما بيهْ شيْ. تَعرَّضَ الى الهَواء وسقط"
ولا يعرفون ان الذي يَشْرب هذه الكمّية. لازم يسقط
على الأرض.

خَطيّة ضَرَبَهُ الهَوا
مِن طلع مِن الاتحاد
ووقعَ على الأرض.

(14)

أجْمَل شي في حَياتي
أنا نصيف الصعْلوك
لَم أساهم
بتدمير العراق
ولا تَورَّطتُ
بجَرّ المدافع
الأمريكية في قصفه
ولا صرتُ معَ هذه
الطائفة أو تلك
وهذهِ مَزية
الصعلَكَة.
يَصْطَفّ الغَجَر في
يَوم القيامة الى
جانب الصعلوك
جان دمو.

(15)

طوال أكثر مِن 500 سَنَة مضت دَرَّس الحمقى أساتذة الشعر بالعالم العربي، في "حلقات العلم" المزعومة والمعاهد والجامعات. الشعر للذين هُم أكثر حمقاً منهم "الشُعَراء الزَبَلّعيَّة" الذين كانوا يخفون ما تُسمّيه العامَّة "عوراتهم" تحت أردية الدين والقبيلة والأخلاق. النتيجة الآن بعد هذا الدهر الطويل، لا أحمد شوقي. لا الرصافي. لا جبران. لا بدوي الجبل. أدونيس. السيّاب. البيّاتي. سعدي. درويش. نزار قبّاني الخ. لَهُم في دواوينهم ايور واطياز والنساء لَهُنَّ فروج .

ثقافة مُنْحطَّة
وَتُغلِّف الجنس
بالمقدَّس
والعشائري
والأخلاق الزفت
للمجْتَمع الذي
لا يَتورَّع فيه الفرد
عَن القتل مِن أجل
قشرة بَصَل.

*

وَما تَذكَّرْتُ ذاكَ النَّيْكَ مِن شَبَقٍ
إلاّ وَأمْسِكُ أيْري ثُمَّ أَصْلِجْهُ.

ينسب الى أبي نؤاس

*

كانَ أيْراً صارَ سَيْراً
يَلْطُمُ الأكْساسَ سَخْرَه

كَيْفَ لا يَنْفِرُ عَنِّي
وَمَعي شِيْبٌ وَدْرَه.*

السراج الورّاق

الشِّب: بالكسر، السَّوْط.*

*

أنا شَيْخٌ وامْرَأتي عَجُوزٌ
تُطالِبُني بأَمْرٍ لا يَجُوزُ
تُرِيدُ جَماعَها في كُلِّ يَوْمٍ
وَذلِكَ عِنْدَ أمْثالي عَزيزُ
وَقالَت رَقَّ أيْركَ مذ كبرنا
فَقُلْتُ لَها: بَل اتَّسَعَ القفيزُ. *

عجوز أعرابي.

*القَفِيزُ من الأرض : قَدْرُ مائةٍ وأربعٍ وأربعين ذراعًا.

*

إنَّ عِرْسي لا هَداها اللهُ بِنْتُ لَرَباحِ
كُلَّ يَوْمٍ تُفْزِعُ الجلاّسَ مِنها بالصِّياحِ
وَرَبُوخٌ حيْنَ تُؤتى وَتُهَيا للنِّكاحِ*
عَجَّلَ الله خَلاصي مِنْ يَدَيْها وَسَراحي.

عمَّار بن ذي كبار.

*الربوخ. المرأة يغشى عليها عند الجماع.

*

هيَ الجَمْرُ حرّاً إنْ أردْت حَرارَةً
وأضْيَقُ مِن سُمِّ الخِياطِ مضيقُها
وَأيْبَسُ مِن صُم الحادِلِ مَهْبَلاً
وألْيَنُ مِن خَزٍّ العراقِ قليقُها
وَأظْهَرُ مَنْ يمشي على الأرضِ غلْمةً
وَأعْذبهُم ريقاً إذا مُصَّ ريقُها.

رجل ينادي على جارية له يريد بيعها.

(16)

استقبلني في مطار مدينة مالمو أحد الموظّفين بكومون هورْبي، عَربي مِن لبنان ويقيم في السويد منذ سنوات طويلة. كان ذلك في يوم 7 / 4 / 1998 وكنتُ قد جئتُ مِن عمّان على الخطوط الهولندية. هبطنا أولاً في امستردام وبعد ساعة أقلّتنا طائرة صغيرة الى مالمو. كُنتُ أتوقَّعُ انني سأقيم في مالمو لكنَّ الموظف أخبرني أن مكان اقامتي سيكون في هورْبي وهي مدينة صغيرة تبعد عَن مالمو أقلَّ مِن ساعة. " طالما انَّكَ لا أخ ولا أقارب لكَ فلازم تُقيم في مدينة أخرى غير مالمو". قال لي. مِن حسن حظّي أن هذا الشخص يتحدَّث العربية وعلمتُ مِنه أن أبوه الذي يُقيم في هوربي هو شاعر. أوصلني في سيارته الى المدينة الصغيرة وسلَّمني شقة جاهزة ومن ثم أعطاني مبلغاً مِن المال ودلَّني على السوبر ماركت ومكتب البريد ومكان الهاتف والخ. قالَ انه سيأتي يوم غد لإجراء بعض الأشياء التي تتعلّق باقامتي ووجودي في السويد. المدينة جميلة جداً لكنها بدت لي مدينة أشباح. لا بشر في الشوارع ولا في المقاهي. تجوَّلْتُ طويلاً بينَ أبنيتها وطرقها ولم يصادفني أيّ أحد. في اليوم التالي أخبرني أن المواطن السويدي بعد العمل يُفضّل المكوث في بيته دائماً وفي العطلة يذهَبُ يوم

السَبت الى البار أو المرقص، أمّا في يوم الأحد فيبقى في البيت حيث يغسل الملابس ويطبخ وجبة ساخنة. ماذا أفعل الآن أنا الذي أمضيتُ مِن حياتي ببغداد 34 سَنَة في الشوارع والبارات والمقاهي والتجمّعات، وفي العاصمة الأردنية 4 سَنوات أعيشُ في الشارع والمقهى والبار وأقيمُ في غرفة تضمّ 4 شُعراء وأحياناً 6 مَعَ كارثة عَدَم وجود البَشَر في هورْبي؟ ذهبنا الى مكتب الكومون الرئيسي وقدَّمني الى بعض الموظفين وحين رأى التململ في وجهي قال لي: "يقيمُ هنا الكثير مِن الأجانب. مِن البوسنة. البرتغال. صربيا. البرازيل. ناميبيا الخ. ماكو عرب سوى سيدة مِن العراق تنتظر انهاء مرحلة الدراسة الأولية وتنتقل الى مدينة لوند حيث أقاربها". طَلبتُ منهُ أن يعينني على الانتقال الى مالمو فقال:"الأمر ليس صعباً لكن اسمعني جيداً. حاول البقاء هنا وبعد دراستك للغة فربما تنهيها بستة شهور. بعدها أجد لكَ وظيفة وستشتري سيارة. الاقامة في مالمو مِن دون أن تكون قد درست اللغة متعبة وربما تُدمّر مستقبلكَ". ركبتُ القطار ومعي ورقة مكتوبة فيها بعض الكلمات والأرقام طلبتها منه وغادرتُ الى مالمو التي تضمّ الكثير مِن العراقيين والعرب. هالتني في محطة القطار الرئيسية كثرة الأجناس والأشكال والألوان. تمشَّيتُ كثيراً وحين شَعرتُ بالجوع دخلتُ مطعماً وطلبتُ الطعام بالإشارة. ليس لدي أيّ عنوان لصديق في مالمو. بعد أن تجاوزتُ محطة القطار بمسافة شاهدت لوحة "المركز الثقافي العربي" . هذا المركز كان يصدر مجلة تصلنا الى عمّان. صعدتُ الدرج وتعرَّفت الى المسؤول عَنه. أخذني الى بيته وأولم وليمة عظيمة. في المساء بعد أن أخذتُ منه عنوان الجمعية الثقافية العراقية، التقيتُ هناك صديقي القديم الكاتب جنان جاسم حلاوي وهوَ رئيس الجمعية. لم التقِ جنان منذ 18 سَنَة وكانت ليلة مليئة بالشجون والذكريات.

(17)

لا توجد في المكتبة المركزية لمدينة مالمو الكثير مِن الكتب العربية وأكثر ما فيها كُتب الطبخ والروايات والقليل مِن دواوين الشعر العربي القديم. الأمر نفسه ينطبقُ على مكتبة "روسنغورد" المنطقة التي يسكنها الكثير مِن المهاجرين. كُنتُ قد جلبتُ معي مِن عمّان حقيبة كبيرة ملأى بالكتب. أكثر مِن 50 كيلو غرام واضطررتُ أن أدفع الغرامة على الوزن الزائد. لم تكن في الحقيبة أيَّة ملابس أو أغراض أخرى. كتب فقط. أنا رجلٌ أقرأ طوال حياتي واليوم الذي لا أقرأ فيه، تصيبني الحُمّى. كُنتُ أذهب الى المكتبة وأستعير الكثير مِن الكتب حتى التافهة منها. قرأت أغلب ما موجود في مكتبتي مالمو الرئيسية وروسِنْغورد. طبعاً قبل 17 سَنَة لم يكن للانترنت ذلك الانتشار الواسع ولم تكن الكتب العربية قد تم رفعها عبر البرامج المُتعدّدة لرفع وخزن الكتب. بالنسبة للصحف العربية فتصل الى مدينة مالمو بس "القدس العربي" و " الشرق الأوسط" ويمكن للمرء أن يحصل عليهما لدى كشك في سوق روسنغورد أو في محطة قطار مالمو. تَصَل مِن كُلّ صحيفة نسختين. أحصل أحياناً مِن صديق مُنتسب للحزب الشيوعي العراقي على مجلة "الثقافة الجديدة" التي توزّع على الشيوعيين بالاشتراك. عام 2004 اشتريت كومبيوتر عتيق بسعر مناسب وبدأت أشتري "دسكات" وأذهب الى بيت أكثر مِن صديق لهُم اشتراك في الانترنت وأملأها بالمقالات والقصص والقصائد التي تنشر في المواقع المختلفة. أعود الى بيتي وأظلّ أقرأ الليل والنَهار.

(18)

الليل في شتاء السويد طويل جدّاً ويبدأ مِن الساعة الرابعة عصراً الى الساعة الثامنة صباحاً والشوارع مليئة بالثلج. يعني 16 ساعة. في مالمو يعيش الكثير مِن العراقيين والعَرب لكنّي لا التقيهم ولا

أعرفهم. بَعد العودة مِن المدرسة حيث التعليم الإجباري للغة، أعودج الى البيت وأغلق الباب وأباشر القراءة. أطبخ. أسمع الموسيقى.أكتب. كُنتُ أكتب وأضع القصائد في مظروف وأرسلها الى الصحف في البريد. مرَّات قليلة أشاهد التلفزيون. أمضيتُ سَنوات طويلة أشتري أشرطة الكاسيت مِن مخزن بسوق "روسنغورد" وتكوَّنت لدي بمرور الوقت مكتبة موسيقية ضمَّت ما يقارب 5 آلاف شريط كاسيت. أشتري 4 أشرطة مثلاً ب 100 كروناً وأشتري كيلو بطاطا وربطة خبز ب 20 كرون. طبعاً هذا قبل الانترنت وظهور اليوتيوب .

(19)

سَنَة 2002 جاء لزيارتي صديقي الشاعر كمال سبتي يرحمه الله مِن هولندا وظلَّ عندي 17 يوماً. كمال الذي تَعلَّمتُ منه أشياء كثيرة قال لي: "نصيف، أريد بعض الكتب منكَ" وكان يودّ أن يحصل على الأصمعيات والمفضليات وجمهرة أشعار العَرب وبعض كتب أبو حيان التوحيدي وأعمال السيّاب والبياتي وأدونيس. قلتُ لهُ:"هذه مصادري ولا أستطيع أن أعطيكَ أيّ منها" صرخَ في وجهي وقالَ:"أنت تكتب قصيدة النثر، ايشْ مصادرك؟". بَخلتُ على كمال ولم أعطه أيّ كتاب لكنّي في زيارتي لهُ بعد عام وكانَ معي الصديق الشاعر ناصر مؤنس. حملتُ لهُ بناء على طلبه كُلّ أغاني أم كلثوم 135 شريط كاسيت وحملَ ناصر 5 لترات مِن النبيذ الفاخر.

(20)

أمضيتُ في مدينة "هورْبي" فترة قليلة جداً ومنحوني القرض الذي أشتري فيه اثاث البيت، لكنّي حاولتُ الانتقال الى مدينة

"مالمو" وكان النظام السائد هوَ انني مِن الممكن أن أنتقل الى أيَّة مدينة أخرى اذا أستطعتُ استئجار البيت. البلدية في حال انتقالي تدفع لي مبلغ إيجار البيت والطعام لمدة شهر والشهر الذي يليه لا يدفعون. عليَّ أن أتحمَّل هذا الأمر. بمعونة بعض الأصدقاء استأجرتُ بيتاً ولم أشتَر الاثاث. أنفقتُ كُلّ القرض 20 الف كرون على الشَراب ما عدى ثمن التلفزيون والمُسجّل. بقيتُ فترة طويلة لا شيء في بيتي سوى تلفزيون مستعمل وسرير مكركع حصلتُ عليه مِن شخص وبطانية جديدة وبعض الأواني. كُنتُ أذهبُ كلّ ليلة الى الجمعية الثقافية العراقية والتقي بعض الذين أعرفهم ونبدأ الشراب في الساعة السادسة مساء وأعود الى البيت في آخر الليل.

(21)

سَنَة 2013 وصلتني رسالة مِن مسؤولتي في مكتب العَمل تخبرني فيها انَّني لازم أباشر التدرّب على العَمل في "السام هال" بدوام كامل ومِن دون راتب لمدَّة سَنَة كاملة. غسيل ملابس الناس كبار السنّ. يبدأ العَمل في الساعة السابعة صباحاً وينتهي في الساعة الرابعة بعد الظهر. كُنتُ كُلّ يوم أنام مُبكّراً وأصحو في الساعة الخامسة صباحاً. أحلق ذقني وأعمل الفطور والقهوة والطعام الذي آخذهُ معي الى العمل ومِن ثمَّ أصعد في الساعة السادسة 3 باصات توصلني الى مكان العَمَل. بعد أن أنهي عَملي أعود الى البيت وأبدأ على الفور الكتابة قَبل أن أنزع عنّي ملابس العَمل. كُنتُ أكتب في اليوم 5 قصائد أو أكثر. أكتبُ أحياناً قبل الذهاب الى العمل وبعده

(22)

مَعي الكثير مِن الأجانب القادمين الى السويد حديثاً. عرب وأفارقة وَمِن البوسنة وصربيا والبانيا وبولونيا وبلغاريا واليونان والبرازيل وبوليفيا الخ. المُدرّسة سويدية وَنحنُ لا نَعرف أيّ شيء

عَن اللغة التي نحاول دراستها. دَرَسْتُ أكثر مِن 6 شهور وتعلّمتُ القليل وَكُنتُ أعاني صعوبة شديدة في الكلام معَ الآخرين. مرَّات كثيرة أعرف ماذا يقول لي الذي يتحدَّث مَعي، لكنّي لا أملك الكلمات المناسبة التي تسعفني في الإجابة. اقترحت مُدرّستي اليزابيث عليَّ وعلى آخرين أن نذهب الى أمكنة عمل السويدين للتعلّم منهم، وقالت أن المرء يتعلّم في المدرسة القواعد والكتابة، أمّا الكلام فمن الممكن تَعلّمه بطريقة سريعة مِن خلال الاحتكاك بالسويديين. اخترتُ "البراكْتيك" 3 أسابيع في مكتبة "لينْدينكَن" القريبة مِن منطقة سكني. كُلّ يوم 4 ساعات أعملُ معَ الموظفين ونتحدَّث السويدية. في اليوم الأول. الثالث. الأسبوع الثاني كُنتُ أفهم ما يُطلب منّي وأقوم بالواجب لكنّني كُنتُ قليل الكلام. مِن أجل مساعدتي راحت مسؤولة المكتبة تحاول أن تُشجّعني على الاسترسال في الكلام وقالت: "نصيف، لماذا أغلب الأجانب ينصبون صحون الستلايت ويتابعون قنوات التلفزيون في بلادهم؟" طبعاً فهمتُ ماذا قالت لكنّي عانيتُ صعوبة في الإجابة على سؤالها. في نهاية الاسبوع الثاني بدأت العُقدة تنحلّ وصرتُ أتحدث بلعثمة قليلة وكُلّما أغلط يصوبون الغلط. انتهت الأسابيع الثلاثة في المكتبة وعدتُ الى المدرسة فقالت اليزابيث" "نصيف، أنتَ الآن شوية زين. إيشْ رأيك لو تروح براكتيك 8 أسابيع في مكتبة بونك فلوا سترانْدِن القريبة مِن البحر؟". عَملتُ الأسابيع الثمانية في المكتبة وتعلَّمتُ الكثير. أصبحتُ أتحدَّثُ بشكل جيد مع لَكْنة واضحة ولكي أطوِّر لغتي ذهبتُ الى حانوت بقَّال عراقي وطلبتُ مِنهُ أن يشغّلني عنده بالأسود. وافق وقال: "تشتغل في اليوم 8 ساعات بعد نهاية دوام المدرسة وأدفع لك 100 كرون".أجبتهُ" المبلغ قليل جداً وأقلّ وجبة طعام في المطعم ب 80 أو 90 كرون". أصرَّ على رأيه فعملتُ مُضطرَّاً ب 100 كرون مِن أجل تعلّم اللغة. في اليوم الأوّل لمباشرتي العَمل قال لي :"أيّ زبون يسألكَ عَن حاجة لا تعرفها، تعال وَقُل لي أيشْ ?Jäst طَلبَ" . جاءت امرأة وسألتني: "هل عندكم **علمتُ منهُ أن ال يَستَ هي خَميرة الخُبز. جاءت امرأة أخرى تسألُ عَن "ابريكوس" فعرفتُ انّه المشمش. رجلٌ يسأل عَن "أوسْتْ" فعرفتُ انّه الجبن وهكذا كُنتُ أتعلَّم في اليوم عَشرات الكلمات مِن خلال العمل في حانوت البقّال.**

(23)

"آرِبتس فورمَدلينَيَن" هوَ مكتب العَمل في السويد. كُلّ مِن يبحث عَن عَمل Arbetsformedlingen لازم يبحث مِن خلاله. بَعد أن أنْهيتُ الدراسة في كومفوكس روسنْغورد ذهبتُ أبحثُ عَن العمل وأرسلتُ السيرة الذاتية الى مزارع وشركات تنظيف ومطاعم وفنادق وحانات كثيرة ولم أحصل على جواب. قلّة قليلة مِن الناس تحصل على الوظيفة مِن خلال هذا المكتب وأكثر الذين يحصلون على الوظائف. يحصلون عليها مِن خلال ذهابهم ومقابلتهم لأرباب العمل أو الأصدقاء الذين يعملون في وظائف شتَّى. وصلتني رسالة مِن مسؤولتي بمكتب العَمل تخبرني فيها، بما انّي ليست لي مهنة مُعيّنة ولا شَهادة دراسية مِن العراق فانّها رشَّحتني مَع آخرين لدراسة كورس مدَّة شهر بشركة للتنظيف. أتدرَّبُ بعده على العَمل في فندق أو مستشفى أو في الشوارع وسوف أحصل على وظيفة مُنظّف مئة بالمئة. درستُ الكورس وبعد نهايته عملتُ "براكتيك" مدَّة شهرين بدوام كامل 9 ساعات في اليوم ب "أربيتا سنتروم" مركز العَمل الحكومي. أخبروني بَعد الشهرين انّهم ليست لّديهم وظائف فعدتُ الى مسؤولتي وأخبرتها الأمر. قالت انها ستدفع لي مبلغاً أشتري فيه كارت باص شهري وأعمل مدَّة شَهر بدوام كامل في فندق بكوبنهاكن ربّما أحصل على وظيفة. قلتُ لَها: "أفضِّل أن أعمل في مالمو. اذا عملتُ في كوبنهاكن لازم أطلع الغبْشة مِن البيت ولا أعود إلاّ في الليل. ربما 16 ساعة" فكتبت رسالة الى مسؤولتي في مكتب السوسيال انني أرفض العمل في كوبنهاكن. قطعوا عني إيجار البيت ونقود الطعام والكهرباء لمدَّة شهر مع امكانية أن أشتكي في المحكمة. لَم أشتكِ لعلمي انّهم لا يفعلون لي أيّ شيء. كتبتُ الى أصدقاء مِن أجل مساعدتي في تجاوز هذه الكارثة. هذا يقول انّه سيشتَري بيتاً بالعراق، وذاك يقول انّهُ سيسافر الى الهند والثالث قال لي انّه تزوَّج حديثاً الزوجة الثانية واعتذروا جميعهم عَن مساعدتي.

(24)

سَنَة 2001 عُدتُ الى الدراسة مِن جديدة وهذه المرَّة في كومفوكس سودرفَرن والدوام 8 ساعات في اليوم، لكنني استطعتُ التحايل عليهم بإدعاء المَرض عبر تقرير طبّي وداومتُ 4 ساعات في اليوم. أيّام وشهور وسنوات مُتشابهة تمرّ مُملّة جداً وثقيلة ولا هَدف ولا أمل في إنجاز ما. في تلكَ السَنَة بدأت كتابة مجموعتي "الأمل. أضداده. خياط الموت. نار الأبديّة" وأنجزتها كُلّها ب 53 قصيدة. نَشَرتها أولاً بموقع "ايلاف" ثمّ نشرتها بموقعي "الحوار المتمدن" و "الكاتب العراقي" وفي السَنَة التي تَلتها أنجزتُ مجموعة "الربّ ينظر الى مستقبله مِن الأسفل" ونشرتها أولاً بموقع " ايلاف" ومِن ثمّ بموقع " الحوار المتمدن". المجموعتان صدرتا عن دار "مخطوطات" بهولندا فيما بعد. كانت الدراسة أكبر مستوى مِن الدراسة السابقة ولا جديد فيها سوى تطوير قابلية المرء على تعلّم اللغة والاطلاع على الأشياء الاجتماعية والتاريخية والسياسية في السويد وَكُنتُ أحاول أن أدرس بجديّة في المدرسة والبيت. أغلب الذين يدرسون ما ان ينتهي الدوام حتَّى يرمون كُلّ شيء لهُ علاقة بما درسوه. أشتَريتُ بعض القواميس والكتب في اللغة السويدية المُبسّطة ورحتُ أتهجَّى وأقرأ وأحفظ. الكثير مِن الكلمات التي لا أستخدمها تُنسى بمرور الوقت ويصعب علي بالتالي تذكّرها. مثلاً أنا لا أستخدم في البيت "السطل" واذا ذكَر أحدهم اسمه في السويدية لا أعرفه. قراءة الكُتب المُبسّطة مهمّة جداً بالنسبة الى الذي يحاول التعلّم وكذلك الإنصات الى الراديو ومشاهدة التلفاز. عانيتُ كثيراً في البداية مَعَ الأفلام والبرامج والمسلسلات السويدية، لكن بمرور الوقت استطعتُ أن أُدبّر الحال. كانت تدرس معي امرأة مهاجرة مِن صربيا وتعيش وحدها بالقرب مِن بيتي. زوجها مفقود في الحرب. أرتبطتُ معها بعلاقة وعانيتُ الكثير مِن طباعها وحالاتها النفسية المتعبة. نلتقي بَعدَ الدوام في بيتي أو في بيتها ونحاول أن نراجع ما درسناه معاً ونطبخ ونفنْطز، لكنَّنا ابتَلَيْنا بعادة الشَراب اليومي وكانت معاركنا اليومية كوارث دائمة. لا أنا

أستطيع الخلاص منها، ولا هيَ قادرة على التخلّص منّي. ينفصل الشخص الكحولي عَن محيطه الاجتماعي ويلتصق بأشباهه .

(25)

المدينة التي أعيش فيها هي ثالث مدينة بالسويد مِن حيث عدد السكّان الذين يبلغ عددهم ال 300 ألف نسمة. الأجناس متنوّعة ومُتعدّدة وهي مِن 179 دولة. في المدرسة والعَمَل والباص والحانة والمرقص، يجد المرء هذه الأجناس كُلّها تَعيش مَعهُ. أعرف البعض مِن الذين يهاجرون مِن العراق، يَصعَب عَليهم التكيّف والاندماج في المُجتمع السويدي لأسباب كثيرة. رفض تعلّم اللغة. العزلة. البطالة. الامتناع بأعذار شتَّى عَن التدرّب على العمل في المؤسسات والشركات والاختلاط بالناس. أنا مُنقَلت طوال حَياتي وهويتي ومهنتي في جواز سفري العراقي هيَ "شاعر" . طبعاً الشِعر ليس مهنة لكنَّني ربما الوحيد مِن بين الشُعراء العراقيين مهنتي "شاعر" في جواز السفر. حاولتُ على الدوام وما زلت أحاول الاستمرار في تعلّم اللغة والاندماج معَ هذه الأجناس التي أعيش معها مِن أجل اكتساب تجارب وخبرات تسعفني في تطوير ثقافتي والقصيدة التي أطمح الى كتابتها وقراءة الآداب والفنون والخ. الكثير مِن الشعراء والكتّاب العراقيين في اوروبا وأمريكا واستراليا وكندا، ما أن يحصل أحدهم على الاقامة الدائمة ويستلم قرض اثاث البيت، حتَّى يرسل المبلغ الى أهله مِن أجل أن يجدوا لهُ زوجة. طبعاً لا هوَ يعرفها ولا هيَ تعرفه وحين تأتي اليه. يمضي حياته معها في طبخ الرز والفاصولياء والكوارع والاستماع الى الأغاني العراقية القديمة. البعض الآخر يذهب الى العراق ويتزوَّج ابنة خاله أو ابنة عمّه والبعض الثالث يبقى وحيداً سنوات طويلة وحين يتمّ اعلامه مِن قبل قَريب أو صديق، أن فلانة العراقية المُقيمة في كذا بَلد مِن بلدان اللجوء مُطلَّقة. يحاولُ الاتصال بها أو يسافر اليها ويعرض عليها الزواج ناسياً الكارثة التي مرَّت بها. في يوم ما مِن الشهر السادس سَنَة 2001 كنتُ أنتظر المصعد لأصعد الى شقَّتي وهبطت امرأة. ألقَت عليَّ التحيّة

وسألتني:"أنتَ مِن المغرب؟" كانَ شَعَر رأسي طويل جداً وعلى طريقة النكَرو فأجبتها:"لا، أنا مِن العراق". ثُمَّ سألتني عَن اسمي وَهَل أسكن في هذه البناية وعرفتُ منها انّها استأجرت الشقّة التي تقع فوق شقّتي وانتقلت اليها نهار يوم أمس. "آنَّا اريكسون، اسمي" قالَت لي فَوَعدتها أن أدعوها الى طعام عراقي. شكرتني وذهبتْ. سَنَة كاملة بقيتُ صَديقاً لآنَّا وبعدها جاء الحُبّ. آكلُ في شقتها وتأكل في شقَّتي ونذهب الى المراقص أو المطاعم وسافرنا الى المانيا والنرويج والدنمارك وبولندا والكثير مِن المدن السويدية. قَبل أن التقيها كانَت لي صديقة تسكن في مدينة "فكْشو" واعتادَت أن تأتي في نهاية الاسبوع. يوم الجمعة ليلاً بعد أن نشرب في البيت، نذهب الى المرقص ونعود بعد الساعة الخامسة فجراً، ونُكرّر الأمر ليلة السبت على الأحد. بمرور الزَمَن وكثرة اللقاءات مَعَ آنَّا، انطفأت عاطفتي صوبها وهيَ شَعَرت انَّني غير قادر على التواصل معها فانسحبت بهدوء وأنهينا العلاقة. الآنَ نحيا أنا وآنَّا الشفيعة معاً منذ 14 سَنَة وَلَم تحدث لَدينا مشكلة طوال هذه السنوات على الرغم مِن صعلكتي والشَراب والخ. بعد أن سكنتْ في الشقة التي فوق شقتي 3 سنوات، انتقلت الى شقة أخرى في وسط المدينة أكبر مِن الأولى وبعد أقلّ مِن سنتين، اشترت شقة في المنطقة التي أقيم فيها وتبعد عنّي سيراً 5 دقائق. الزواج في السويد 3 أشكال. الشفيعة دَرَسَتْ مهنة التمريض في كلّية ببولونيا ودرسَتْ نفس المهنة في كلّية بمدينة مالمو أيضاً. لا أنا أعرف مقدار راتبها الشهري ولا هي تعرف مقدار القروش التي أحصل عليها في كُلّ شهر. اقتصادها لها واقتصادي لي. 1 - الزواج التقليدي. يتزوَّج الرجل والمرأة في المحكمة. المسجد. الكنيسة، أو تتمّ دعوة رجل الدين مِن المسجد الى البيت ويحضر الشهود ويُكتبْ العقد. 50 دولاراً قيمة العقد.

2 - السامبو. زواج مِن دون عقد. يعيش الرجل والمرأة في بيت واحد ويتمّ ابلاغ السلطات. اذا تطلّقا يتقاسمان كُلّ شيء في البيت والرصيد البنكي والأولاد يبقون مَعَ الأم .

3 - السربو. زواج مِن دون عقد. المرأة لها بيتها الخاص واقتصادها والرجل لهُ أيضاً بيته الخاصّ واقتصاده. يلتقيان في

الاسبوع 4 مرات أو 5 أو 6 في هذا البيت أو ذاك.

آني والشفيعة سِربو منذ 14 سَنَة.

أريد أن أسكر وأعربد، بكيفي.
الشفيعة ترفض. أطلبُ منها أن تذهب الى بيتها،
تذهب وتقول "ناسيف، ايش نفطر صباح يوم غد؟

"شوربة عدس وبيض وجبن" أجيبها.

آني نصيف الصعلوك المُخبّل اللطيف والطيَّب الجميل.

ما سويَّت شي غلط في حياتي
إلاّ الحماقات مَع آنَّا الشفيعة.
"ناسيف، أنتَ لازم تصير شاعر حقيقي وإلاّ أطلقكَ"،
كوكو،لازم تصير شاعر حقيقي".
إذا الشفيعة تُطلّقني، وين أروح
بعد 15 سَنَة معها؟
كارثة بشرفي.

(26)

بَعدَ انتقالي مِن مدينة هورْبي الى مالمو في الشَهر الخامس مِن سَنَة 998 . وَجدْتني أعيش مَعَ بشر مِن 179 دولة . أجناس . ثقافات . لغات . أديان . عادات وتقاليد . تنوّع في الألبسة والأطعمة وأشياء كثيرة أخرى . ما يربط بينَ هذه الأجناس هوَ القانون والاحترام للآخرين والعيش المُشترك الذي يوحّد الكُلّ في الانسان . أخبرتني مسؤولتي في مكتب السوسيال Socialbyrån انني سأبدأ دراسة اللغة السويدية في بداية شهر يناير مِن العام القادم، وبقيتُ أكثر مِن 7 شهور أحاولُ أن ألمّ بالمبادىء الأولية للغة مِن خلال كتاب " قواعد اللغة السويدية "

المُترجم الى العربية وقد استعرته مِن مكتبة روسنغورد" وأتهجَّى ترجمة الأفلام والمسلسلات التي يتمّ عرضها في قنوات التلفزيون، لكنّي كُنتُ أضجر وأترك كُلّ شيء وأذهب الى الحانة أو أشرب في الحدائق. الكثير مِن الناس في الصيف يشربون في الحدائق ويصخبون ويمرحون. كيف لي أن أشاركهم جلساتهم وتجمعاتهم وأنا لا أعرف اللغة؟ مرَّة أفرطتُ في الشرب وقذفتُ نفسي وسط تَجمّع كبير يضمّ النساء والرجال وحييتهم: هَيْ سار" فرحبوا بي وراحوا يسألونني ولم أفهم ماذا يقولون ولَم أجبه. تَكرَّرت لقاءاتي هؤلاء الناس اللطفاء واعتبرتها فرصة أن أحاول تعلّم بعض الكلمات منه. تقع الى جوار بيتي حديقة كبيرة وفيها الكثير مِن المصاطب وكُنتُ أجلسُ على مصطبة وأشرب ريثما يتجمَّع أولئك الذين سألتقيهم في المكان المُعتاد. فتاة جميلة تسكنُ وحيدة في نفس البناية التي أسكنها، مرَّت بالقرب منّي فدعوتها بالإشارة الى كأس فودكا. رَفَضَت وامتعَضتْ في البداية وراحت توجّه لي الأسئلة فلمّا عرفت انني لا أعرف اللغة، جلست وراحت تُدخّن. شَربتُ بسرعة حتّى تكون لي الجرأة وأتكلم معها بالإشارة وهزّ الرأس. فهمتُ منها انّها مِن شيلي وهيَ عرفت انني مِن العراق وقادم للتو من الأردن وحدثتها عَن أشياء كثيرة بالعربية وبالإشارة وكنتُ أعرف انها لم تفهم ولا كلمة واحد. ماريا كان اسمه. كانت مَعَ شلّة السكارى الذين التقيهم امرأة عمرها فوق الأربعين، كُلّما تسكر تلمس يَدي أو صدري وَكُنتُ أخجلُ جدا. في يوم ما جاءت الى حيث أجلس بانتظار التجمّع المُبارك وطلبتْ أن أدعوها الى كوب قهوة في بيتي. لستُ أدري لماذا؟ هل كانت تودّ معرفة أينَ أسكن؟ ذهبنا الى البيت وشربنا القهوة واقترحت علي أن نذهب الى حانة صينية تقع ما بين بيتها وبيتي. في الطريق الى الحانة قالت لي: " تعالَ معي الى البيت، سأستحمّ وأغيّر ملابسي" كان في البيت شابّ قدّرتُ عمره في العشرين يشربُ البيرة ويلفُّ السجائر. : هَيْ مامْ. هذا نصيف صديقي دعوته الى الشراب في الحانة الصينية". هذا ما خمَّنتهُ مِن كلامه. عندما دخَلتْ الحمّام ناولني ابنها قدح بيرة وسألني بما معنا: " منذُ متى تعرف أمّي" أجبتهُ وأنا أتلعّثُ: لا أعرفه". في

الحانة شربنا الكثير وأفرطنا في السكر وفي النهاية طردونا فعدنا الى بيتي نتعشّى الكعك والشاي . في صباح اليوم التالي ذَهبَتْ الى بيتها على أمل أن نلتقي المسا . لم تأتِ في المساء ولا في الا وم التالي وحين سألتُ عنها الشلّة، كانوا يجيبونني ولم أفهم ماذا يقولون، وأنا لا أجروء أن أذهب الى بيتها وأسأل ابنها . علمتُ بعدَ فترة انها ماتت بحريق في بيت صديقة لها أثناء جلسة شَراب صاخبة

أنجزتُ في البداية مجموعة "إرث الأرتال التي تندثر بلا أمل" وأنجزتُ بعدها " الثلاثية الأولى" و"الثلاثية الثانية " 7 مجموعات في سَنَة واحدة ضمن مُناخ العمل التافه وساعات الدوام الطويلة. سنة 2014 ازداد نشاطي وصرتُ اكتب في اليوم 10 قصائد وأكثر. أنجزتُ "الثلاثية الثالثة" و " الرباعية الأولى". 7 مجموعات في هذه السَنَة أيضا وصدرت كُلّ هذه الأعمال عن دار "مخطوطات" في هولندا بمبادرة كريمة مِن صديقي الشاعر والفنان ناصر مؤنسً. بعد أن انتهيت من عَمل السخرة في "السام هال" بشهرين، وصلتني رسالة أخرى سَنَة 2015 : "نصيف، يتوجَّبُ عليكَ دراسة اللغة والكومبيوتر مِن أجل أن تحصل على مبلغ المعونة الشهرية مدَّة 6 شهور بدوام كامل". مرَّت الشهور الستة ثقيلة وأستطعت أن أنجز فيها "الرباعية الثانية" . أثناء انعقاد مهرجان "بغداد عاصمة الثقافة العربية" الذي خصَّصت لهُ الحكومة العراقية مبلغ نصف مليار دولار. التقيتُ في مدينة مالمو. مدير المركز الثقافي العراقي وكان قد أعلن أن وزارة الثقافة قد كلّفته أن يطبع 20 كتاباً للأدباء العراقيين في الدول الاسكندنافية. سألني إن كان عندي كتاباً فقلتُ لهُ:"عندي ثلاثية" قال: "كم صفحة؟" وفي النهاية رفض طبعها بحجة انها كبيرة. لستُ أدري ايشْ فعلوا في نصف المليار دولار؟

(27)

في كومفوكس روسنْغورد. 4 ساعات في اليوم مِن الثامنة صباحاً SFI جاءَ شَهَر يَناير وبدأت دراسة اللغة الى الساعة 12

ظهراً. المَنْهج المقرَّر هوَ البداية مِن تعلّم كيفية نطق الحروف ومِن ثمّ الكلام والقراءة والرياضيات. بدأ الدراسة.

(28)

اعتدتُ خلال السَنوات الأولى مِن وجودي في "مالمو" أن أستعير الكتب العربية وأشرطة الكاسيت وأقراص ال سي دي وهي قليلة جدّاً، مِن مكتبة "روسِنْغورد" القريبة مِن"الكومْفوكس" الذي أدرس فيه اللغة. قرأتُ خلال أكثر مِن سَنتين أغْلب ما موجود في المكتبة باستثناء كتب الطبخ وكتب تعليم الحياكة والخ. سأتَعرَّف عبر آنَّا فيما بعد الى المكتبة المركزية للمدينة. دأبتُ دائماً بَعد نهاية الدوام المدرسي اليومي على رَمي كُتب تعليم اللغة حال وصولي البيت ولا أراجع ما دَرَسْته أو أحاول حفظ بعض الكلمات أو أدرّس نفسي كتاب قواعد اللغة وهي سهلة جداً ولا تحتاج إلاّ الى الصبر والمران. لَيل السويد طويل جداً 18 ساعة في اليوم والظلام يطبق على "مالمو" بعد الساعة الرابعة ظهراً وأنا وحيد ولا أهل أو أقارب أوعائلة لي. أمضي الوَقت في التأمّل والقراءة في المطبخ والإنصات الى الموسيقى الكلاسيكية والشَراب. لا أشاهد التلفزيون إلاّ مَرَّات قليلة في الاسبوع وأحاول الكتابة دائماً. النقود التي أحصل عليها ضئيلة جدّاً ولا تكاد تكفي لشراء الطعام والتبغ. أشتري التبغ المُهَرَّب الرخيص وألفّ السجائر منذ 17 سَنَة وأصابعي مصبّغة بالنيكوتين. عدا إيجار البيت وفاتورة الكهرباء، أحصل منذ مجيئي في سنة 1998 الى الآن على 2800 كرون أيّ ما يعادل 300 دولاراً وهي لا تكفي الى نصف الشَهر. الطعام والاحتياجات الأخرى للبيت أشتريها مِن محل صديق عراقي وأدفع لَهُ في اليوم الذي تصلني فيه النقود ولولاه لكنتُ انتحرت أو أحيا في الجحيم. عَملتُ في مهن كثيرة وكانَ عملي بلا راتب. "براكتيك" عَمل سخرة في الشركات والمطاعم ودور العجزة والمكتبات. على الرغم مِن الصعوبات الجمَّة والحالة النفسية المقيتة التي مررتُ بها، حاولتُ على الدوام أن أخلص لمشروعي الشِعري وأن أجعله لا يفلت مِنّي مثلما فَلّتت

مِن الكثيرين مشاريعهم واستسلموا وانتكسوا. كُنتُ أكتب في الاسبوع الكثير وأرسل القصائد والمقالات في البريد الى الصحف العربية التي تصدر في أمكنة مختلفة، ولأنَّ أغلب هذه الصحف لا تصل "مالمو" فاكتفي بسرور انَّها وَصَلَت ونُشرتْ. لَمْ أتَورَّطُ وأنشر في الصحف الهزيلة للمعارضة العراقية التي تدفع المكافآت وكنتُ أنشرُ في الصحف العربية بالمجَّان. بَعدَ أن أنجزتُ ونشرتُ مجموعة: "الأمل، أضداده. خيَّاط الموت. نار الأبدية" ومجموعة "الربّ ينظر الى مستقبله مِن الأسفل" ، واصلتُ الكتابة فأنجزت ونشرتُ مجموعة "في ضوء السنبلة المُعدّة للقربان" ونشرتها أولاً بموقعي "الكاتب العراقي" و "الحوار المتمدن" ومن ثمّ صدرت بدمشق عن دار بابل سنة 2007. أنجزتُ بعدها مجموعة "الحركة العفيفة للزمن" والمجموعات "مِن أجل راحة الموتى" و "الاطباق العظيم لظلمة العالم" و "حطب يتوق الى النار" و "جرعة كبيرة للظلمة" و "أشياء ما بعد الموت" و "الشرائع الجليلة للسنبلة" وَكُنتُ قَبل أن أنجز هذه المجموعات، قد أنجزتُ ونشرتُ مجموعة "الظلمة الحانية على أبواب الحصاد" ب 69 قصيدة وَكَرَّستها كُلّها في تمجيد حُبّي لانخيدوانا. في سَنة 2009 أنجزتُ مجموعة " بين خرائب محنتنا" وصدرت عن دار نينوى بدمشق سنة 2011 . كُلّ هذه المجموعات صدرت فيما بعد بمجلدين مَعَ سيرة عَن الشعر والحُبّ والموت والحرب، عن دار "مخطوطات" في هولندا بمبادرة كريمة ونبيلة مِن قبل صديقي الشاعر والفنان ناصر مؤنس المشرف على الدار .

(29)

عندما يسأل المرء أحد الشُعراء العَرب الذين يقيمون في السويد عَن الشِعر السويدي، يؤكّد لَهُ أن هذا الشِعر يتعامل معَ الطبيعة ويسهب في شرح أشياء غير موجودة في الحقيقة. ذكرتُ مِن قبل أن مصادر الشاعر العربي هي مجموعة الدواوين التي قرأها وتوقّفَ عندها. أثناء دورة مهرجان بابل للثقافات والفنون الأخيرة

التي انعقدت بمدينة الحلّة ربيع هذا العام، قرأ شاعر سويدي قصيدة وكانَ يجلس الى جانبي أحد الشعراء الأصدقاء مِن العراقيين. الشاعر السويدي ذكرَ في قصيدته أن "العاصفة هبَّت فوق البحر والمركب اهتزَّ بشدّة. في الغابة ديدان وطيور. زهرة تشكو. الخريف عرَّى الأشجار مِن أرديتها " . قال لي صديقي: "شوف نصيف كيف يتعامل الشاعر السويدي مع الطبيعة" فأجبتهُ انَّهُ لا يكتب عَن الطَبيعة ولا يتعامل معها كما تعتقد" قال: " كيف؟" . قُلتُ لَهُ انهُ يكتبُ عَن واقعه وَعن ما يمرّ به ويصادفه في الشارع وفي الليل والنَهار وحين تنزّهه قرب البحر الخ. خرجنا مِن فناء المبنى الذي تُقام فيه القراءات الشعرية وأمامنا "شطّ الحلّة" الذي لا يبعد عنّا أكثر مِن 10 أمتار. قلتُ لهُ": ماذا ترى أمامكَ" أجاب:" النَهر" فقلتُ لهُ:" هَل في النَهر حشائش. قَصَب. طيور. حشرات. أسماك. نسيم؟ قالَ:"بالتأكيد" فأخبرتهُ انّه يكتب الشِعر منذ أكثر مِن 30 سَنَة وقاموسه يخلو مِن كلمات النَهر والحشائش والقَصَب والأسماك والنسيم، وقلتُ لَهُ: " هَل كتبتَ قصيدة عَن شطّ الحلّة وأنتَ طوال حياتك تقيم على شاطئه؟
.
يكتب الشاعر العَربي مِن الذاكرة ويستخدم لغة الشِعر الذي قرأهُ ولا يحاولُ الكتابة عَن الأشياء التي تحيط به أو تلك الأشياء التي يتعثَّر بها. لولا ايديث ستويل ربما لَم تَكُن في شعرنا العربي " انشودة المطر"
.
هاري مورتنسون شاعر سويدي وكاتب قد اقتسمَ عام 1974 جائزة نوبل معَ آيفيند جونسون. ترجمَ لَهُ الشاعر عابد اسماعيل مختارات مِن 6 مجموعات أعدها ويليام جي سميث و ليف سجوبيرغ بعنوان " باقة بَرِّيِّة وقام بترجمة المُقدّمة التي تقول: "قصائد باقة برية: تحتفل بالطبيعة, وتصور التنوع المدهش لكائناتها من شجر ونبات وطيور. وكان من أهم ما تناوله المؤلف من مواضيع في كتابه ما يلي: اللحظة, صنوبرة عملاقة, الريح تهب سريعة وباردة, ثلج الدوامة, قطعة شتاء, عرعر قزم, بقعة عشب, عشبة الشاطىء, وقواق, غابة الطفولة, أغنية الطائر الغرد, في الصيف, أفعى, بين الظلال, أغنية المرج, فراشات, إوزة, الصيف على البحيرة, المرآة ذات العين". ماذا يكتب مورتنسون

وأرض السويد كُلّها غابات صنوبر وشواطىء ووقاوق وأوز وبحيرات؟
مِن المعلوم أن أشهر شاعر سويدي في القرن العشرين هو غونار ايكيلوف الذي بدأ سورياليّاً في باريس سنوات العشرينيات، وانتهى مُتأثراً بمحيي الدين بن عربي وديوانه "تُرجمان الأشواق" وقد توفّى في تركيا عام 1969 بعدَ أن كتبَ ثلاثيته الشهيرة وضمَّت 1 – حكاية فاطمة. 2 - دليل العالم السفلي. 3 – أمير امجيون" .
ايكيلوف لم يَكُن شاعر طبيعة. الأمر نفسه ينطبقُ على كارين بويَ وينطبق على توماس ترانستومر الذي حصل على جائزة نوبل وتوفَّى قبل شهور، وينطبق كذلك على نيلس فرلين وسواهم الكثير.

(30)

في الشهر الأوّل مِن سَنَة 2012 تمّ في "مالمو" افتتاح مكان. "مقهى" للشِعر والتشكيل والموسيقى اسمه Poeten på hörnet
بالقُرب مِن منطقة ال"ترْيانْغل" وكُنتُ أذهبُ اليه حينَ تكون هناك فعاليات مُعيّنة مَعَ آنَّا واذا كانَت في العَمل، أذهب وحدي. بعض الأحيان يوجّهون الدعوة ويعلنون عَن أنشطتهم وأغلبها تتمّ في أيّام الآحاد بَعد الغروب. يحضرُ الكثير مِن الشُعراء والكتّاب والرسّامين والموسيقيين الى هذا المكان الذي تُموّلهُ جهة ثقافية حكومية، وبامكان المرء أن يشتري مجموعات الشعر ويتعرَّف الى الشعراء والكتّاب وسواهم.

(31)

سألَتني مسؤولتي في مكتب العَمَل بعدَ أن أمضيتُ 3 سَنوات في السويد وعَملتُ بمهن شَتَّى بلا راتب "براكتيك. تدريب على العمل"، وَكانت قَد لاحظت تَعَبي وحالتي النفسية حينَ أن اطّلَعت

على ملقَّي الذي أرسَلتهُ المفوّضية السامية للاجئين مِن عمّان: "نصيف، أنتَ أمضيت 12 سَنَة بالتمام والكمال في الخدمة العسكرية الاجبارية بالعراق. هَل تَمَّت معالجتك بَعد أن سرَّحوكَ مِن الجيش مِن مشاكل ما بَعد الصدمة؟". قُلتُ لَها: "أيشْ مشاكل الصَدمة؟" قالَت:"كُلّ انسان يدخل الحَرب 6 شهور أو سَنَة يتعرَّض الى صدمات ويَجب معالجتهُ نفسياً". أرسَلتني الى الصليب الأحمر السويدي وبقيت تحت العلاج النفسي أكثر مِن سنتين ونصف، لكنَّ شظايا ورماد الحرب والدمار "رصعات" محفور في روحي وَكُلّ مسامات جسدي. التَقيتُ آنَّا الشفيعَة فَتَولَّت علاجي والحنو عليَّ وخلَّصَتني مِن الخبال وكوابيس الحرب بَعَدَ أن قَدَّمتني الى عائلتها .

(32)

عادَت آنَّا مِن بولونيا بَعدَ أن أدخَلت والدها المَريض المستشفى ومعها كَلبه المُسَمَّى سفارْتكْ " وَقالتَ أن العَجوز ربما سيمكثُ أكثر ، ن شَهر بالمستشفى واقتَرَحتُ عليه أن آخذ الكلب معي الى مالمو". أنا حالي حال الكثير مِن العراقيين والعَرب أخاف مِن الكلاب، لكنّي بَعد 8 سَنوات في السويد استطعتُ التخلّص مِن الخوف . الآن كَيف يُمكنني أن أعيش مَعَ كلب في البَيت؟ عندي القط هارِ" عمره 3 سنرات واحتجتُ الى قراءة كتاب عَن تربية القطط في البيوت لكي أفهم طبيعة سلوكه وحياته . قَبلَ أن آخذه الى المستشفى البيطري وتتمّ عملية الاخصاء لَهُ، كانَ في شهر آذار مِن كُلّ سَنَة وهو موسم تزاوج القطط . عندنا بالعراق يكون في شهر شباط . يتبَوَّلُ قطرة واحدة في مطبخ أو الشرفة أو تَحتَ الأريكة في غرفة الضيوف، حَتَّى تَشمّها الأنثى وتأتي اليه ويتزاوجان . رائحة كريهة جدّاً تملأ المكان . لَم أكُن أعرف هذه الكارثة مِن قبل . تذهبُ آنَّا الى العَمل ويبقى سفارْتك " عندي حيث أخرجُ مَعه الى الحدائق التي تقع خلف بيتي . يتغ ط وَيَتبوَّل في اليوم 3 مرَّات أو 4 ، وحين تعودُ مِن العَمل تتولَّى

هي مسألة الخروج معه . الكثيرون لا يعرفون أن القط يتسم بالكبرياء وهوَ معَ ألفته ووداعته، غير خانع للانسان مثل الكلب . حين يجوع أو يريد اللعب يقترب مِنّا وينال ما يريده وينزوي في مكان يختاره هو . الكلاب والقطط لَها أطعمتها الخاصة ولا تأكل أيّ طَعام يُقدّم اليه . كانَ في بيتنا بالعراق مجموعة مِن القطط تأكل الخبز والعظام وحَتَّى الطماطم . اعتاد هاري " أن يأكل نوع مُعيّن مِن اللحم حيث أشتري لهُ في بداية كُلّ شهر مجموعة مِن العلب ومعها نوع آخر مِن الطعام المُجفَّف . في المَرَّة الأخيرة نَفدَ الطعام وأشتريتُ له علبة لحم كبيرة، لكن لَيس مِن النوع الذي اعتاد أكله وفي اليوَم الثاني بدأ يُعاني مِن انحصار البول . كان يموء بحرقة ويذهب الى الصندوق المُخصَّص لَهُ في الشرفة مِن دون أن يتمكَّن مِن التبول . استمر ألمه أكثر مِن يومين . قالت آنا : نصيف، لازم نأخذه الى المستشفى البيطري ". فحصتهُ المُمرّضة وأخذَت لَهُ الأشعَّة وقالت : " يحتاج الى عملية جراحية كلفتها 5 آلاف كرون . يعني 600 دولار . أخبرتها انَّني لا أمتلك هذا المبلغ . قالت :" نزرقه ابرة ويموت الموت الرحيم خلال 10 دقائق ونحنُ نتولّى دفنه ونرسل لكم صورة القبر ومكانه . الكلفة 3500 كرون . قُلتُ لَها : لا أمتلك هذا المبلغ أيضا ". فكَّرتُ أن آخذهُ وأعود به الى البيت ويموت عندي وأدفنه . رفضَت وقالَت " كيفَ تأخذهُ الى البَيت وَهوَ يعاني الألم، ما ا ستفعل به؟ يجب أن يموت موتاً رَحيم " ثُمّ قالَت الحلّ الأخير، نزرقه ابرة ويموت وتتولَّى أنتَ دفنه . الكلفة 1600 كرون " . يعني أكثر مِن 200 دولار . قَتَلته وَدَفَعَت لَها آنَّا المبلغ وعدنا به الى البيت وواجَهتنا مشكلة لَم نتحسَّب لَها . لازم ندفنه بمقبرة للقطط . أخيراً دَفنّاه تَحت شجرة مُعمّرة في حديقة قريبة مِن بيت آنَّا واعتدنا زيارة قبره بين الحين والآخر . بَعدَ أن تَقدَّمَ سفارتلي " بالسنّ وأوشَكَت دورة حياته في الأرض على النَهاية وَهرم جدا . أخذناه الى نفس المستشفى وتولّوا زرقه ابرة الموت الرحيم واضطرَّت آنَّا الى دفع مبلغ ما وَدفنوه هُمْ . الى الآن لا أعلم أينَ قبره ولا آنَّا .

(33)

كارثة عظيمة أن أعيش معَ عمَّتي أُمّ آنّا أكثر مِن شهر ونصف وهي تتحدث ب 5 لغات لّيس فيهن السويدية والعربية. أشعر بحرج كبير حين تكون آنًا في العمل وأمها عندي في البيت. ألجأ الى دعوتها لشراب النبيذ، تحدثني عن أشياء كثيرة وأنا أفهم القليل مما تقوله بالانكليزية. تسألني عن شيء ما فأهزّ رأسي وأقول "يس" أو "يا" وحين نسكر ويأتي القط هاري. نبدأ نتحدث بلغات شتى عن الحياة والحبّ وماضيها هي. لكنّ عبر أيّة لغة؟ بشرفي لستُ أدري .

(34)

في حوار مَعَ أدونيس قالَ فيه أن الكَثير مِن الشعراء العرب المعاصرين.

"لا يعرفون جمال اللغة العربية ".
يَلومني البَعض على اللغة التي استخدمها في كتابة القصيدة
وأنا اعترف بحرصي على التوشيات في الجملة والقصيدة.
هؤلاء لا يعترضون على الشاعر الذي يكتب:

"العيس في البَيْداء تَسْعى" .
لا أستطيع الكتابة في اللغة التي تستخدم
بكتابة التقارير وأمور الأحوال المدنية في
المحاكم أو الصحف

ايشْ يقول القارىء عَن هذا السطر مِن قصيدة لي: "أكَلَ مَلك في بابل وَجْبة عشاء بائتة وَنَبَتَت في سرّته هاوية للمَرْفوعين مِن حقول ذرّتهم. الطَبيب بتَعاويذه المَلفوظة عَجَز عَن تَشْخيص الصَدى الذي سَمَعته الموْجة ورَجته أن يَنْزل الى حَديقة النَهر المَليئة بالأحْصنة. تَسلَّقَ غرفة مسْتَشْفى مَنْسوجة

مِن أشجار ليف تعاني الاجْهاض في كلّ حَمل وألقى بلبدته في غَدير الخَمْرة الجنْسية للملك"
.

(35)

منى سالين سياسية سويدية ووزيرة كان من المكن أن تشكّل حكومة وتصبح رئيسة وزراء قبل سنوات. طردوها من منصبها ومن الحزب. ارتكبت خطأ فاحشاً. إيشْ هذا الخطأ؟ اشترت بكارت حكومي لنفسها بنطال أو شيء من هذا القبيل. كيف اكتشفت الصحافة الأمر. لا أعلم، لكني أعلم أن الشفافية في هذا البلد موجودة.

هاي وين

واللصوص السفِلة بالعراق وين؟

الكارثة الفظيعة أنَّ أغلبهم من الأحزاب الاسلامية

وأهل عفّة وورع ويتمسَّكون بمكارم الأخلاق.

(36)

اعتقدتُ انني سأواصل الكتابة في ذلك اليوم مِن سَنَة 2002 وهوَ يوم عطلة والطقس جميل والشمس مشرقة. رغبتُ بشرب القليل مِن البيرة لكنّي أجهزت على العلب ال 5 لديّ كلّها. بانتظار الشفيعة، طبختُ أطعمة متنوّعة. جارتي امرأة عظيمة مِن فنلندا لا تخلو مِن الشراب. أستلفُ منها دائماً التبغ والخمور، لكنّي ولا مرَّة سدَّدتُ لها الدين. فكّرت في دعوتها الى الغداء بعد أن أغلقتْ محال الخمور أبوابها في الساعة الثانية بعد الظهر. جاءت المعجزة حين طرقت هي الباب ومعها لتر فودكا فنلندي وعلبة شوكولاتة:"هلو، ناسيف.كيفك وكيف آنّا؟ هذه هدية لكما". شكرتها وسألتني:"ايش هذه الروائح؟" . برياني وباذنجان باللحم والخ. المهم أعطيتها الأكل وحاولتُ الاعتذار عن عدم تسديد

الديون فأخبرتني انها تسقطها الآن، وكالعادة قالت لي:"ناسيف، اذا تحتاج الى شيء ما فاخبرني" .

(37)

أنهيتُ كتابة مجموعة بدأتها يوم 1 / 1 / 2014 ب 69 قصيدة " 100 " صفحة. تناولتُ فيها حياة المدينة والكحول والحانات والمنزل الزوجي والجنس والقرف والحُبّ في الماضي والحاضر وأزمان حصار الانسان وقتله الخ الخ . الكتابة محاولات وتجارب مستمرة، وفي سعيي الدائم لمواصلتها والرهان عليها. أحاول أن أديم الأشياء التي تضفي على حياتي قيمة وتخلّصني من الاحساس الفظيع بالنهاية. مدينة مالمو مكفهرّة بسبب الثلوج والليل يحلّ فيها بعد الساعة الرابعة ظهراً. أصحو من النوم في الساعة الخامسة صباحاً وأذهب الى العمل المجّاني الاجباري وأعود الى البيت في الساعة الخامسة عصراً. مرّات كثيرة تكون آنّا في العمل أو في منزلها أو منشغلة بعالمها في المطبخ. التلفاز. القراءة. حياكة شيء ما. تمنحني الكتابة طاقة روحية وأمل دائم في العيش ولولاها لكنت قد فَطَست منذ دهر طويل. العبء الكبير الآن هو انني بدأت اليوم كتابة مجموعة أخرى وكانت الفاتحة قصيدة عن الشعوب الشرقية التي تحيا في الغرب وأمريكا واستراليا وتلد ذرّيتها في هذه البلدان وبعد ذلك تقوم بتزوج هذه الذرّية التي ولدت وتربّت وعاشت في أرض المنفى، بذرّية أخرى للأقارب وأخوة العصبة في الأرض التي جاءت منها قبل سنوات طويلة. المهم هو التمسّك بالكتابة والرهان عليها. لا يبقى في النهاية مِن رماد الشاعر سوى الأشياء التي عانى فيها الضنك والموت والعزلة .

(38)

وصف بغداد.

مسجد وحانة، وقارىء وزامر، وساهر مُتهجّد يرقب الفجر ليؤدي فرضه، ومصطبح في حدائق، ولاهٍ في طرب، وعاكف في تخشّع، وتخمة في غنى، ومسكنة في املاق، وشكّ في دين، وايمان في يقين .

(39)

وصلتني دعوة في منتصف شهر آذار سنة 2013 من الشاعرة الكولومبية المقيمة بالسويد انجيلا كاستيلو وهي زوجة الشاعر السويدي لاسَ سوْدَرْبَري رئيس مهرجان الشعر العالمي في مالمو. تطلب منّي أن أشارك في فعاليات "اليوم العالمي للشعر" في مدينتي مالمو ولوند على مدى 3 أيّام. الجهات التي تدعم هذه الفعاليات هي أكاديمية الكتّاب والأكاديمية السويدية وجامعة الشعب والمجلس الأعلى للثقافة والحكومة المحلية في جنوب السويد . شعراء من السويد والنروج والعراق وايران وكولومبيا والمانيا،وتصاحب القراءات الموسيقى. الموعد يوم 20 اذار. الجلسة الأولى في مقهى الشعر وستتم استضافة الشاعرة السويدية ماريا لوندكفيست والشاعر لاسَ سودربري والشاعرغونارهاردينغ للحديث عن تجاربهم. الجلسة الثانية في جامعة الشعب مع الشاعر الكولومبي اندرياس دياز بالاضافة الى برامج ترجمة الشعر من لغات شتّى الى اللغة السويدية يوم 21 وفي مسرح المدينة ستكون هناك قراءت لشعراء كثيرين قدموا الى السويد منذ سنوات طويلة. الفعالية الأخيرة مع لاسَ وزوجته وسيقدمان فيها الشعر والغرافيك. انتهت الفعالية الأخيرة في مدينة مالمو بالصالون الأدبي وهي عن "الشعر والترجمة" وكانت مخصّصة للشعراء فقط. الصالون هو عبارة عن قاعة ملأى

بالكتب وأرائك وطاولات وفيها الملحقات الأخرى. 11 شاعراً وشاعرة من المانيا والسويد وكولومبيا يتحدثون ويكتبون بلغات عديدة. طُلب منّي أن أحضر معي قصائد لي مترجمة الى السويدية أو الانكليزية أو الاسبانية أو الالمانية. أنا أقرأ بالعربية وهم يقرأون قصائدي المترجمة الى اللغات الأخرى. طبعاً نفس الشيء ينطبق عليهم أيضاً. أنا لا أعرف إلاّ السويدية. أحضرتُ معي كتاب صديقنا الشاعر سهيل نجم "أغاني عشتار. الشعر العراقي بعد السبعينيات" المترجم الى الانكليزية ولي فيه 3 قصائد والعدد الخاص من مجلة بانيبال "شعراء وكتّاب عرب في السويد" ولي فيه 5 قصائد مترجمة الى الانكليزية بالاضافة الى قصيدتين ترجمتهما الى الانكليزية الشاعرة خلود المطلبي في كتابها "لوحة اوروك" و "انطولوجيا الشعر العربي المعاصر" التي ترجمها الى الالمانية شتيفان فايدنر رئيس تحرير مجلة "فكر وفن" ولي فيها قصيدة وقصيدة أخرى طويلة ترجمتها المستشرقة الالمانية غريت هيملر. صناديق النبيذ الأحمر والكعك والمعجنات اسبانية الطعم والنكهة، ربما لأن أكثر الضيوف من أمريكا اللاتينية وهم من أحضرها أو أُحضرت لهم. "الشعر والترجمة " عنوان الفعالية. يقوم كلّ شاعر من أجل التعرف الى الشعر الآخر بلقاء شاعر ما ومن ثم يقوم بترجمة مختارات من شعره الى لغة معيّنة. هذا الشيء غير موجود في العالم العربي. في السَنَة الأولى لتعرَّفي بآنَّا رَغَبَتْ أن تشتري لي الأعمال الكاملة لبعض الشعراء السويديين ومجموعات أخرى. أخبرتها أن قراءتها ستكون صعبة عليَّ وبالتأكيد سأعاني كوارث جمّة. قالتْ: "طبعاً صعبة جداً لكن يتوجَّب عليك أن تغلق بابك وتبقى تتهجَّى وتُنقّب في القواميس المترجمة الى العربية طوال سنوات اقامتك في السويد. حاول، نصيف على الدوام القراءة وستكتشف بعد زمن طويل انّكَ قادر على الفهم". بدأتُ التهجّي وبعد سنوات بدأت الأقفال تتفكَّك وأصبحتُ أقرأ وأفهم نصف القصيدة أو أكثر والكثير مِن القصائد أفهمها كُلّها. بين الحين والحين التقي انجيلا كاستيلو ولاسَ سودربري ويوجّهان لي الدعوة في مناسبات مُعيّنة

(40)

كان عندي موعد لاجراء عملية إخصاء للقط "هاري". ذهبتُ الى دائرة صغيرة تعنى برعاية وخدمة الحيوانات المنزلية "القطط الكلاب". أجروا العملية للقط المسكين بعد أن بنّجوه، ثم نظّفوا أسنانه وثقبوا اذنه اليمنى ووضعوا فيها رقمه.

أخبرني الطبيب انه سيمنحني وثيقة هي عبارة عن "جواز سفر" له ويتوّجب عليّ أن أرسل نسخة منها الى دائرة معيّنة حتى يتم تسجيل كافة المعلومات. مبلغ العملية وثقب الاذن وتنظيف الأسنان بسيط جداً. أحاولُ منذ أكثر مِن 12 سنة والى الآن، تبديل جواز سفري العراقي الذي انتهت صلاحيته من دون جدوى. القوانين تنص على أن أجلب لهم "الجنسية العراقية " و "شهادة الجنسية" حتى يُصدِّقون انني " عراقي" ويسوون المعاملة

(41)

المران والدربة والخبرات التي تَتَجدَّد دائماً عبر الكتابة والاخلاص لّها، تمنح الكلمة الضوء الكثيف وتصبح عملية الخلق التي هيَ طقس يومي. فعل مغامرة دائم في الكشف عَن جغرافيات وعوالم أخرى. هَل يُمكن للشاعر الذي يمضي معظم وقته وسط الحشود في المقاهي والتجّمعات أن يحافظ على قوَّة روحه وهوَ يؤدي الطقس الكريم للكتابة؟ لا الهام في الكتابة وهي صراع طويل معَ العالم ومعَ الروح. العزلة الدائمة والتأمّل والقراءة أفعال تُنشّط الذاكرة الشاغرة. كُلّ لحظة تأمّل في الزَمَن والطبيعة والأشياء التي تحيط بنا، نحصلُ فيها على البلسم الشافي مِن شرور الواقع ومِن القوى التي تستَلبنا وجودنا، واذا كانَ الحُبّ هو المُحرّك لكُلّ الرغبات فالموت يعلو عليه في مجال الرغبة. يقتنص الشاعر الغبطة في دخوله بموته ويحاول مؤاخاته وعقد رباط معهُ. حَياتنا قصيرة وضئيلة القيمة ما لَم نقذفُ أنفسنا في

البركان. القلق يُمهّد الطريق الى الرغبة. لا قيمة لحياة الانسان اذا خَلَت مِن القلق وَمِن الرعدة أمام الموت وحين اللقاء بشظية مِن تبقى القصيدة غير مكتملة حتى وان جمال أو برعم تفتَّحَ للتو. نشرت في صحيفة أو مجلة أو كتاب. لا تكتمل القصيدة التي هي مشروع محو واعادة كتابة دائمة إلاّ بموت الشاعر. قصيدة الشاعر الحيّ في كتاب، أشبه بجثة في تابوت. في قصيدتها "شبح قايين" تقول إيدث سيتويل في أحد السطور "صوت سنبلة قمح لم تولد"كل قصيدة قبل موت شاعرها ينطبق عليها سطر ستويل هذا

(42)

في الشَهر العاشر مِن سَنَة 2013 وصلتني رسالة مِن مسؤولتي في مكتب العَمل تخبرني فيها انَّني لازم أباشر التدرّب على العَمل "براكْتيكْ" في شركة "السام هال" بدوام كامل ومِن دون راتب لمدَّة سَنَة كاملة. غسيل ملابس الناس كبار السنّ. يبدأ العَمل في الساعة السابعة صباحاً وينتهي في الساعة الرابعة بعد الظهر. كُنتُ كُلّ يوم أنامُ مُبكّراً وأصحو في الساعة الخامسة صباحاً. أحلق ذقني وأعمل الفطور والقهوة والطعام الذي آخذهُ معي الى العمل ومِن ثمَّ أصعد في الساعة السادسة 3 باصات توصلني الى المكان. بعد أن أنهي عَملي أعود الى البيت وأبدأ على الفور الكتابة قَبل أن أنزع عنّي ملابس العَمل. كُنتُ أكتب في اليوم 5 قصائد أو أكثر. أكتبُ أحياناً قبل الذهاب الى العمل وبعده. أنجزتُ في البداية مجموعة "إرث الأرتال التي تندثر بلا أمل" وأنجزتُ بعدها " الثلاثية الأولى. 1 في انشاده لموته. 2 الموتى والأحياء. 3 الموتى بوفرتهم وغيابهم" و" الثلاثية الثانية، كُلّ ذَهب يتعقَّن . 1 تعلّقاً بما يفرط في الرغبة. 2 رَمي الحصباء على النجوم. 3 تجميل التوابيت" 7 مجموعات في سَنَة واحدة ضمن مُناخ العمل التافه وساعات الدوام الطويلة. سَنَة 2014 ازداد نشاطي وصرتُ اكتب في اليوم 10 قصائد وأكثر. أنجزتُ "الثلاثية الثالثة ، الانحدار الى أرض الغرق. 1 جمع الثمار. 2 التذمّر مِن المدينة الشغوفة بالطوفان. 3 ملاقاة الذين توافدوا لسلب الغرقى"

و "الرباعية الأولى، الجانب الآخر مِن الفردوس. 1 الحدود الجنائزية للزَمن. 2 دفع الديّة. 3 حواجز وكنايات. 4 مناحاتهم على الغرقى". 7 مجموعات في هذه السَنَة أيضاً. هذه الأعمال صدرت كُلّها عَن دار "مخطوطات" بمبادرة مِن صديقي المبدع الشاعر والفنان ناصر مؤنس. بعد أن انتهيت من عَمل السخرة في "السام هال" بشهرين، وصلتني رسالة أخرى في خريف سَنَة 2014: "نصيف، يتوجَّبُ عليكَ دراسة اللغة والكومبيوتر مِن أجل أن تحصل على مبلغ المعونة الشهرية مدَّة 6 شهور بدوام كامل". مرَّت الشهور الستة ثقيلة وأستطعت أن أنجز فيها "الرباعية الثانية، الدنوّ مِن الأبدية. -1 العيش في المتاهة. -2 أحقيّتنا في الخلود. -3 الغرق في الخلاء. -4 تطويقهم لشباك الصيد في الظهيرة". لدى كلّ شاعر مَنْجم كبير من الخبرات والتجارب والمعرفة والذكريات والأحلام والآمال والأشواق، ولكي يديم صلته بالشِعر في كلّ حين ويستطيع الكتابة والانتاج. يَنبغي عليه النزول الى الأعماق في ذاته.

(43)

الشعر فنّ طقسي" ومجاله منذ البداية. الصلوات والسحر والميثولوجيا وحياة "والاقتصاد " الصيد واللقاط والطقوس. وهو شخصي جداً ، لكن الايديولوجيا الكهوف استحوذت عليه وراحت تُحمّله ما لا يتحمَّل .اذا أمكنني أن أعرّف جوهر الشِعر وهو فنّ لا علاقة لَهُ بالأدب ولا يمكن تعريفه لتعدّد مفاهيمه طوال التاريخ، فأقول انّه على الصعيد الشخصي فعل حرّية. لا يمكن للشاعر المُعبأ بالترّهات الاخلاقية والايديولوجية أن يتحرَّر مِن ثقافته المنحطَّة ويبدع القصيدة الحقَّة، ما لَم يكن حرّاً ويتخلّص مِن كُلّ شيء فُرضَته عليه التربية في المُجتمع وفي المدرسة. كتابة القصيدة بيقين تامّ "فهلوة". عصرنا ليس عصر تصوّف والبحث عَن الله ما عادَ يجدي. في العالم الكثير مِن الآلهة.

(44)

صيف سَنَة 2002 كُنتُ في اوسلو بضيافة صديق شاعر عراقي وسألَني: "نصيف، هل حَصلتَ على الجنسية السويدية بَعد أن أتْممتَ المُدَّة المقرَّرة للحصول عليها؟" فأجبتهُ:"لا أريد الحصول عَليها" قالَ:" لماذا؟" قُلتُ لَهُ: "سأبقى محتفظاً بجنسيتي العراقية الى الموت، لأنَّ عَدي صدام حسين رئيس نقابة الصحفيين وقبلها رئيس "التجمّع الثقافي بالعراق" يُحرّض ضدّنا وتنشر صحيفته "بابل" قوائم بأسماء الشعراء والفنّانين والكتّاب المعارضين للدكتاتورية وتطالبُ بأذيّتهم وقمعهم وتقولُ عنهم انّهم لا يستحقون ماء دجلة والفرات، وتنشر ضدّنا أيضاً صحيفة "الزوراء" التي تصدر عن نقابة الصحفيين قوائم تتهمّنا بالخيانة والانحراف. أبقى محتفظاً بجنسيتي العراقية لأنني لا أُبدّل العراق بِكُلّ بلدان العالم وسأثبت لَهُم انّني أكثر عراقية منهم". حاولَ اقناعي بضرورة الحصول على الجنسية السويدية فتحجَّجتُ انّني لا أمتلك ثمن رسوم المعاملة البالغة 1500 كرون، يعني 150 دولاراً. هوَ أيضاً لا يمتلك المال. بعدها بفترة جاء صديق يزورني وسألني عَن خَبر الحصول على الجنسية فأخبرتهُ انّني أشتريت بالمبلغ كتباً. صار عصبياً وأخبر آنّا انني لازم أرسل المعاملة وهوَ سيتكفَّل بدفع المبلغ وانّه يخشى أن تأتي قوانين في المستقبل ووووالخ. قادَني الى الدائرة ودفعَ المبلغ والمعاملة والصوَر. بعد اسبوع وصلتني الجنسية السويدية. هنا خبر نُشرَ في صحيفة "الزوراء" التي كانت تصدر عَن نقابة الصحفيين العراقيين برئاسة عدي صدام حسين، يوم 2 / 3 / 2000العدد 143

تلقت "بابل" رسالة بعث بها نخبة من المثقفين العراقيين تتحدث " عن شجون الأوساط الثقافية ورحيل طوابير من كتّاب وصحفيي وفناني العراق الى خارج الوطن بعد أن أنهى التجمّع الثقافي أعماله وتولى وزير الثقافة والاعلام السابق السيد عبد الغني عبد الغفور الاشراف على النقابات والمنظمات التي كانت منضوية تحت لواء التجمع. وتقول الرسالة "لقد كان التجمّع خيمة تؤوي كل المثقفين الذين جادوا بكل المواهب والقدرات من أجل الوطن

والقائد والمسيرة الظافرة، وقد توفرت لهم حينها كل أسباب العيش الكريم والرعاية، ولكن المؤسف والمحزن أن نرى العشرات اذا لم نقل المئات منهم وقد هاجرت الى خارج حدود العراق الحبيب بحثاً عن لقمة عيش مغمسة بكل الوان المذلّة وآلام الغربة. كفاءات بناها ورعاها الوطن وصار جهدها في خدمة الآخرين، واعداد أخرى انحرفت عن خط العراق وارتمت في احضان أعدائه" ويتساءلون: لمصلحة مَن حدث كل ذلك؟ وقد أرفق مرسلو تلك الرسالة قائمة بأسماء بعض المثقفين ممن هاجروا من البلد بعد تاريخ 15 / 5 /1995.

(45)

أمضيتُ السَنوات 1980- 1994 مِن حياتي بالعراق خارج البَيَت العائلي بسبب تأديتي للخدمة العسكرية الالزامية التي بَلَغت 12 سنة، وكُنتُ أعيش يومي أثناء الاجازة الدورية مِن وحدتي في المقاهي والحانات والمكتبات والأوساط الثقافية مَعَ رَهط مِن الشعراء والكتّاب. أكاديمية الفنون الجميلة. معهد الفنون. منتدى المسرح. اتحاد الأباء والكتّاب. المكتبة الوطنية. مكتبة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني الخ. عندما أعودُ مِن جبهة الحرب في اجازة كُلّ شَهر، أستأجر التكسي مباشرة مِن كراج " النهضة" الى مقهى "حسن عجمي" والتقي الأصدقاء وفي المساء نذهب الى نادي اتحاد الأدباء. نمضي الوقت كُلّه في الثرثرة والصخب والادعاءات ومِن ثم نذهب الى بيوتنا سكارى. "السيستيم" هوَ هوَ ويتكرَّر في اليوم التالي. في اليوم الرابع. الخامس، والى أن تنتهي اجازتي فالتحق بوحدتي حاملاً معي أكثر مِن 10 كتب. كُنتُ أظنّ أن أصدقائي الشُعراء الذين يواصلون دراساتهم في الكلّيات أو يؤدّون خدمتهم العسكرية في دائرة التوجيه السياسي ببغداد، يقرأون الليل والنهار وكنتُ أمضي أيَّام الاجازة معهم "طَرْبَكة بطرْبَكة" . أستلمُ راتبي مِن وزارة النفط كُلّ يوم 27 مِن الشَهر وأنْفقه على الشَراب والكتب وأشتَري " شوية" ملابس وأحياناً أمنح عائلتي بعض الدنانير. قرأتُ الكثير في زَمَن

الحرب بالخنادق فوق الجبال وكتبتُ الكثير وكنتُ لا أهتم بفنّ السينما، والأفلام التي شاهدتها في دور السينما ببغداد قليلة جداً، لكنّ بعد تسريحي مِن الخدمة العسكرية الالزامية في أعقاب حرب عام 1991 وتأسيس منتدى السينما. حاولتُ أن ألمّ بأشياء مِن هذا الفنّ. شاهدتُ القليل مِن الأفلام وبقيتُ أفتقر الى الثقافة السينمائية بسبب العادة التي دأبتُ عليها. الجلوس الطويل في المقاهي والصخب في الحانات وَعَدم القراءة والتأمّل. في السويد كما في بلدان كثيرة تتابع الناس بشغف السينما والأفلام وحينَ يظهر فيلماً جديداً، فالناس تشاهدهُ في دور السينما أو تشتريه وتشاهده بالبيت عبر الفيديو. كُنتُ أمرّ على المحال التي يمكن للمرء أن يستأجر منها الأفلام وأرى الكثير مِن الأشخاص يستأجرون كُلّ 4 أفلام لمدّة اسبوع بمبلغ زهيد جداً، وفي محال أخرى يأتي الناس اليها ويتبرَّعون بالأفلام فيتمّ بيعها بسعر قدح الماء. أُريدُ تعويض ما فاتني في مجالات القراءة الكثيرة وظلَّ هاجس الثقافة السينمائية يثقل ضميري. ذكرتُ مرَّة انني لا أشاهد التلفزيون إلاّ مرَّات قليلة في الاسبوع واذا تكون آنَّا عندي في البيت فيبقى التلفزيون "شَغَّال" الى أن يحين موعد النوم. نشاهدُ فيلماً وتسألني ان كُنتُ رأيته مِن قبل فأخبرها انني لم أره. أفلام أخرى كثيرة حصلت على الأوسكار ومعروفة، أخبرها أيضاً انني لم أرها حَتَّى صرتُ أخجل مِن أسئلتها المُتكررة. اقترحتْ عليَّ انّها تعيرني كتاباً في السينما وأظنّ عنوانه "لا تمت قبل أن تشاهد هذه ال 1001 فيلم". أخذتهُ ورحتُ أتهجَّى وأتمعَّنُ في الصور وأحاولُ التعرّف الى هذه الأفلام و "شوية شوية" أحببتُ السينما. قمتُ بعد أن أعارتني آنَّا الكتاب بشراء كتب السينما وأشرطة الفيديو وأختارُ الأفلام التي قرأتُ عنها. طبعاً هذا قبل ظهور اليوتيوب. ستزول فيما بعد أشرطة الفيديو ويحلّ محلّها قرص ال سي دي.خلال 10 سنوات تجمَّعَ عندي ما يقارب ال 3 آلاف فيلم. صرتُ بعدها اذا أشاهد عبر التلفزيون مَعَ آنَّا الكثير مِن الأفلام وتسألني عَن بعضها. أجيبها، نعم هذا الفيلم شاهدته. أشرطة الفيديو الكثيرة تشغل حيّزاً كبيراً في البيت وبعد مشاهدتها، انتَفَت الحاجة اليها. أخبرتُ آنَّا انني سأتبرَّع بها الى محال الانتيكات فوافقت. ظلّت

عندي كمّية أتكاسل أن آخذها الى محلّ وأتبرع بها أو أرميها في الزبالة.

(46)

كانَ التمتّع يجري في الحانات حيث تتوافر الخمرة والبيرة وهي توجد في أغلب مدن وادي الرافدين، وكانت النساء في الغالب هنَّ ندل الحانات، وهنَّ مسؤولات عن تخمير البيرة، كما أن النساء مسؤولات عن الطبخ في المنزل، ووفقاً لما يقوله مثل سومري:"ما دامت زوجتي خارجة الى المعبد وأمّي عند النهر، فإنني سأموت جوعاً" .

كاثي ك . كوفمان.
كتاب "الطبخ في الحضارات القديمة"
ص 74

(47)

عندي عمال شركة السكن يصبغون الشقّة والدواليب، أقنعتهم أن يشربوا معي الفودكا. وافقوا مع أن أمثالهم لا يوافقون على هيك دعوة. عملوا الساعة العاشرة صباحاً والى ما بعد الظهر لم يكملوا سوى صبغ المطبخ والحمّام. أكلوا وسكروا وأنا أيضاً أوشكت على السُكر. الشفيعة تريد المجيء وتشرف على أعمال الصبغ. أقول لها :"لا تجين" وهي مصرة على المجيء. بس تشوفنا مطايا نخربط ونلوّص، راح تسوّي لي مناحة .

(48)

مِن المعلوم أن الخمرة مُحرَّمة في الاسلام . شرطة وعقوبات وسجون وجهنَّم والخ لكن الشعر العربي طوال تاريخه تغنَّى بالخمرة ووضعَ لَها أكثر مِن 75 اسماً وكانت هُناك طقوس لأوقات الشراب.
الصَبوحْ: الشراب قبل طلوع الفجر
القَيل: شراب نصف النهار
الغَبوقْ: شراب العشى
التخية: شراب المغرب إلى العشاء
الجاشِرية: شراب آخر الليل.

تَردُ في الكثير مِن كتب الأدب، أوزان ومقادير الشراب مثل "رطل" : أمرَ الخليفة أن يسقى رطلاً فسَكرَ وعربد عليه، وفي العامية العراقية يقولون:
"مِن تشرب عرق لازم تقيسة
لا تقع بين الناس مثل الفطيسة".

(49)

قراءتنا لقصائد الشعراء الذين لا يحرصون على تعلم الاصول الشريفة لفن الشعر ، تجعلنا نشعر وكأننا نجلس في حدائق أدغالها ايور حمير .

(50)

الموت موضوع كبير في تاريخ الشعر بالعالم. منذ ملحمة جلجامش . يسألني صديق عربي" نصيف، لماذا تلّح على موضوع الموت؟" أجبتهُ انني لا أتقصّد الكتابة عن هذا الموضوع. طبعاً هو لم ير مثلي موت الكثير من الأصدقاء الجنود بقذائف المدفعية أو بقصف الطائرات أو قصف الملاجىء، ولم يعرف أيّ شيء عن الاعدامات الجماعية لأهلنا وشبابنا بالعراق طوال دهر مِن القَهر والجبروت. لا يمرّ يوم إلاّ ويموت الآلاف من العراقيين. الموت منذ بدء الخليقة ماركة عراقية خالصة. لماذا يموت شبابنا اللطفاء الشعراء والفنّانين. أحمد آدم، رعد مطشر، حنين مانع. كريم جثير. سمير الصحن، قاسم مطرود، فرقد الحسيني. زمن عبد الخ. هناك المئات لا أستطيع عدّهم. الرحمة الإلهية لأرواح الموتى العراقيين .

(51)

كتبَ صديقي الكاتب حسن عبد الرزاق تعليقاً بصفحته في الفيس بوك، على قصيدة نشرتها في السنة الماضية.
خفف قليلا من عتمة الصو،فأنتَ ابن الحاضر وهناك من يحتاج ".
"الى زاد الشعر
سرَّني هذا التعليق مِن صديق مبدع وكتبت ردّاً:
"نعم، أحاولُ مِن خلال الصورة المعتمة أن أشْهد على زمني وعلى الراهن في العالم الذي يستلبنا حيواتنا وآمالنا وأحلامنا. لا يهمّني الحاضر بشخوصه ولا أولئك الذين يحتاجون الى زاد الشِعر. لاشيء لدى الشِعر ما يعطيه الى أحد ما. تجربة شخصية ذهنية يحاول فيها الشاعر أن يصالح ظلامه ويتدرَّب على موته. أغلب الشِعر العربي الآن يكاد يخلو مِن الصور إلاّ ما ندر.
لا أمل ولا نجاة مِن الغرق في الاحباط
سوى الاخلاص للكتابة والحنوّ عليها

وصيانتها مِن الغبار.
أنا رجل لا شيء في حياته له قيمة
سوى الشِعر".

(52)

تلقيت قبل سنوات دعوة لحضور مهرجان شعري في بلد خليجي، يحضره شعراء من العالم العربي. علمتُ حينها أن شاعرات منقبات سيحضرن في هذه الكارثة. حاولت الاعتذار الى الشخص الذي وجّه الدعوة لي وتحجَّجتُ بحِيَل كثيرة. شعراء من العصر الجاهلي. شاعرات مُقَنّعات. و الشراب ممنوع. قال لي: "نصيف تعال وكل شي راح يصير كويس. الشراب في بيتي" . أجبتهُ:"هل تعتقد انني اترك الحانات السويدية وأطير الى....... حتّى أشرب في بيتك؟

(53)

لا يكتبون في النرويج ولا يلفظون كلمة "زنجي" أو " أسود" وكلّ ما من شأنه أن يخدش كرامة الانسان. في السويد نفس الشيء. أجمل ما في اللغة السويدية انها تخلو من كلمات مثل "دولة الرئيس. جلالة الملك. صاحب الفخامة الرئي . سيادة الوزير. سيادة المحافظ، أو سيدنا، الشيخ الخ، واذا تمت مقابلة رئيس الوزراء في التلفزيون أو الملك مثلاً. يُسأل هكذا:"فلان، ماذا ستعمل في ....". أعيش مع بشر من 179 دولة. أديان وقوميات ومذاهب ولغات وتقاليد والخ. هؤلاء البشر لا أحد فيهم يشتم انسان ما، ولا أحد فيهم يسأل: "هل أنت سنّي أم شيعي" والشعراء والفلاسفة والكتّاب في هذا البلد، لا علاقة لهم بالسياسة آملُ أن يبتعد والسياسيين ولا يتنطعون لهذا الحمار وذاك البغل الشاعر والصحفي والكاتب والفنان عن السياسي والحزبي ويحترم نفسه ويروح يواصل ابداعه بحرّية تامّة.

(54)

في مؤتمر المثقفين الذي انعقدَ في هافانا أواخر الستينيات، صَادَفَتْ الشاعرة جويس منصور ، الرسام المكسيكي سيكيروس – قائد محاولة اغتيال تروتسكي الأولى – فدست خنصرها في مؤخرته أمام جميع الحاضرين، مُردِفَةً :

"هذا من طرف بريتون"،

ومع أن مغفل الأربعينيات كان قد أدرك – لاشك – بحلول الستينيات، إن لم يكن قبل ذلك – أنه كان مجرد واحد من حمقى كثيرين، إلاّ أن من المؤكد أنه كان يستحق هذا الإذلال، من طرف أيَ أحد .

ترجمة: بشير السباعي

(55)

عَرفتُ قَبْلَ أَكْثَر مِن سَنَة معلومة رائعة وأنا أمسح الشعر العربي القديم "كُلّ يوم قراءة أَكْثَر مِن 8 ساعات". ان شِعْرنا القديم يَتَفَوَّق على الشِعر الاغريقي والروماني للأسباب التالية:

1 - الشِعر الاغريقي عدا شُعراء الملاحم. حوليات وموضوعات المسرح وأشياء تُعْنى بالزراعة والخ.

2 - الشِعر الروماني. حوليات ومنظومات وغنائيات. شُعَراء كبارطبعاً، انقرضوا وانقَرَضَت أغْراضهم.

3 - الشعر العَربي. شعر الحياة ومشاكل الفرد في الحُبّ والموت والزَمن. منذ بدايته والى الآن ظَلَّ في أوْدية وذرى، والخ

(56)

أتاحت لي فرصة مشاهدة السيدة غودرون شيمان الزعيمة السابقة لحزب اليسار السويدي "الحزب الشيوعي" سابقاً عن كثب واللقاء

بها وهي تقف في ساحة "مولفون توريَت" في مدينة مالمو ممسكة بمايكرفون من دون رجال حماية ومعها حفيدتها وشاب مسؤول عن أجهزة الصوت. التفكير في الدعوة الى محاكمة قتلة زعماء أحزابنا العربية. السيدة غودرون كانت تطرح برامج سياسات بديلة عن تلك البرامج التي تطبقها الحكومة السويدية اليمينية الراهنة، ولا أحد يتعرض لها ويحاول زجّها في السجن. سنة 1949 تم اعدام انطون سعادة زعيم الحزب القومي الاجتماعي السوري بتهمة الشوفينية والفاشية ومعاداة القومية العربية وبقيت جريمة اعدامه من دون محاكمة، وفي سنة 1971 أعدم الرئيس السوداني جعفر نميري زعيم الحزب السوداني عبد الخالق محجوب ورفاقه ولم تتم محاكمته على جريمته المخزية وقبلها بعد الانقلاب الأسود الذي قام به حزب البعث بالعراق. أعدم زعيم الحزب الشيوعي العراقي سلام عادل من قبل قادة الانقلاب الفاشي ولم تتم محاكمة أيّ أحد منهم. أما مؤسس حزب الدعوة العراقي السيد محمد باقر الصدر فقد أعدمه صدام حسين سنة 1980 وفي اليمن الجنوبي قام رئيس الجمهورية والأمين العام للحزب الاشتراكي علي ناصر محمد سنة 1986 باعدام خصمه السياسي ومنظرّ الحزب عبد الفتاح اسماعيل لتندلع الأحداث الدامية ويهرب الى سوريا. هل حان الوقت الآن لمحاكمة هذه الثقافة الفاشستية لينال مَن يمارسها، الجزاء العادل جراء ما اقترفه من جرائم مخزية؟

(57)

آكلُ باقلاء مسلوقة وجاءت صديقة قديمة تزورني ومعها طفلتها 5 سنوات. بعد الترحيب والخ. ذهبتُ الى المطبخ لأعدّ القهوة وتبعتني الطفلة. ضرطتُ فضحكت وقالت: "

ناسيف، أنتَ طيزك عصبي، مثل طيز أُمّي".

يعني فوق الافلاس والكآبة

تُعيرني ابنة الضرَاطة.

(58)

في المرّات المُتكرّرة لهروبي مِن الخدمة العسكرية الالزامية إبان الحرب العراقية الايرانية. كنتُ اختفي بالبيت ولا أظهر نفسي للجيران خشية ابلاغ المنظمة الحزبية التي تقع الى جوار بيت العائلة بمدرسة الجبل الأخضر مدينة الثورة قطاع 9 . يستمر هروبي في كلّ مرّة سَنَة أو 8 شهور أو 5 الخ . كانت زهرة أمي الرائعة تشتري لي كلّ يوم الصحف والسجائر ولا توافق المرحوم أبي على التحاقي نادماً الى وحدتي العسكرية. معلوم أن جريمة التستّر على هارب مِن الخدمة العسكرية، تعتبر جريمة كبرى بعرف نظام صدام حسين. سبّبتُ الكثير مِن المشاكل الى أمّي في حياتي وأنا أدين لها بأشياء عظيمة. عمري الآن 55 عاماً. أنا ابنها البكر وما تزال تعتقد أن عمري 6 سنوات. كُلّما أتكلّمُ مَعها عبر الهاتف تقول لي: "نصيف، مشتاقة لك جداً. هل أراكَ قبل أن أموت؟ "

(59)

سنة 2007 كُنتُ ببرلين ومعي مبلغ مِن المال لا بأس به. رأيتُ في أمكنة كثيرة الأعمال الكاملة لبيتهوفن 82 قرص سي دي. سعرها 40 يورو. بالسويد توجد أعمال كلّ عباقرة الموسيقى الكلاسيكية بسعر أقلّ مِن الماء. حاولتُ شراء أعمال بيتهوفن لكنّي فضّلْتُ شراء قوارير الفودكا والويسكي. الآن بعد أن تَركْتُ الشراب فقد حالفني الحظّ هذا اليوم وعثرتُ بمحل انتيكات على هذه الأعمال ب 20 دولاراً أعرف انّها موجودة في اليوتيوب لكنّي أُفضِّلُ الإنْصات اليها عبر ال سي دي.

(60)

رَغَبْتُ في سنوات مراهقتي أن يكون اسم الفتاة التي يختارها لي أبي ويرغمني على الزواج منها "فريدة". أدركتني حرفة الأدب وتصعلكتُ ورافقتُ جان دمو 18 سنة فأحبَبْتُ امرأة فريدة وأدمَنْتُ شراب البيرة ماركة "فريدة" وطاح حظّي. ليشْ فَريدة، لستُ أدري؟

(61)

كُنتُ قد ذكرتُ في زَمن مضى انني رَميت الستلايت في الزبالة وتخلصتُ مِن الخراب العربي. أثناء زيارة الى اوسلو التقيتُ أصدقاء وأعطاني أحدهم ستلايت. منذ أكثر مِن سنة أفتقد القدرة على تركيبه والوقوع في فخ إدمان مشاهدة القنوات العربية. قليلة هي المرّات التي أشاهد فيها قنوات التلفزيون السويدي. استمع الى الأخبار في الراديو أو أقرأها في النت .

هل يمكنني مشاهدة القنوات العربية
وأنا أقرأ وأكتب بعد مجيئي مِن العمل أوالدراسة؟

(62)

كنتُ مهموماً طوال اليوم ولا أريد مجيء الشفيعة. ليلة عطلة وهي لا تقبل أن أشرب وأدخن. المهم. مرَّ الوقت وعادت من عملها فتغدَّت وذهبت الى بيتها. اتصلَ بي صديق يريد المجيء. معه شريط كاسيت صادر سنة 1999 لمطرب عراقي شاب وأحد شعراء الشعر الشعبي الحلمنتيشي. صاحبي يشرب الفودكا بسرعة. بعد نصف ساعة قَنْدل ورغبَ أن يسمعني شريط الكاسيت. الشاعر يصرخ :

"الناس تلبس دشاديش بيها جيوب".
ايش في الدشاديش سوى الجيوب
قنادر مثلاً؟

(63)

سنة 1996 كنتُ أعيش في عمَّان. أذهب الى المقهى مبكراً. أشتري صحيفة "الدستور" وصحيفة "الرأي" وأقرأهما وانتظر مجيء الأصدقاء. اعتاد رجل أن يطلب مني واحدة من الصحيفتين. حين أغادر المقهى ، اترك له واحدة فيسرّ دائماً. في يوم ما نشرتُ في "الدستور" قصيدة. اشتريتها ولم أشتر "الرأي" . حين عرف صاحبي انني شاعر، سألني بعد أن قرأ القصيدة: "استاذ، هذا الشعر يطلع من قلبك؟. أجبته: "لا، يطلع من طيزي"

(64)

الكتابة كمِنهاج.
في اللغة العربية
منهاج، وسيلة محدّدة توصِّل الى غاية معيَّنة.
نذرتُ نفسي مِن أجل أن أكون شاعراً حقيقياً
حتى تكتمل حياتي على الأرض
واللحظات الضئيلة الممنوحة لي في العيش.
تُحتِّم عليّ أن أسعى الى غاية ما.
كيف أصل الى تحقيق هذا الوهم الذي سعيتُ وأسعى دائماً خلفه؟ أحتاجُ الى مِنهاج للوصول الى الضفة الغريبة لفنّ الشِعر.

أكتبُ كلّ يوم. لا خلاص لي.
أغبشُ في الساعة الخامسة صباحاً
وأجهّز حالي وأذهب الى العمل المجَّاني
مِن أجل أن أحصل على قروش المساعدة
الاجتماعية الضئيلة. بعد ساعات العمل أجيء
الى البيت منهكاً. أنزع عني المعطف وأذهب
الى المطبخ. أعمل كوب القهوة وأباشر الكتابة
مرَّات كثيرة اكتشفت فيها بعد كتابة 3 قصائد
أو أكثر ،انني لم أنزع غطاء الرأس أو الحذاء.

ايش أسوَّي اذا لم أكتب، وثلوج وبرد وظلام
ووحشة السويد كارثة؟

لا خلاص لي إلاَّ في الكتابة.
أكتب كلّ يوم وفي النهاية
أختار من كلّ 10 صفحات
صفحة واحدة.

(65)

وصايا بوذا.

لا تقض على حياة حيّ
لا تسرق ولا تغتصب
لا تكذب
لا تتناول مسكراً
لا تزنِ
لا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه
لا ترقص ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء
لا تتخذ طيباً

لا تقتنِ فراشاً وثيراً
لا تأخذ ذهباً ولا فضة " .

السيدة وندي التي تحفظ وصايا بوذا هذه من تايلند، صديقتنا آنّا وأ . تعيش بالسويد منذ 9 سنوات . انفصلت عن زوجها السويدي وتعمل في تنظيف المستشفيات وتعيش وحدها في كوخ ستوكَ " غابة من أجل توفير المال لافتتاح كازينو أو مطعم في المستقبل . تزورنا ونزورها أحيانا . هي متدينة وملتزمة بوصايا بوذا وتحتفظ له كعادة الكثير من البوذيين التايلنديين بتمثال يجسده ضخماً على العكس من البوذيين في بورما والهند وبعض البلدان الفقيرة حيث يظهر بوذا بمظهر شخص ضعيف البنية . ربما لأنهم جياع ويعتقدون انه جائع مثلهم . ألم يشكّل البشر على مرّ العصور آلهتم على أشكالهم ؟ السيد المسيح في كمبوديا وفيتنام يظهر بعيون صغيرة ووجه مثل وجوه محبيه وعُبّاده في هذين البلدين . في يوم ما دعتنا وندي الى كوخها وقالت : انني نذرت الى بوذا نيلو تفاح . ذهبنا الى الكوخ وتحت لهب الشموع ورائحة البخور، صلّت الى معبودها وقدمت لنا تقدمتها . أثناء تناولنا للنذر أخبرتنا وهي مهمومة أن حياتها التي تحياها الآن على الأرض هي السابعة والأخيرة ويتوجب عليها أن تحافظ على وصايا بوذا والصلوات اليه من أجل أن تدخل الجنة وإلاّ فأن مصيرها سيكون الجحيم . واسيناها وتمنينا لها حياة طيبة مريحة في الحياة وما بعد الموت . صديقي العراقي "........." الذي ملّ من حبيبته السويدية الثرية والتي يعيش في بيتها منذ 4 سنوات وراح يغازل ويتصل صديقتها . تم طرده شرّ طردة من قبل حبيبته حين أخبرتها صديقتها انه لا يحبها وانه بدأ منذ مدة يعاكسها ويتودد اليها . الملعون في كل مرة التقيه يجعلني أشعر بالغيرة والحسد منه : هل تعرف يا نصيف كم ثمن هذه البدلة؟ هل تعرف كم ثمن حذائي هذا ؟ هل تعرف كم ثمن هذه الساعة الخ" أعرف طبعاً أن المرأة الثرية هي التي تشتري له هذه الأشياء وسواها ."..........." متدين ويحرص على اقامة الصلوات كلّ يوم في أوقاتها وحين أسأله : كيف تسمح لنفسك أن تعيش مع هذه المرأة خارج طقس الزواج وأنت مسلم متدين؟

لا يجيب . انه راض طالما انها طيبة معه وجميلة وثري . بعد طرده ظل أكثر من 4 سنوات ي حث عن امرأة فلا يجده . في يوم ما وأنا ووندي وآنّا في بيتنا نشاهد فيلم لعرّاب بأجزائه الثلاثة طرق الباب . استقبلناه بهلا ومرحب . لغته السويدية لا بأس بها ويستطيع قر اءة الترجمة لكنه لا يعرف أيّ شيء عن ماريو بوزو ولا عن فرانسيس فورد كوبولا أو مارلون براندو و ل باشينو . شرب القهوة ودخّن في الشرفة وبدأ يضجر من مشاهدة الفيلم الطويل . دعاني الى الشرفة وقال لي : هاي شنو المرأة اللي عندكم ". صديقتنا قلت له . هل هي ه زوجة أو مطلقة أو عز ها صديق؟ . لا ، أجبته . انفتحت أساريره وق دل وصد دل . هل تستطيع أن تعرّفني ليه . لك بشرفي متت من ضرب الجلق ". بس هي بوذية متدينة وأنت مسلم ". سأ اول أن أقنعها ونتزوج زواج متعة " قال لي البغل بثقة . لماذا تعتقد انها توافق على اقتراحك؟ . لم أفلح في اقناعه طوال أيام وأمام الحاحه وكثرة اتصالاته المزعجة في الليل والنهار طردته وقطعت علا تي به .

(66)

دعتني آنّا بمناسبة عيد الحبّ سَنَة 2005 الى حفلة موسيقية ساهرة تقام في مدينة مالمو ب "كومفوكَس سودرفَرن". كان عنوان الحفلة "ماما ميّا" الأغنية الشهيرة لفرقة آبا السويدية التي سطع نجمها في السبعينيات من القرن الماضي، وأخبرتني انَّني يتوجَّب عليّ كما يتوجَّب عليها وعلى الآخرين. ارتداء أزياء من فترة السبعينيات لأن الغاية من الاحتفال هي العودة الى موسيقى ومناخ تلك الفترة، واقترحت على الرغم من اننا نستمع الى أغاني آبا بين الحين والآخر، أن نعيد مشاهدة فيلم ماما ميّا الذي أخرجته فيلدا لويد و لعب أدواره ميريل ستريب وأماندا سيفريد وبريس بوسنان وكولين فيرث وستيلان سكارسجارد. شاهدنا

الفيلم مرتين في جلستين متفاوتتين وواجهتنا مشكلة العثور على أزياء ترتديها هي من فترة السبعينيات. بالنسبة لي لا معاناة عندي في هذه المسألة باعتباري "صعلوك وغجري" أمتلك الكثير من الأزياء الغريبة والشبيهة بأزياء المسرحيات. صديق لي أهداني مرَّة قميصاً ثميناً من النوع الذي يرتديه المرء حين يذهب الى البحر وهو ملون وفضفاض ويشبه شرشف نافذة أو مائدة، بالأضافة الى هذا القميص الذي قررت أن أرتديه. لدي بنطال جينز قديم "جارلس" بعرض 30 سنتمتراً وحذاء عسكري طويل" بسطال" ، أما الاكسسوارات. القلادة والأساور فاستعرتها منها. شعر رأسي لم أقصه منذ 9 سنوات. اذن أنا هيبي حقيقي. اقتربت ليلة الحفلة وآنّا لم تستطع العثور على الأزياء المطلوبة. أقنعتها أن تسأل صديقاتها ربما تمتلك أحداهن ما ترجوه لكنها لم تسأل. عثرت في أحد محلات الأزياء المستعلمة على بعض ما هو مطلوب بسعر مرتفع وبدا مظهرها في هذه الأزياء مضحكاً. قبل الحفلة بساعات توجب عليّ أن أخدعها وأتغيب عنها من أجل أن أشرب الخمر حتى أستطيع الرقص من دون خجل "لست أدري لماذا لا تريدني أن أثمل". قالت انهم سيقدمون لكل ضيف كأس فودكا، أما الأطعمة فهي بالمجان. جاءت المعجزة من صديقي الشاعر هاشم القريشي الذي اتصل بي عبر الهاتف وأخبرني انه يودّ دعوتي الى بيته واحتساء نوع من العرق السوري. أخبرت آنّا كاذباً أن هاشم يطلب مساعدتي له في نقل بعض الأغراض من مكان ما الى بيته. اشترطت عليّ أن أذهب وأعود اليها قبل الحفلة بساعة. جاء هاشم بسيارته وأخذني الى بيته. أخبرته انني يتوجب عليّ أن أعود في الساعة الثامنة مساء. منذ زمان لم أحتس العرق السوري وهذا العرق الذي يباع هنا " أوزو 37 فوليم" مللته جداً. عدت اليها في الوقت المحدد منتشياً وأنا أغالب سكري بعد أن شربت أكثر من نصف قارورة، محاولاً أن أخفي عنها ما فعلته لئلا تفسد نشوتي. "أبوعلي يبلغكِ تحياته الحارة .نقلنا الأغراض الى بيته ودعاني الى كأسين من العرق" . "تحياته الحارة له. لا بأس. في الثلاجة بيرة بولونية ثقيلة 5 % 7 فوليم هات واحدة لك وواحدة لي". يا إلهي. بيرة ثقيلة. سأفتضح بالتأكيد. أثناء

التدخين في الشرفة وحدي كنت أصبّ محتوى العلبة في أصص الأزهار وكنت كلما أنهي علبة تحضر لي واحدة أخرى حتى صببت 4 علب من تلك البيرة الثقيلة. بعد أن انتشتْ هي وتعتعتها البيرة قالت لي :" يبدو انك انتشيت". أجبتها: "نعم انتشيت جداً. بيرة لذيذة". في "مالمو تتنوع وتتعدد أجناس البشر. في الحفلة ضاعت مني آنّا أمام هذا التعدد والتنوع في الوجوه والأجساد والأزياء. وجدتني أرقص مع فتيات من كل بلدان العالم بأزياء مسرحية خرافية على أنغام أغنيات فرقة آبا. آنّا غادرت الحفلة مبكراً غاضبة وحزينة بعد أن اتهمتني بعدم الاهتمام بها. حاولت جاهداً الاعتذار منها والرقص معها لكن محاولاتي باءت بالفشل أمام عنادها واصرارها على المغادرة. في صباح اليوم التالي وأنا أدخن في شرفة منزلها. نهضتْ من النوم ومن دون القاء التحية طلبت مني المغادرة فوراً. طبعاً أعرف منذ سنوات لحظات غضبها ومزاجها حين تكون مستفزة. غادرت المنزل بصمت بعد أن قبلتها واتجهتُ الى بيتي وأنا ميت من الضحك على ملابسي الشبيهة بملابس مهرج. بعد تلك الواقعة السوداء التي فعلتها في الرقص مع النساء الجميلات في الحفلة وعدم الاهتمام بها، شعرت بضميري يوخزني وبالخجل من تصرفي السخيف بسبب سكري الشديد والاندفاع صوب نساء مبهرجات لا أعرفهن. استمر غضبها مدة ثلاثة أسابيع وبعدها اتصلت بي "يبدو انها تناست فعلتي القبيحة" تدعوني الى رحلة بالباخرة في بحر البلطيق يومي السبت والأحد بمناسبة يوم المرأة. قالت أن الرحلة ستكون على هذا الشكل "الانطلاق من مدينة إيسْتاد الساعة التاسعة مساء باتجاه بولونيا. الذهاب 9 ساعات والعودة 7 ساعات. حفلة راقصة والطعام بوفيه مفتوحة. سوق حرّة. أسعار الشراب في البار بأسعار بولونيا. كابينة نوم يشاركنا فيها أحد ما" . ماذا يتوجب عليّ الآن أمام هذه الدعوة اللطيفة والكريمة للابحار في بحر البلطيق مع الشفيعة؟ نعرف نحن الشعراء السطر الأخير الذي تنتهي فيه قصيدة المرحوم عبد الوهاب البياتي "رؤيا في بحر البلطيق" المكتوبة بكوبنهاكن في 20 / 4 / 1976 والذي يقول فيه " يموت الدكتاتور ويبقى الشاعر" وأمام هذا السطر الذي كنا ننتظر تحقيقه سنوات طويلة

تحت حكم الديكتاتورية المقيتة لنظام الطاغية. ضاعت الكثير من حيوات البشر والأحلام والمشاريع والآمال التي لا نهاية لها. دعوة آنّا لي الى رحلة في بحر البلطيق أثارت في نفسي الكثير من المواجع والمآسي التي حاولت ردمها دائماً وأثارت فيّ الشجون العليلة. أروي هنا هذه الحادثة التي طالما حدثت أصدقائي عنها في مناسبات مختلفة . في ليلة 13 / 5 / 1986 أثناء هجوم للجيش الايراني في الحرب العراقية الايرانية على وحدتي العسكرية التي كنت أخدم فيها مجنداً اجبارياً فوق جبل كردمند الذي التهم الآلاف من الشباب العراقيين منذ تاريخ احتلاله للمرة الأولى من قبل الجيش الايراني عام 1983 وحتى نهاية الحرب عام 1988. تمنيتُ وطلبت من الله أن يخلصني من الموت الذي بدا قريباً جداً من حياتي البائسة والفقيرة في تلك الليلة المشؤومة وأنا أخفي نفسي مع جنود آخرين مذعورين مثلي في سنّ صخري عند الحافة اليسرى الحادة لذلك الجبل. كان القصف الصاروخي الكثيف ومدافع ال 106 ملم والانفلاقات الجوية لقذائف المدفعية النمساوية الثقيلة التي تطلقها القوات الايرانية باتجاهنا. أشبه بيوم القيامة كما تصوره الحكايات والأدبيات الشعبية الدينية. في تلك اللحظات المحفورة في ذاكرتي الى الآن. تمنيت اذا سقطت فوق رأسي قذيفة مدفع أن تبتر جميع أطرافي بشرط أن أبقى حياً. في الأيام التالية التي أعقبت الهجوم وهدأ فيها القصف الكثيف. تمنيت أيضاً ،بل حلمتُ في تلك اللحظات أن يبقيني الله سالماً معافى وأن يمّن علي برحمته الكبيرة وأن ينجّيني من الحرب وأن يسهل لي طريق العيش في اوروبا مدة 3 سنوات ومن ثم يخطف روحي بعدها. الآن أنا أقيم في السويد منذ 17 سَنَة معافى وجميع أعضاء جسدي سالمة والذي سبّب تلك الحرب اللعينة ودمرّ المجتمع العراقي وحيوات وأحلام الناس مقبور تحت التراب. قبل انطلاق الرحلة بليلة كان السطر الأخير لقصيدة البياتي يرّن في أعماق نفسي بقوّة. نعم مات الدكتاتور يا عبد الوهاب كما قلت وستبقى أنت وجميع شعراء العراق أحياء. أخبرتها بما يجول في نفسي حول ما قاله البياتي في قصيدته وشعرتْ بنبرات الشجن في صوتي. واستني واقترحت أن أطرد هذه

الأفكار عن ذهني عبر جلسة شراب نقيمها في مطبخ منزلي. ذهبتْ الى السوق وعادت تجرّ عربة التسوق. نبيذ اسباني أحمر. بيرة .بيتزا. أقراص سي دي لفرانك سيناترا وخوليو ايغليسياس. كانت ليلة رائعة اختلطت فيها دموعي على من ماتوا وعلى من ظلوا أحياء من أصدقائي. في مساء اليوم التالي جهزنا حقائبنا وقصدنا " ايستاد" بسيارتها التي أبحرت معنا في الباخرة. قالت لي انها تود أن تشتري بعض الأشياء من الأسواق الواقعة على الحدود البولونية الالمانية وهنا تكون سيارتها نافعة نظراً للساعات القليلة التي سنقضيها هناك. كانت الباخرة مليئة بالنساء أكثر من الرجال وكالعادة، التعدد الكبير والواضح للأجناس من كل الألوان والأشكال والمناسبة هي يوم المرأة العالمي. وضعنا حقائبنا في كابينة النوم واتجهت أنا مسحوراً برؤيا البياتي الى النظر في مياه البلطيق التي كان ظلام الليل يغطيها تماماً. هل حقاً مات الديكتاتور وظل الشاعر يحدق في أمواج وسماء بحر البلطيق؟ اشتريتُ وردة حمراء وأهديتها لها ورقصتُ معها وحين شَعَرتْ بالتعب رغبتْ أن تذهب الى النوم. كانت أسعار الشراب الرخيصة جداً مفاجأة لي لا تصدق. حاولتُ أن أسيطر على رغبتي في الشراب والرقص من دون أن أغضبها، ولكن كيف؟ من يضمن لي انها لا تعود مرة أخرى الى حلبة الرقص وتشاهدني أرقص ثملاً مع امرأة ما. ينبغي لي أن أبقى مستيقظاً في الذكرى الجحيمية للسطر الأخير من قصيدة البياتي حتى تكون الرحلة ذات معنى عميق في نفسي. عدتُ الى كابينة النوم وحاولتُ جاهداً أن أغفو لحظات قليلة لكنني لم أستطع بسبب الفضول في التحديق بمياه البلطيق. بقيت طوال الليل أدخن في الأماكن الخارجية المخصصة للتدخين وأسرّح النظر في المياه التي بدت لي بعمر فنّ الشعر على أرض هذا العالم. أثناء تناول طعام الفطور دار حديث بيني وبين أحد الأشخاص ممن هم في مثل سحنتي عن الليلة الفائتة وعن رخص الأسعار. كانت معه فتاة شقراء. سألني من أيّ بلد أنا. قلت له من العراق. المفاجأة الكبيرة هي انه قادم الى السويد من ايران. هل كان مثلي مجنداً في الحرب العراقية الايرانية؟ ربما، لست أدري؟ بعد الفطور أخبرت آنّا برغبتي في التدخين

والتحديق الطويل في مياه البلطيق. قالت: " ولكن حاول أن تطرد أفكار الحرب من ذهنك". يا إلهي. كيف لي أن أطرد تلك الأفكار المعششة في كل مسامات جسدي وأعماق نفسي؟ حين رست الباخرة في بولونيا، قادت سيارتها وعبرنا بباخرة أخرى الى منطقة تعرفها هي ومن ثم وجدتُ نفسي بصحبتها أعبر الحدود الالمانية باتجاه الأسواق المنتشرة هناك من دون شرطة أو رجال أمن أو نقاط جوازات. بشر من كل دول اوروبا يدخلون ويخرجون ويعملون ويتاجرون من دون أن يوقفهم شرطي أو توقفهم أوتعترضهم سيطرة جوازات أو كمارك. حين كنت في الأردن عام 1996 حاولت أن أزور سوريا "قلب العروبة النابض" . طلب مني أصدقائي الذين كلفتهم بتسهيل معاملة دخولي أن أرسل لهم نسخة من جواز سفري العراقي وأسم أمي حتى تتم اجراءات الدخول. أرسلت لهم ما أرادوا وانتظرت فترة طويلة. جاءت الموافقة بشرط أن لا أعود الى الأردن مرة أخرى. ليش؟ لا أحد يعرف حتى الشيطان. ربما لأنني كنتُ أعمل في فصيل عراقي معارض لسلطة صدام يتخذ من الأردن مقراً له. هل يستطيع المواطن المصري أو العراقي الآن أن يذهب الى العمل في الكويت أو السعودية أو الامارات من دون الحصول على فيزا أو كفيل يستلبه عرقه وماله وجهده وحريته؟ لماذا لا يتم الغاء الجامعة العربية المزعومة وطرد كل الموظفين فيها؟ معلوم أن الضرائب في السويد كبيرة جداً ويلجأ الكثير من الناس في هذه البلد الى التسوق وشراء ما يريدون من دول اوروبية كثيرة من دون أن تفرض عليهم الضرائب أو القيود. أنا أشتري بالسويد منذ سنوات كيلو التبغ بما يعادل ال 120 دولاراً لكنه في بولونيا والمانيا ب 12 يورو أي ما يعادل ال 120 كرون سويدي. 12 دولاراً. يا بلاش، أما أسعار الأطعمة والملابس والشراب فلا تسأل عنها. اشترينا أنا والشفيعة ملابس وزجاجات فودكا وبيرة وأطعمة وتبغ وهدايا الى بعض الأصدقاء. بعد أن انتهينا من التسوق عدنا الى تناول الغداء في الباخرة ولأول مرة في حياتي آكل الأطعمة البحرية. انطلقت رحلة العودة الى السويد في الساعة الثالثة ظهراً وما زال جحيم السطر الأخير من قصيدة البياتي يشعل اللهب في نفسي.

سيتسنى لي النظر الطويل في مياه البلطيق طالما أن الوقت هو هذا النهار الصافي.

(67)

مقطعات من قصيدة البياتي.
" رؤيا في بحر البلطيق "

1

كنا ندفن موتانا تحت الأنقاض
نبكي من ظلوا أحياء
تحت الأشجار المحروقة والأسوار.

2

عائشة شمس الفقراء
رحلت بقطار الليل الثلجي الى شيراز
وأنا نصفي في المنفى والنصف الآخر في الدار
محترقاً ، مجنوناً ، أتبع شارات النار.

3

في بحر البلطيق
أقتل نفسي منتحراً وأموت غريق.

4

يموت الدكتاتور ويبقى الشاعر.

(68)

كانت المغنية الكولومبية ذات الأصل اللبناني من جهة الأب شاكيرا وليم مبارك قد أصدرت البومين قبل أن تحقق شهرتها العالمية بعد اصدارها للالبوم الثالث باللغة الانكليزية "لاندري سرفيس" الذي باعت منه 8 ملايين نسخة وقد عرفها العالم من خلال أغنيتها الشهيرة التي ظهرت في هذا الالبوم " ون إيفر ون إيفر" وكانت ترقص فيها حسب الطريقة العربية في هز وتحريك "وسطها"، وبعد أن انتشرت هذه الأغنية مِن خلال القنوات التلفزيونية المتخصصة في الموسيقى عبر الرقص الغريب والجديد. عانت الفتيات في أمريكا واوروبا واستراليا ونيوزلندا وبعض البلدان في قارة آسيا من تعلم واداء هذا الطراز من الرقص، وحتى الآن مازالت الفتيات هنا في السويد لا يستطعن اداء هذا الرقص بصورة جيدة على الرغم من وجود مدارس مصرية وتركية عديدة لتعلم الرقص الشرقي، ويعود ذلك الى أن هزّ الوسط لأغراض غنائية غير موجود في الثقافة الاوروبية وهو امتياز عربي. تركي باستحقاق.

معلوم أن المؤخرة ليست عضواً جنسياً وبما أن وظيفتها الأساسية معروفة للجميع ولا أريد أن أتحدث عن عدم تشابهها بين الرجل والمرأة، فليس غريباً أن تجد الفتاة الجميلة الشقراء في السويد. لا تعير أهمية اذا ظهرت مؤخرتها أو لباسها الداخلي وهي تقود دراجة في الشارع أو المدرسة أو المقهى، وبالنسبة للرجل فهذا لا يعني له شيئاً ويعتبر ظهورها وانكشافها مسألة عادية كظهور وانكشاف اليد والساق والعنق، وأحياناً نشاهد في الشارع الرجل أو المرأة يضع أحدهما يده على مؤخرة الآخر وهما يتمشيان من دون أن يعني ذلك اشارة من أحدهما الى رغبة ما. لو تركنا الأفلام الجنسية وصناعتها لأغراض تجارية من أجل الربح المادي وسألنا السؤال التالي: ماذا تعني المؤخرة للرجل العربي؟ وهنا يتوجب علينا معرفة أن أغلب الرجال العرب مصابون بالاحباط وثلاثة أرباع تفكيرهم يتجه الى الخلف وأشكاله من تكوير وتدوير وما شابه، وتضفي

خيالاتهم عليه ألواناً من الأوهام والرغبات المحمومة المريضة. تروي الكاتبة وطبيبة الأمراض النسائية نوال السعداوي في أحد كتبها أنها عالجت في عيادتها أحدى الفتيات الصغيرات المصابات بمرض نفسي، وكانت متزوجة بالاكراه من شيخ في أحدى القرى المصرية. كان هذا الشيخ يدخلها من الخلف وقد سبب لها الكثير من الجروح والآلام جعلتها تعاني من مشاكل حادة وتصاب بمرض هستيري. طبعاً يقوم هذا الشيخ بتأدية الصلوات في أوقاتها ويحافظ على عبادته بشكل لائق ويخشى إلهه ويقرأ القرآن ولا يجد حرجاً في تسبب المشاكل لزوجته الصغيرة عبر أفعاله، طالما انه تزوجها بعقد نكاح وأمام شهود وأعلن زواجه منها حسب الشريعة الاسلامية من خلال وليمة عرسه الميمون. كم شيخ على هذه الشاكلة في مجتمعاتنا العربية الآن؟ وكم مفكر وشاعر وكاتب وسياسي وفنان وفقيه وعالم اجتماع؟

لا يستطيع أحد في السويد التي تخلو من أماكن شراء الجنس وليس فيها تجارته، أن يغتصب الأطفال ذلك لأن المناهج الدراسية تعلمهم الحياة الجنسية منذ السنوات الأولى للدراسة، وبعد السنة الخامسة يكون الطفل قد عرف كل شيء عن الجنس وكيفية الولادة وعملية التزاوج بين الذكر والانثى، ومن غير المعقول أن يتحرش الذكر البالغ بطفل سواء كان فتى أو فتاة، لأنهما سيخبران عنه بكل تلقائية ويتم تقديمه الى المحكمة التي ستحكم بسجنه وتوجيه العقوبة القاسية عليه من جراء فعله المشين.

عندما جئتُ الى السويد أثارت انتباهي ظاهرة الشباب الذين يتقدمون الى الكبار ويطلبون أن يبيعوهم السكاير. يتقدم اليك فتى أو فتاة ناضجة جداً، لو تكون ولدت في دولة عربية لكان عندها زوج وطفل وتطلب منك أن تبيعها سيكارة مقابل كرونين. طبعاً أنا كنت أمنح هؤلاء الشباب السكاير من دون مقابل واستغرب لماذا لا يذهبون الى الحوانيت ويشترون ما يودون من سكاير. في الباص يدفعون نصف الأجرة ولست أدري لماذا؟ فسرتها في البداية بيني وبين نفسي أنا القادم للتو الى السويد في أن هؤلاء الشباب طلبة ولديهم تخفيضات من شركات النقل. بعد شهور

أخبرني صديق أن هؤلاء الشباب في القانون السويدي أطفالاً ولا يجوز بيعهم السكاير في الحوانيت ولا البيرة ولا يسمح لهم بدخول المراقص، وتكون أجرة ركوبهم في الباصات والقطارات والطائرات والبواخر نصف الأجرة على اعتبار أنهم أطفالاً لأنهم دون سنّ ال 18. يحافظ المجتمع السويدي من الناحية العقلية على المراهقين ويعتبرون أن الفتاة بعمر ال 17 سنة غير ناضجة عقلياً ومازلت طفلة ولا يعيرون أهمية كبيرة لنضوجها الجنسي طالما انها لم تبلغ سن ال 18. تبدأ العلاقات الجنسية بين الفتى والفتاة بعمر ال 16 ولأنهم غير ناضجين فيمرون بتجارب حبّ عديدة ويبدلون علاقاتهم دائماً، بعد أن يشبعوا من الجنس. لا عادة سرّية عند هؤلاء الذين يشبون بطريقة تخلو من الكبت والحرمان وتغليف الجنس بالمقدسات والأوهام. سافرت قبل أعوام الى بلد مجاور للسويد للقاء أصدقاء شعراء. أخبرني أحدهم أنه تعرَّف الى امرأة من خلال الانترنت وذهب لزيارتها وقال:"التقينا في مقهى لمدة ساعتين وتحدثنا عن العراق وعن الثقافة وأشياء أخرى. عدت بعدها الى بيتي ومازلت متواصلاً معها عبر الماسنجر" . في الليل بعد أن سكرنا في جلسة شراب صاخبة دخل علينا أحد الأصدقاء واستفسر من صديقي الشاعر العاشق عن صديقته الالكترونية وعن أخبار اللقاء. قال له: "جميلة جداً. نمْتُ معها وسوَّيت من الخلف مرَّتين" وهنا صرخ السائل من دون أن يحاول معرفة أين حصل ذلك وكيف ومتى:" عظيم. عظيم. وبعد. أحكي احكي" . طبعاً كان صديقي الشاعر هذا يمارس العادة السرّية بالكلام. لم أسأله في تلك الحظة عن ما ذكره لأنني أعرف طريقة تفكيره وتعامله مع المرأة. صديق شاعر آخر أرسلت له امرأة معجبة بشعره رسالة عبر الايميل تطلب فيها التعرف اليه واقترحت أن يلتقيان في كازينو. جنَّ جنونه من الفرح ومزق ثيابه وفقد عقله. هاتفني وقال:" نصيف، سألتقيها يوم غد في كازينو وسأنام معها في بيتي" . قلتُ له:" ربما تكون مرتبطة أو تكون متزوجة وتحبّ زوجها". قال:"لا . يمعود. هي تريد تتعرَّف اليّ ويمكن تحبّني بعدين". طبعاً صديقي هذا كان يمارس العادة السرية أيضاً.

ذهب الى لقاء تلك المرأة وهربت منه قبل أن تحتسي فنجان قهوتها.

كانت تقاليد البغاء في العراق قبل انقلاب سنة 1958 وهي تقاليد عريقة تعود الى العصور العباسية . تقوم حسب الصيغة التالية: من يريد ممارسة البغاء مع النساء يذهب الى محلة "الصابونجية" المقابلة لوزارة الدفاع في الرصافة وهي منطقة محاطة بسور ويوجد فيها مركز للشرطة ومستشفى ويبدو أن هناك أنظمة معينة كانت لممارسة البغاء في هذه المنطقة، وكان أبّ رئيس الوزراء العراقي في العهد الملكي نوري السعيد، مديراً لبلدية بغداد في العشرينيات مِن القرن الماضي ولكي يتخلص هو والناس المحيطين بهذه المنطقة من سكان "الصابونجية". قام بتشييد سور كبير حولها، أمّا من كان يرغب بممارسة اللواط مع الغلمان "وما أكثر الذين يرغبون" ، فيتوجب عليه الذهاب الى محلة " الذهب" في الكرخ وكان أهل بغداد يطلقون التسمية الايرانية على الذي يمارس اللواط مع الغلمان "قُرمْ بارهْ" أما الغلام فيطلقون عليه "صُرُمْ بارهْ" ويبدو أن صرم باره مشتقة من الكلمة العربية "السرم " وهي المؤخرة.

(69)

عندما كنت أذهب الى نادي اتحاد الأدباء والكتّاب بالعراق في سنوات الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضي. يأتي النادل أحياناً بعد الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلاً ويقول لي:"استاذ حسب يريدك". حسب يدخل النادي أول الرواد كل يوم. أذهب إلى مائدته التي تضمه هو وسليم السامرائي وسلمان السعدي وبعض الأصدقاء. يسقيني كأس عرق ويطلب مني أن نغادر نادي الاتحاد الى البيت. يسكن هوَ في القطاع السابع في مدينة "الثورة" وأسكن أنا في القطاع التاسع. مرّات كثيرة أوصله الى بيته وأعود في نفس التاكسي الى نادي الاتحاد لاكمال السهرة مع الأصدقاء الذين تركتهم يتحدثون في الشعر ومصائبه

وأمور مختلفة أخرى. عندما كنت في عمّان سَنَة 1996 طلب مني المرحوم عبد الوهاب البياتي تغيير مكان سكني واقترح أن أنتقل الى بيت الشاعر علي الشلاه الذي غادره وهاجر الى جنيف. علي كان يسكن قرب بيت البياتي. أخبرني أبو علي أن حسب الشيخ جعفر سيأتي الى عمّان في الأيام أو الأسابيع القادمة ويريد تأمين مكان اقامته. كنت أعمل في حركة الوفاق الوطنيالمعرضة لنظام صدام حسين ولا أعاني من مشاكل السكن والايجار. جاء حسب في يوم ما وأخذته من الفندق الذي نزل فيه مباشرة الى بيتي وظلَّ عندي طوال فترة عملي في الوفاق. ذات يوم وصل عمّان من بغداد الشاعر والكاتب حميد قاسم بعد أن حصل على عمل في صحيفة تصدر في دولة الامارات، فضيفناه أنا وحسب والبياتي في حانة "الياسمين" ونامَ تلك الليلة في بيتنا. في اليوم التالي تركتُ العمل في حركة الوفاق اثر وشاية مِن صديق لأنني ضيّفت أحد الأدباء القادمين من بغداد. عندما حان موعد دفع ايجار البيت كنت لا أملك ولا حسب درهماً واحداً، وكان البياتي في القاهرة بدعوة من معرض الكتاب السنوي. كان الحل هو أن نترك البيت بما فيه من متاع وحاجات شخصية، ملابس، كتب الخ، ريثما نتدبر مبلغ الايجار. في النهاية لم نستطع تدبير مبلغ الايجار وذهبت أشيائي الشخصية وكتبي وأمتعتي الى صاحب البيت. انتقلنا "بيت الصفيح" الذي تعاقب على السكن فيه الكثير من الفنانين والأدباء. بيت الصفيح هو كوخ من الجينكو يقع في بستان بجبل "اللويبدة" بعمّان، لا يصلح حتى لسكن الحيوانات. البستان هذا ينتظر صاحبه أن يتمكن من جمع تبرعات لتحويله الى مسجد وكان يسكن "بيت الصفيح" الفنان التشكيلي والنحات أياد صادق الله يرحمه. رحب بنا الرجل وكان كريماً وشهماً. من آفات السكن في بيت الجينكو هذا الحرارة اللاهبة في الصيف والبرودة القاسية في الشتاء. لكن أقسى ما تعرضنا له طوال شهور هي تلك الهجمات الدامية من حشرة "بق الفراش" التي تنتشر في الاثاث الخشبي، الأسرّة، الكراسي، الطاولات. بق الفراش يتسلل في الليل صوب النائم ويبدأ بمص دمه. لا يعيش إلاّ على الدماء. كانت ملابس نومنا وخصوصاً دشداشة حسب

ملطخة ببقع الدم وجلودنا محفرة. مرَّة زارنا سعدي يوسف وضيفناه في جلسة شراب وراح يتألم على مظهر حسب وقام بتصويره وتصوير أشياء كثيرة في البيت.لم نتحمل أكثر وقررنا البحث عن بيت آخر.

جاء الفرج من صديقين يسكنان في غرفة بجبل "الحسين" تعاقب على السكن فيها الكثير من الفنانين والشعراء. وهب أحدهم سريره الى حسب وراح ينام على الأرض. عشنا في هذه الغرفة الجديدة البائسة التي ضمتنا نحن الاربعة مدة طويلة قبل أن ينضم الينا أحد الشعراء. لا حسب وجدَ لهُ عملاً في عمّان ولا أنا بعد أن تركت عملي السابق في ورشة لفّ وتصليح الماتورات الكهربائية والتحقت في حركة الوفاق محرراً في صحيفة بغداد، وممثلاً لاسكتشات تمثيلية قصيرة عن رموز نظام صدام حسين في اذاعة المستقبل التي تديرها الحركة. البطالة والشعور بالغثيان والسأم، هذه الأشياء كانت هي التي تغلف حياتنا في العاصمة الاردنية. كنا في كل يوم نلتقي عبد الوهاب البياتي في غاليري الفينيق مساء، ونغادره الى حانة "الياسمين" حين تحين الساعة الثامنة. يدفع أبو علي الشراب وأجرة التاكسي كل ليلة. مرات كثيرة بعد أن انتظمت مواعيدنا مع سعدي يوسف كنا نذهب اليه، حسب وأنا وهادي الحسيني ود خالد السلطاني ويضيفنا بكرم كبير. البياتي لا يحبذ الشراب في النهار ويستاء اذا غبنا عنه في الليل. مرَّة دعاه سعدي الى جلسة شراب في النهار بحديقته بيته وحضر. كانت جلسة عظيمة لا أنساها. قرأ فيها أكثر مِن 3 قصائد كما قرأ سعدي قصائد من مجموعته التي صدرت تحت عنوان "يوميات أسير القلعة" وقرأ حسب قصائد عديدة أيضاً. في حديقة سعدي "الجوراسية" أيَّام الصيف كانت النقاشات تدور حول الشعر والفن والثقافة تدور في كل جلسة يدعونا فيها الى بيته. حين صدرت مجمموعته "حانة القرد المفكر" أخبره حسب أن مجموعاته الأخيرة كلها عبارة عن قصيدة واحدة. سعدي صمت ولم يعلق على هذا الرأي.

لكي نجد وظيفة لحسب الشيخ حاول البياتي عدة مرات الاتصال بالشاعر اللبناني محمد فرحات الذي يشرف على تحرير

الصفحات الثقافية في صحيفة الحياة من أجل أن يكتب فيها. وافق الرجل ونشر له مادة ما واحدة من دون أن يبعث المكافأة. ادعى بعدها انه ليس بامكانه نشر المزيد من الأشياء التي يبعثها حسب لأنه لابد أن يوقع معه عقداً، وادعى انه لا يستطيع والخ.

(70)

حسب الشيخ جعفر المولود في مدينة "العمارة" عند ناحية هور "السلام" عام 1942. كان مكلفاً بنقل البريد الحزبي الى الحزب الشيوعي في سن ال 16 سنة وكان ينقله في ياقة قميصه من العمارة الى بغداد ويسلمه الى الرفيق صالح دكله الله يرحمه في مقهى بساحة "السباع" . هل كان أخوه الأكبر د. صاحب أبو جناح شيوعياً قبله؟ . كانت الكتب الممنوعة والأدبيات الثورية التي يقرأها يخفيها بين طيّات نخلة في دار العائلة مجموعته الأولى عنوانها "نخلة الله". سنة 1960 يرشحه الحزب الشيوعي العراقي في بعثة دراسية الى موسكو "معهد غوركي للآداب" وهو بعمر الــ 18 سنة حيث سينال شهادة الماجستير في الأدب الروسي. عند انهاء دراسته وعودته الى بغداد بعد سنوات خمس، سيحاول تغيير هيئته بسبب ملاحقات النظام العارفي له وللشيوعيين "لحية طويلة. سروال جينز. نظارة سوداء" كما يقول د. خالد السلطاني في مقال له منشور بموقع "الحوار المتمدن". بعد سنوات من الاستقرار ببغداد والبطالة سيجد لنفسه وظيفة مترجم في السفارة الروسية ببغداد. يذكر الشاعر والكاتب فاضل العزاوي في كتابه "الروح الحيّة" أن حسب العائد للتو من موسكو طرق باب شقته في مطلع سنة 1966. سكن معه وغادر الشقة بعد اسبوع بحجة انها تخلو من ورق التواليت. حسب سيستأجر شقة مع حميد سعيد الذي كان يواصل دراسته في الجامعة المستنصرية. في أعقاب انقلاب عام 1968 الذي قاده حزب البعث وفي ما أسموه " 30 تموز" الذي تم فيه الانقلاب على رئيس الوزراء عبد الرزاق النايف وعلى ابراهيم

الداوود وزير الدفاع. عاد حسب في أواخر الليل في ذلك اليوم من حانة الى الشقة، لكنه فوجىء بمجموعة من المدنيين المسلحين الذين كانوا يملأون الشقة وطلبوا منه الصمت والنوم. هذه المجموعة كان يقودها صباح ميرزا الذي أصبح فيما بعد المرافق الشخصي لصدام حسين. بعد سنوات سيعرف حسب من خلال حميد سعيد أن هؤلاء وغيرهم كانت لديهم أوامر حزبية في الانتشار بعدة مناطق من بغداد لغرض انجاح الانقلاب الذي تم فيه ابعاد رئيس الوزراء خارج العراق.

(71)

عندما كُنّا نجلس الى الشراب يبقى حسب صامتاً كما هو معروف عنه الى أن يدب دبيب الخمرة، بعدها يبدأ الحديث في شؤون وشجون شتى. في كلّ جلسة شراب يطلب مني أن أسمعه أغنية ياس خضر الأولى التي سجلها عام 1969 في اذاعة القوات المسلحة "الهَدَل" وبعدها أغنية أم كلثوم "هو صحيح الهوى غلاب". قلت له مرة:"أبو نؤاس، ايشْ اللي يجعلك تعجب في هاتين الأغنيتين؟" ذكرى حُبّ عاثر يا نصيف، قال لي. في عمّان التي أيقظت ذكريات سنوات موسكو عنده أيام دراسته، ستستمر لقاءاته وجلساته مع صديق العهد الدراسي المعماري الدكتور خالد السلطاني ومع سعدي يوسف. وبين ذكرى ذلك الرفيق الميت الذي قال عنه في قصيدة "بمقبرة خلف برلين يرقد ابن جودة" وبين الوحشة والسأم في عمّان حيث لا أفق ولا نسمة مستقبل، سيتوهم كثيراً أثناء جلسات الشراب معنا في الغرفة وهو يحدق في ملابسه المعلقة على الحائط ، اننا رفاق حزبيين من عهد الشباب، وأن هذا الجالس على يمينه هو الرفيق فلان ويسأل بعدها عن الذي ذهب الى الحمام: "أين الرفيق ...."؟ معلوم انه عندما كان في موسكو كان يحمل حنيناً كبيراً الى مدينته العمارة والى بلده العراق، وعندما يكون في العراق يشتاق بشدّة الى موسكو. كانت كل مكافأة يحصل عليها عبر نشره لقصائده أو ترجماته وأغلب المكافآت قليلة جداً، يبعثها الى أطفاله. مرة قلت

له أمازحه حين استلم مكافأة عن قصيدة نشرها في مجلة "عمّان" " استاذ حسب، هذه المكافأة يجب أن تتصرف فيها وحدك". "لا بل سأبعثها الى أطفالي" قال لي، فصرختُ في وجهه:"نؤاس طبيبة ويارا مهندسة ومحمد جندي. بشرفك هل هؤلاء أطفال؟" مات من الضحك وهو يوبخني.

(72

كان الكاتب غازي العبادي يرحمه الله صديق حسب وابن مدينته وزميل دراسته في موسكو قد وصل الى عمّان قبل وصوله بأسابيع من أجل الحصول على عقد عمل من السفارة الليبية لكنه لم يتمكن من الحصول على هذا العقد الذي كان يعول عليه كثيراً. ذات يوم طلب مني حسب أن يسكن غازي معنا لأنه متعب ومريض ويسكن مع مجموعة من العراقيين الذين لا يهتمون في الأدب وغرفتهم تخلو من مدفأة. طبعاً أنا لا أستطيع رفض هذا الطلب لكن المشكلة أن بعض المسؤولين في حركة الوفاق يمنعونني كما سواي من استضافة غازي وأمثاله بحجة أن هؤلاء كانوا يعملون في صحف نظام صدام حسين. يسكن في البناية التي نسكنها أنا وحسب شاب عراقي خيّاط أعرفه اسمه حيدر وتوت. طلبت منه أن يضيّف غازي في غرفته التي تخلو من مدفأة أيضاً فوافق الرجل مشكوراً. في بعض الليالي يتسلل غازي خلسة الى غرفتنا التي تنتصب في وسطها مدفأة للقاء حسب والحديث معه. ذات يوم جاء الشاعر هادي الحسيني الى غازي العبادي فوجده مصاباً بجلطة دماغية وفاقداً الوعي. نقله الى أحد المستشفيات ومنعونا من زيارته. ظل في المستشفى عدة أيام ثم نقلوه الى العراق ليموت حسرة وكمدا.

(73)

في تلك الغرفة البائسة التي ضمتنا نحن الشعراء الخمسة وزارنا فيها الشعراء فوزي كريم وخزعل الماجدي وطاهر رياض ويوسف أبو لوز وغيرهم . كانت جلسات الشراب الليلية هي ما يخفف عنا قسوة الواقع اليومي المؤلم. أغلب طعام العشاء عندنا نحن العاطلين عن العمل كانت هي رقاب الدجاج الرخيصة. سعر الكيلو 7 دراهم وفي ليالي البرد والثلج ابتكرت أنا ما أسميناه "المزة – العشاء" . بسبب البرد رحتُ أطبخ لهم كل ليلة حساء العدس بالشعرية ونتناوله أثناء الشراب حاراً حتى اننا بعد الجلسة نكون قد شبعنا ولا نشعر بالجوع. قليلة هي المرات التي أكلنا فيها اللحم أو الدجاج. أعرف الشاعر خيري منصور منذ أن كان بالعراق وحين عاش في عمّان واستلم القسم الثقافي في صحيفة الدستور، دفعت له مرة قصيدة لينشرها من أجل المكافأة حتى أستطيع تسديد الايجار. نشرها ودفع لي مبلغ 15 ديناراً وهذه أول وآخر محاولة لي في النشر بعمّان.

(74)

في الشهور الأولى لوصول حسب الشيخ جعفر الى عمَان، تلقى دعوة من جهة ثقافية في دولة الامارات العربية عبر الشاعر أحمد راشد ثاني وكان قلقاً بسبب ضيق الوقت والاجراءات التافهة التي تتعلق بدخول العراقيين. ذهبتُ معهُ الى غاليري الفينيق وتولى الشاعر علي الشلاه مهمة مخاطبة تلك الجهة عبر الفاكس. أجابوه أن تذكرة الطائرة والفيزا وبطاقة الدعوة ستكون جاهزة خلال أيام قليلة.

لم يصدق وشعر بالخوف واعتبر أن التعامل عبر الفاكس ربما يكون ممنوعاً. أخبره علي أن الفاكس غير ممنوع في الأردن وانهم بصدد شراء جهاز كومبيوتر ووالخ. في أبو ظبي بعد

تقديمه قراءات شعرية ستتم دعوته الى جلسة خاصة يقيمها المطرب أبو بكر سالم في منزله. "نصيف يا خويَه عبَّالكْ بالعصر العباسي. راقصات وخدم وحشم". في اليوم التالي لهذه الحفلة ذهبوا الى البحر وأحضروا له ملابس السباحة وفاتهم أنه عندما يكون معي بالبيت لا يخلع بيجامته أو بنطاله إلاّ اذا اختفيت في المطبخ أو الحمّام. وهذه الحالة نعرفها نحن اللذين عشنا معه.

(75)

كان موت كمال سبتي صدمة قاسية تلقيتها وتلقاها أغلب الذين أحبوه وأولئك الذين اختلفوا معه أحياناً أو أبداً. لم يكن موت كمال هادئاً أو عابراً في زماننا الكافر هذا، بل كان اعصاراً مدمراً. هو الذي كان يملأ حياتنا العراقية الفقيرة بنبله وصخبه وضجيجه المدوّي. في شعره وفي تنظيراته وفي تعكّر مزاجه وصراخه وزعله الذي نخشاه دائماً. هل تصالح كمال مع العالم في يوم ما؟ هل استطاع الامساك بغصن خفيف من فجر حياته العاصفة ولو لمرة واحدة؟ تخيم عليّ سحب من الكآبة في محاولتي الحديث عنه. لم أحاول في الماضي أن أتحدث عن موت صديق في مناسبة رحيله أو كتابة مرثية عنه. كنت وما زلت أجد صعوبة في رثاء وتأبين الذين أحبهم، وفي لحظات موت من أحببتهم لم أستطع البكاء. لا على أقربائي ولا على أصدقائي وما أكثر من مات منهم وحيداً وغريباً في هذه المتاهة وذهب الى الأبدية من دون وداع أو وصية أو وعد بحلم أو لقاء. هل أغفر لصديقي الشاعر والفنان ناصر مؤنس الذي اقترح عليّ عام 1980 أن أشتري مجموعة " وردة البحر" وأقرأها؟ طلبتُ من كمال أن يكتب لي أهداء بعد أن تعرفت اليه في ظهيرة يوم من ذلك العام في مقهى البرلمان. كتب لي الاهداء والتصقت به "التصاق النار بالفحم الذي تأكله" منذ ذلك الحين. تكررت لقاءاتنا اليومية في المقاهى والبارات وفي القسم الداخلي القديم قبل أن ينتقل الى فندق

الصيّاد بالميدان. سألني ذات يوم في بداية تعرفي له:"هل تكتب الشعر؟" أجبته بخجل:"أحاول، لكنني أعاني من مشكلة تعلم الأوزان والاغلاط في الاملاء والنحو " قال لي:"لا يهم، سأعلمك" لكنه لم يستطع أن يعلمني وزناً واحداً، حتى في محاولاته الأخيرة معي حين زارني في السويد ومكث في بيتي 17 يوماً في صيف سنة 2002 . كنت قد بدأت حياتي الأدبية بكتابة الشعر السوريالي الفكاهي كما ذكر كمال في مناسبة معينة وظل الخيط الذي يجمعني به دائماً هو الهموم الشعرية كلها بآفاقها المعرفية والحداثية. لم تقترب رؤيتنا الشعرية حول جوهر ووظيفة الشعر، ولم تتشابه قراءاتنا ولا موضوعاتنا ولا نظرتنا للعالم والمجتمع والزمن والتاريخ. كنتُ أهتمّ بالتصوّف والترجمات الرديئة عن السوريالية في البداية، وكانت له آفاقه الأكثر سعة. كان كمال قد درس في معهد الفنون الجميلة السينما وحصل على شهادة الدبلوم بامتياز ومن ثم واصل دراسته للسينما في أكاديمية الفنون الجميلة قبل أن يتم فصله منها بسبب الشعر، ولعل الكثير منا لا يعلم أن كمال فصل من الاكاديمية لرسوبه في درس تافه هو "الانتاج " بسبب التغيب الدائم عن هذا الدرس وذهبت محاولاته كلها سدى من أجل اكمال دراسته للسينما أمام عناد واصرار استاذ درس "الانتاج" الذي كان لا يكن له الودّ بسبب الغيرة التي سيطرت عليه لشهرة هذا الطالب الشاعر وشعريته الحقيقية. نعم ، كان الهم الشعري الكبير بعد الصدى الطيب الذي نالته مجموعته الشعرية الأولى "وردة البحر" هو المسؤول عن تغير مساره الدراسي. حين فصل من أكاديمية الفنون الجميلة وتم سوقه الى الخدمة العسكرية الاجبارية. راح يركز على قراءات عميقة في التراث والفلسفة والفنون والشعر والتاريخ وعلم النفس ومعارف شتى من أجل اغناء مشروعه الشعري الذي سيكرس له حياته بكاملها. جاء صدور مجموعته الثانية "ظل شيء ما" سَنَة 1983 ليكرس صوته بقوة في خارطة الشعر العراقي المعاصر وكان قد وبخني حين أهداني نسختي منها وأعترضت على قصيدة فيها مكتوبة عن الأحداث السياسية في بيروت، وكنتُ وما زلت لا أعير أيّة أهمّية لشعر المناسبات. اعتذرت منه واحترمت وجهة نظره. بعد صدور مجموعته الثالثة "حكيم بلا مدن" سنة 1986 راح كمال ينغمس بقوة في التنظير

للحساسية الشعرية الجديدة ومحاولة ترسيخها في وسطنا الشعري العراقي على الرغم من المحاولات الكثيرة في اخفاء صوته والتعتيم عليه من قبل الكثير من العاملين في المؤسسات الثقافية الرسمية للسلطة شعراء ونقاداً ومسؤولين. ما زلت أذكر آخر كلمة له في عموده الاسبوعي "كلمات في المهب" في صحيفة القادسية سنة 1988 حين كتب لقرائه أن هذه آخر كلمة له في هذا العمود بسبب رفض نائب رئيس التحرير لطروحاته الشعرية. كانت الانعطافة الكبيرة في تجربة كمال الشعرية بعد تنظيراته التي وصلت حد اعلان القطيعة مع الشعر بمفهومه آنذاك، هي تلك الصرخة التي جعلت أحد الشعراء الصحفين اللبنانين كان قد أجرى حواراً مطولاً مع مجموعة من شعراء السبعينات في العراق ومن ضمنهم فاروق يوسف وهاشم شفيق وكمال سبتي ووضع كلمة كمال "مانشيت" للحوار وأظنه كان قد نشر في مجلة الدستور سنة 1988 " ليذهب الشعر الى الجحيم. أهلاً بالكتابة" ولكي يتوّج هذه الصرخة. جاء صدور مجموعته الرابعة "متحف لبقايا العائلة" سنة 1988 ولتحدث القطيعة الكبرى بعد ذلك مع الإرث الذي ساد سنوات طويلة في الشعرية العراقية. كان خزعل الماجدي يواصل جهوده في الكتابة المغايرة وكان زاهر الجيزاني الذي نظّر كثيراً حول "تفجير اللغة" و "عودة الغنائية" مع السبعينيين، يواصل كتابة مجموعته المهمة الثالثة "الأب في مسائه الشخصي" بحمّى شديدة وكان رعد عبد القادر يواصل انجاز مشروعه بصمت وبقوة بعيداً عن الضجيج الذي كان يعلو مرة ويخفت مرة أخرى. كان كمال في هذه الفترة التي أجبر فيها على الصمت وتمّ حجب عموده الاسبوعي في صحيفة القادسية ، كما البركان الذي يغلي بسبب المناخ الرمادي الذي يحطم جميع الجوانب الثقافية في العراق بفعل الحرب التي أجهزت على كل شيء، ومنها الثقافة والشعر الذي راحت تصدح به الأبواق عديمة الموهبة الليل والنهار في تمجيد الحرب ومناخاتها. في مناخ ملبد بالسموم والغيوم المريضة تسنَّت الفرصة المنتظرة في صيف سنة 1989 لكمال في الهروب من الجحيم الذي كان يغرق فيه العراق وذلك على أثر اختياره هو ومالك المطلبي وعبد الأمير معلة لتمثيل العراق في مهرجان الشعر العربي التاسع عشر في ليبيا، من قبل اتحاد الأدباء في العراق. عندما كان يستعد للسفر

ويهيء نفسه ،كنت أنا ببغداد أمضي اجازتي الدورية من وحدتي العسكرية. طلب منا نحن أصدقاءه الشعراء الشباب الذين نكتب قصيدة النثر ونعاني صعوبات في النشر أن نعطيه قصائدنا لينشرها في صحف عربية تصدر خارج العراق عندما يصل ليبيا. أعطيته عدة قصائد شأني شأن بقية الأصدقاء. لم نكن نعلم متى تحين لحظة سفره بسبب الاجراءات الرسمية المعقدة لكونه مازال يمضي خدمته العسكرية وممنوع من السفر. انتهت اجازتي وودعته متمنياً له رحلة سعيدة في غيابي. بعد شهر عدت الى بغداد في اجازة والتقيت في مقهى حسن عجمي الأصدقاء وسألتهم: "هل سافر كمال؟" أخبرني صلاح حسن ومحمد النصّار بهمس أن كمال قد هرب من العراق الى يوغسلافيا. بعد أن انتهت الاجراءات المطلوبة ومحاولة الحصول على الجواز والتأشيرة وتم تحديد موعد السفر وضرورة التواجد صباح يوم الاثنين في مطار بغداد الدولي وانتظار مالك وعبد الأمير في صالة الانتظار هناك، كان كمال قد حزم أمره نهائياً في الرحيل الى المجهول وقذف نفسه في البركان. طار وحده يوم السبت حسب الأصول الى يوغسلافيا تاركاً كل شيء يخص حياته في غرفته بفندق الصيّاد. يا إلهي. ما معنى هرب من العراق؟ كان ذلك يعني في تلك الفترة اننا لن نقدر أن نتواصل أو نعرف أي شيء عن من يهرب من العراق، لأنه بصراحة يكون قد ارتكب جريمة الخيانة في مفهوم السلطة. كانت مقهى حسن عجمي ونادي اتحاد الأدباء بسبب غياب كمال أشبه بمصيبة. في اليوم الأخير من اجازتي وكان يتوجب عليّ أن أغادر الى وحدتي في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. ذهبت مساء الى نادي اتحاد الأدباء مهموماً والتقيت صلاح حسن ومحمد النصار وتحدثنا بهمس عن كمال وعن رحيله والفراغ الذي تركه، وهنا أصابتني نوبة بكاء شديدة جعلت محمد وصلاح يحملاني الى التاكسي ويأخذاني الى شقتهما التي ازداد فيها نحيبي وعويلي حين رحت أعيد قراءة نسخة صلاح من "متحف لبقايا العائلة" . لم أستطع النوم. غادرت الشقة التي دَفَعت ايجارها الشهري كاملاً بسبب عَدم قدرة صلاح ومحمد على الدفع والمالك يهددهما بالطرد منها وذهبت أهيم في شوارع بغداد. بعت قمصلتي العسكرية ب 7 دنانير في سوق "الهرج" وهربت من الخدمة العسكرية. في

العاصمة اليوغسلافية أخذت السلطات كمال الى مكتب المفوضية السامية للاجئين التابع للأمم المتحدة، حيث تم قبوله لاجئاً في السويد لكنه رفض الذهاب الى السويد وفضّل اسبانيا بلد الشمس ولوركا ورفائيل البيرتي مع انها ليست دولة لجوء. في مدريد درس في الكلية المستقلة للفلسفة والآداب وأصدر مجموعته الخامسة "آخر المدن المقدسة" على الرغم من الصعوبات الحياتية الكبيرة التي كان يواجهها والتي كان أبرزها عدم الحصول على الجواز والمال والاقامة والسكن. عندما كنتُ في عمّان سنة 1996 أرسل لي نسخة من "آخر المدن المقدسة" ممهورة باهداء جميل واتصل بي عبر الهاتف حيث أخبرني ليطمئنني أنه في وضع جيد الآن ويستعد للانتقال الى بلد اوروبي ويتمنى أن أكون قربه في يوم ما. حين زارني سَنة 2002 أقيميت له جلسة شعرية في مرسم الفنان جعفر طاعون وقدمته فيها. قام بعد ذلك بنشر الكلمة التي تحدثتُ فيها عنه في موقعه الالكتروني قبل أن يغلقه وفي صحيفة "بغداد" وأمكنة أخرى ، وشاءت الصدفة أن نلتقي الشاعر المبدع سركون بولص أثناء زيارته مدينة مالمو السويدية في بيت صديق شاعر. بعد شهور تلقيت دعوة من الصديق الشاعر صلاح حسن للمشاركة في مهرجان شعري يقام هناك وسافرتُ الى هولندا وأخبرت كمال انني سأزوره برفقة الصديق ناصر مؤنس. في الليلة التي سبقت زيارتنا حدثت عاصفة قوية سببت الكثير من الأضرار واضطر الكثير من المسافرين الى النوم في محطات القطارات وتعطلت حركة وسائل النقل، لكن اصرارنا ناصر وأنا على زيارة كمال لم يمنعنا من الذهاب اليه محملين بالأشواق والهدايا. كانت المسافة اليه بالقطار ساعتين ونصف لكن مخلفات العاصفة جعلتها خمس ساعات. استقبلنا في محطة قطار "ماسترخت" مدينته، بالقبل والصراخ من الفرح. كان ناصر قد حمل 5 لترات من النبيذ الفاخر هدية اليه وحملت أنا جميع أغاني أم كلثوم حتى أغاني أفلامها لأنني أعرف مدى عشق كمال لأغاني كوكب الشرق. عندما هرب الى يوغسلافيا سنة 1989 أعزل إلاّ من روحه الكبيرة ومجموعاته الشعرية وراح يتلمس ضوء فجر في هذا البلد الغريب. كان يدمر حياته في كل خطوة يخطوها من أجل الشعر. صحيح أن هناك الكثير من الناس الذين اصطدم بهم، لا يتحملون مزاجه البركاني الثائر

ولا طبيعته المدمرة والشبيهة بالاعصار. من الصعب أن تعايشه مالم تتركه على سجيته يفعل ما يشاء وتتحمل ما يصدر عنه من شطحات. حاولت أن أحافظ على صداقتي معه طوال 26 سنة وكنت لا أتدخل في خصوصياته ولا في ثورات غضبه على أقرب المقربين اليه. وكنت أنجح مرة وأخسر مرات .

(76)

تطالعنا بين آونة وأخرى كتابات صحفية سريعة لصحفيين هواة وبعض الكتّاب تتحدث عن الصعلكة والصعاليك من دون تمييز بين من اختاروا الصعلكة اختياراً واعياً كموقف من العالم والمجتمع والسلطة والعائلة، وبين بعض الناس اللطفاء ممن ابتلوا بالادمان على الكحول. يعتقد أغلب أصحاب هذه الكتابات انهم في عملهم هذا يحققون فتحاً أو يكشفون عن طرافة عبر التحدث عن بؤس وفقر ونبل الصعلوك، لكن الحقيقة المرّة هي انهم يقدمون اساءة بالغة لمفهوم وشرف الصعلكة الذي نعرفه، وللتمييز بين الصعلوك وبين الكحولي أود القول أن الأول ينتج ابداعه دائماً ويكرس له حياة كاملة ويتصف بطباع وشخصية لطيفة ومرحة. تمتزج أحياناً بفذلكات سوريالية محببة يفتقدها أولئك الذين يحيطون به والذين يهربون من دفء بيوتهم وزوجاتهم وأولادهم ومحيطهم الاجتماعي المعادي للحرّية التي يحملها الصعلوك. بغض النظر عن حُبّه للشَراب وعدم وجود وظيفة رسمية ثابتة له في مؤسسة تمنحه الراتب الوظيفي ومعيشته شبه الدائمة على عطايا الأصدقاء والجوقة التي تحيط به أينما حلّ وارتحل، أمّا الكحولي فهو ذلك الانسان الذي ابتلى بالادمان ولا يستطيع التخلص منه إلاّ بخضوعه لأشراف وعناية طبية في مراكز المعالجة، ومعلوم أن الانسان الكحولي ينسلخ بمرور الأيام عن محيطه العائلي والاجتماعي ويعيش على الهامش من خلال نمط حياته الذي يؤدي به الى أناس هم على شاكلته تماماً. حسب المعلومات الطبية لدى أهل الاختصاص أن

السكّير. المدمن. الكحولي. يصاب بجين يسبب الادمان ونسبة الذين يصابون بهذا الجين تتراوح بين 12% و15 % ، والكحولي هو الوحيد الذي يستطيع أن يحتسي الكحول بمفرده، أما الانسان غير الكحولي فلا يستطيع الشراب وحده سواء كان في البيت أو في غابة أو في أي مكان آخر. يعيش الصعلوك في البيت أو في الفندق اذا كان قادماً الى بغداد من محافظة أخرى ويقضي جلّ أوقاته مع الناس العاديين والأصدقاء في المقهى أو المكتبة ويذهب الى السينما والمسرح ويرتاد الحانة في أوقات معينة لأن جسمه غير مشبّع بالكحول وجهازه العصبي هادئ تماماً، وأفضل الأوقات عنده تكون المساءات والليل. النقود ليست مهمة بالنسبة للصعلوك اذا أراد الكتب أو الشراب أو الطعام أو الملابس أو بقية الأشياء الأخرى طالما انه ينتج ابداعه ويحيا حياته حسب الأنماط التي اختارها هو. تأتي النقود بسهولة من المحيطين به. لا يستجدي الصعلوك أحداً وحين يكون عنده المال يوزعه ولا يحتفظ به مهما كان حجمه وشكله ولونه. لا مال للصعلوك إلاّ جَمال الصداقة والصحبة الكريمة، أمّا الكحولي العاطل عن الفعل والمريض والعصبي والشتّام فيكون وجوده في مكان ما نكبة وحالة بائسة، اذ يتوجب على المرء عدا منحه النقود بشكل يومي ومستمر أن ينصت لشتائمه وثرثرته غير المجدية وشكواه وصراخه واساءاته البالغة للمكان والحضور.

في الثمانينيات كان الوسط الثقافي الموبوء ببغداد قد أطلق تسمية "الصعلكة" علينا أنا وجان دمو وكزار حنتوش لا لشيء سوى اننا كانت تجمعنا ظروف معينة غير طبيعية في تفكيرنا ونمط حيواتنا ورؤيتنا للعالم والمجتمع والأشياء. جان دمو من كركوك ويعيش في بغداد بفنادق رخيصة أو مع أصدقاء ولايأبه بأية وظيفة أو عمل. يكتب الشعر ويترجم عن الانكليزية في فترات متباعدة جداً، القي القبض عليه في أوائل الثمانينيات من قبل عناصر الحزب وتم سوقه الى وحدة عسكرية في جبهات الحَرب "الجيش الشعبي" . كنا قد افتقدناه كثيراً لكنه عاد بعد شهور بعافية عالية وقال: "لقد أشبعوني الدجاج واللحم وكانت عندي قرْيولة وفراش وأنام بالمجان. أخوات القحبة القاذورات دمروني

بالتدريب بسْ ما تعلمت شلون أرمي بالبندقية القحبة" كزار حنتوش خريج معهد الهندسة العالي يأتي الى بغداد مرة أو مرتين في كل شهر من أجل استلام مكافآت قصائده ولقاء الأصدقاء والتصعلك في الحانات وشراء الكتب. تم سوقه الى الخدمة العسكرية الالزامية جندي احتياط لمدة سنتين في أحدى جبهات الحرب سَنَة 1986. هرب في الشهر السادس مِن خدمته وألقي القبض عليه بعدها وسيق الى محكمة عسكرية قضت بسجنه فترة معينة. حين تم تسريحه بعد أن أمضى فترة في جبهة الحرب وذهب الى تجنيد الديوانية لاكمال معاملة تسريحه. قال له ضابط التجنيد: "أيّ بعير ابن بعير لبّسكْ احتياط ووداك للجبهة؟ ليشْ أنت حمار ما تدري أنت مشمول بأمر الريس؟ الخريج من معهد الهندسة العالي والمهندس ما تروح مواليده للحرب ولا مشمول بالخدمة. كنّا نشرب في الليل فقط وأحياناً نذهب الى حانة ونشرب البيرة هروباً من الطقس الحار في الصيف بعد أن نمضي ساعات طويلة في جو مقهى حسن عجمي الخانق بفعل الثرثرة المعتادة ودخان السجائر وصياح الرواد وهم خليط لا متجانس من العاطلين والمحامين والمتقاعدين والبقالين والرسامين والتجار والشعراء والكتّاب والطلبة والجنود. في بعض بلدان العالم ومنها السويد، لا يجوز دخول الكحولي الى الحانات ولا يجوز بيع الشراب الثقيل لَهُ. تباع له البيرة الخفيفة ويمنع عليه شراء الفودكا والويسكي والعرق. عندما وصلت الى السويد كان يحلو لي أن أشتري البيرة الثقيلة أو الفودكا قبل أن أجبر على الذهاب اليومي لدراسة اللغة وأشرب على المصاطب في الشوارع وفي الحدائق العامة. كنت مزهواً بفعلي هذا. كنت أود أن أذهب وأجلس مع الكحوليين السويديين حتى أتعلم منهم اللغة. كان الجيران حين يشاهدونني أشرب على مصطبة ما. يمتعضون جداً ولا يلقون عليّ التحية وكنت حين أحييهم يتجاهلون تحيتي في بعض الأحيان ولم أكن أعرف السبب، لكن حين بدأت أفهم قليلاً في اللغة اكتشفت من خلال المدرسة وبعض الناس ويا للهول أن الشخص الكحولي شبه منبوذ من المجتمع بسبب صراخه وعدم استحمامه وازعاجه للجيران وعدم دفعه ايجار البيت وشحذه

المهين للنقود من الناس بشكل دائم مع انه يستلم النقود من دائرة الضمان الاجتماعي أكثر مما يستلمها الشخص الطبيعي. بعض الكحوليين ممن يطردون من بيوتهم بسبب عدم دفعهم الايجار يذهبون الى فنادق البلدية المزودة بغرف فاخرة ومطاعم بالمجّان. تخلَّصتُ مِن هذه الكارثة السخيفة وبعد أكثر من سنة اكتشف جيراني أنني لست كحولياً. لا يجوز في السويد ضرب الشخص السكران مهما أبدى من عدوانية وازعاج لأيّ شخص، وحين تعثر الشرطة على شخص سكران بشدّة في الطريق. تأخذه للمبيت في المخفر لحمايته مِن الحوادث وفي الصباح يذهب الى بيته بعد أن يستعيد صحوه. في بعض بلدان اوربا تقوم الشرطة بأخذ غرامة معينة من الشخص السكران، أمّا في السويد فلا يأخذون الغرامة، ولقد نمت مرة عند البوليس عندما افرطت في السكر حد الثمالة أثناء حفلة عراقية. طبعاً هذا هو عكس ما يحدث في بلداننا العربية، اذ نشاهد الناس السكارى في الشوارع يعربدون ويغنون ويصرخون ويتحرشون بالنساء حسب أمزجتهم ولا اعتراض من أحد على تصرفاتهم المسيئة، وفي حال قام أحد هؤلاء بالعربدة على شخص ما أو استفزازه بكلام لا يعول عليه يقوم هذا الشخص بضربه والثأر منه بقوة.

كانت هناك تقاليد غير حميدة بالعراق في نقابة الفنانين ونادي الاعلام واتحاد الأدباء ونادي المهندسين وبقية النقابات المهنية، حيث تقوم كل مؤسسة من هذه المؤسسات بفتح حانة للاعضاء وتقدم لهم المشروبات وبمرور السنوات يسقط المئات من الناس صرعى داء الادمان القاتل، وكم فقدنا من المبدعين بسبب الادمان في حانات هذه المؤسسات التي تقدم السموم والميول الى الانتحار البطيء والمصيبة الكبرى أن هذه الحانات التي يجب أن تكون غاياتها وأهدافها اجتماعية وترفيهية صرفة لكل الأعضاء. كانت ذات مناخ كحولي سيء وثقافة ذكورية تبعد المرأة عن هذا المناخ الملطخ بالنميمة والصخب والعدوانية التي يمارسها البعض.

كنت قد أوضحت في مناسبات سابقة أن اختيار الصعلكة كاسلوب ونمط حياة وثقافة في عراق الثمانينيات من القرن الماضي. كان اختياراً واعياً وحرّاً عندنا نحن الأربعة. كانت

أشكالنا وأرديتنا وعزوفنا عن الزواج ومصادرنا الثقافية وموضوعات قصائدنا وطرق حيواتنا لا تشبه الآخرين. كان اختلافنا عن الجميع واضحاً في كل شيء. كلنا هربنا من الخدمة العسكرية الالزامية وكلنا فقراء وكلنا لم نعمل في دوائر النظام الاعلامية والثقافية، وكلنا جئنا بغداد من محافظات أخرى. كان سلوكنا الاجتماعي الريفي والبدوي واضحاً جداً في تعاملنا مع الآخرين. جان دمو القادم من كركوك وقصائده السوريالية وثقافته الغربية، وكزار حنتوش القادم من الديوانية وقصائده الشبيهة بالشعر الشعبي والتي لا تنتمي الى تقاليد ومناخات وطرائق الشعر العراقي، وأنا المتخرج في مركز لمحو الأمية وتعليم الكبار والمولود في الناصرية. لم نكن وحدنا نحبّ الكحول. كان أغلب الذين نعرفهم ونعيش معهم كحوليين ومرضى من الدرجة الأولى ويشربون أحياناً في اليوم 3 مرات بحثاً عن لحظات سرور وهمية وهروباً من المحيط العائلي الذي وجدوا أنفسهم فيه بحكم العادات الاجتماعية التي أجبرتهم على الزواج في سنّ مبكرة. كان جميع من عاشوا معنا وتعلقوا بنا عندهم زوجات وأطفال وبيوت ووظائف محترمة، حاولوا أن يصبحوا صعاليك مثلنا. لكن هيهات، لم يكن اختيارهم للصعلكة واعياً. كحوليون كانوا ولطفاء جداً أتعبتهم حياة العائلة ومسؤولية تربية الأولاد. هل يمكن لنا أن نعتبر الشخص المتزوج ولديه الكثير من الأولاد والذي يهرب من بيت الزوجية ويدمن الكحول ويتشرد في الشوارع والأمكنة المظلمة صعلوكا؟ كلا بالطبع. يقول أمير الصعاليك عروة بن الورد :"أقسم جسمي في جسوم كثيرة". الصعلوك لا يهرب من بيت الزوجية ويترك أولاده وزوجته ولا يستجدي المال من أجل الشراب. لأنه ليس لديه بيت أصلاً. كان كزار حنتوش حين يأتي الى بغداد طوال سنوات عديدة من أجل استلام مكافآت قصائده، ينفقها كلها على الأصدقاء في البارات ويعود الى الديوانية خالي الوفاض، ومثله كان يفعل حسن النواب. ومعلوم أن لا كزار ولا حسن ولا جان كانوا يحتفظون بالمال، ولا أنا حين استلم راتبي من وزارة النفط وأنفقه في جلسة شراب واحدة تعج بالكثير من الصعاليك والكحوليين، طالما انه يأتي من أولئك الأصدقاء اللطفاء. لم

يحدث أن نام أحدنا على رصيف طوال سنوات الثمانينيات. كانت لجان دمو غرفته المستأجرة في شارع الرشيد وتقابل مقهى حسن عجمي وحين تركها راح يسكن في فنادق متواضعة يشاركه فيها أحياناً كزار. في بداية سنوات الحصار كان اذا صادف وجاء وكزار من مدينته يحلو له النوم بعد أن يفرط في السكر على الأراجيح في حديقة نادي اتحاد الأدباء ويشاركه ذلك جان دمو اذا لم يكن ممنوعاً من دخول مبنى الاتحاد. كانت فذلكاتنا تتفق والمناخ العام في تلك السنوات التي أتحدث عنها. استنسخت مرة بيدي قصيدة لسامي مهدي كانت منشورة مع قصائد أخرى له في مجلة "آفاق عربية" وعرضتها عليه في مقهى حسن عجمي. امتعض وقال:" يجب أن تعيد صياغتها. الموضوع مفكك والوزن كذلك" . أخبرته انها له ومنشورة في "آفاق عربية" اسقط في يده وضحك مشفقاً عليّ وعلى جرأتي في التجروء على هذا الفعل. ليست هذه صعلكة. انها فذلكة. لم تكن لدينا أية مشكلة مع السلطة في تلك السنوات، ولم ندعي المعارضة ولم تكن لنا بطولات وهمية. اكتفينا العيش على هامش المجتمع ضمن مفهوم الصعلكة الذي اخترناه ولم نمجد حروب النظام وأعتقد أن سلوكنا هذا في الابتعاد عن النظام كان أبلغ ادانة له. كنا نمارس تقاليد الشراب في الليل دائماً وأحياناً في النهار بخمارات شعبية في الباب الشرقي أو منطقة الميدان، ومثلما كنا نقرأ الكثير عبر أوقات نخصصها للقراءة كل حسب طريقته، فقد كنا نكتب الكثير باستثناء جان دمو العاطل عن فعل الكتابة دائماً. لم نكن مجانين أو وجوديين وكنا نعيش حريتنا في كل خطوة نخطوها بكل امتلاء. هل شعرنا في الاستلاب في يوم ما؟ نعم، مرات كثيرة، لكنه ليس الاستلاب العائلي. كنا نسخر دائماً من صنّاع الأدب المتنطعين وأولئك المتطفلين على الشعر والثقافة.

(77)

من حلم ماركس بمجتمع تسوده العدالة وتزول عنه الفوارق الاجتماعية، الى مثالية هيغل الى عوالم ديستويفسكي الى سارتر والوجودية الى علم الجمال الى السينما والتجارب الطليعية في المسرح العالمي. غابريل ماركيز، أدونيس السيّاب صلاح عبد الصبور نجيب محفوظ الخ. هذه الأحلام والثقافات والآمال تخلّى عنها الكثير من الأدباء وانبطحوا الآن أمام القصخون الإمعة وشيخ المسجد وزعيم الطائفة وشيخ القبيلة. هل تناسى هؤلاء أحلامهم وآمالهم في عالم تسود فيه الحرّية وكرامة الانسان؟ ؟ ماهذه السخافات التي تحرّض الآن ضد الطوائف الأخرى؟

هل اكتشفوا الآن انهم أتباع هذا
أو ذلك الإمام؟

طيِّح الله حظَّكم
يا قاذورات
يا سفِلة.

(78)

عَن انسي الحاج.

المنجز الشعري لأنسي الحاج منجز عميق وكبير وسيظل احدى العلامات الفارقة للشعر العربي. معهُ عبر الجدّة والمغامرة الدائمة تخلّصت لغة الشعر مِن الزوائد ومِن ما يثقلها. جاءت لغته وأساليبه ومُناخاته الغريبة والعميقة لتهزّ الشعرية العربية في سنوات الخمسينيات مِن القرن الماضي وما تلاها، لكن علينا ونحنُ نشيد بعظمة انجازه أن نعرف أولاً سرّ هذا الانجاز الكبير والرائع. انسي الحاج مقلّد كبير لانتونان آرتو وأخذ الكثير مِن موضوعاته في مجموعتيه "لن" و "ماضي الأيَّام الآتية" ولا أريد

الحديث عن نقله أكثر مقدمة "لن" مِن كتاب سارة برنار "قصيدة النثر مِن بودلير الى أيَّامنا" لأن القصة معروفة للجميع. مِن جانب آخر فأن انجازه نسخة مطوَّرة لانجاز جبران خليل جبران. العوالم الذاتية والطبيعة والمرأة المستحيلة وأخيلة الشبق والحنين الى الليل الخ. لكن ما يميّزه عن جبران هو انه بحكم ثقافته الفرنسية واطلاعه على الشعر الفرنسي بلغته الأصلية، قدَّم انجازاً جديداً للشعرية العربية التي انشغلت في منتصف القرن الماضي ب ت. س. اليوت والشعر الانكليزي والأمريكي. انجاز انسي كان في تلك السنوات نبتة غريبة في أرض الشعر العربي واستطاع أن يترسَّخ بقوَّة مِن خلال جدّته وطرافته وعمقه. لا أثر لأنسي الحاج في الشعر العراقي وأغلب الذين يدَّعون أبوّته لهم، لم يقرأوه بشكل عميق ولو كانوا قد قرأوه كما ينبغي أو تأثروا به، لكان الآن لهم منجزهم الشخصي .

تكمن بصمته العظيمة في انه جعل قصيدة النثر تستمر بقطيعة تامَّة مع مجمل التراث الشعري العربي، ويميّز قراء الشِعر القصيدة الحقيقية عن تلك الخواطر التي كتبها محمد الماغوط وكتبها ويكتبها سواه. في العراق هيمنت دائماً الايديولوجيا على الشعر طوال 50 عاماً وبالتالي كان شعرنا يبتعد عن الجماليات والعمق والمُناخات الوجودية وعوالم الماوراء. لم يؤثر انسي في الشعراء العراقيين لأنهم كانوا يقطعون البراري الجرداء ومعهم فوانيس أحزابهم وطوائفهم المهشَّمة. انسي شاعر كبير لأنه تأثر بشعر شعراء كبار. لا أحد من الشعراء عندنا تأثر به . هناك مَن يسرق شعر سركون بولص ويسرق مِن الشعر الفرنسي ويقترب مزاجه من عوالم انسي الحاج فيظن انه يسير على خطاه. انسي شاعر عظيم والحثالة لا تستطيع تقليده لأن انجازه غير قابل للتقليد .

(79)

غابَ رجل عَن زوجته، فلَّما قدم دنا منها فقالت "رجز":

ما مَسَّني بعدك يا صَفيِّ
غيرُ غلامٍ واحدٍ فَتيِّ
وآخرانِ مِن بَني عَديِّ
وستةٍ كانوا على الرَّكِيِّ.

فوثب وأخذ العصا يضربها، وقال:
لَو تركتها لَعدَّت ربيعة ومضر.

الفصل الثاني

أحاور الذين ماتوا في الأزمان الأولى

مِن التكوين.

(1)

تمنح العزلة الانسان الطمأنينة وصفاء الذهن وامكانية القدرة على التأمّل . طوال حياتي حلمتُ بتلك اللحظات التي أنزوي فيها معَ نفسي بعيداً عَن القطيع وَعَن الكثر . أمضيتُ الشَطر الأعظم مِن سنوات شبابي جندياً وأحيا مَعَ آلاف مِن البشر الذين كُتَبَ عليهم أن يتعذَّبوا مِن أجل أمجاد لا علاقة لهُم فيها بالملاجىء والمعسكرات وجبهات الحربـ . منحتني حياة الانزواء في مالمو" مَعَ ا شفيعة ، حلم القدرة على التأمّل ، أن أحظى بأوقات أنارَت لي الأعماق السفلى في داخلِ . تمضية الوقت كُلّه في البيت معَ القراءة والموسيقى والكتابة والشراب والطبِ ، تمنح المرء شعور بالغنى والرِّض . لي نزهة في الصباح وأخرى في المساء وأحاولُ وأنا أتمشى منفرداً أو ، ع الشفيعة، أن أتأمّلُ الطبيعة والناس والحجارة والزَمَن، ، أن أتخلَّص مِن الماضي الذي يُعذّبني، لكنّ الماضي وَهوَ قبر لا يمكنني التخلّص مِنهُ واكتشفتُ بمرور الوقت انه بمثابة منجم للذكريات والأشواق والثيمات للكثير مِن القصائد التي يتوجَّبُ علي إنجازه . استطعتُ في بعض اللحظات أن أحيا في أزمان قادمة وأزمان ماضية وأن التقي وأحاور الذين ماتوا في الأزمان الأولى مِن التكويز .

(2)

شعراء الاشاعة

ثمة شعراء أصدروا مجموعات قبل أكثر من 40 سَنَة أو نشروا قصائد مبعثرة في مجلات "الكلمة" و "مواقف" و "الآداب". طبّل لها النقد الايديولوجي والصحفيون الحمقى طويلاً. أصحاب هذه المجموعات والقصائد عاشوا ويعيشون الى الآن على أمجاد الاشاعة التي حاول النقد المتنطع وخرافات الوسط الثقافي

بحمولاته العشائرية والحزبية سنوات طويلة. أخطر الاشاعات هي تلك التي ينام تحت ظلالها الوهمية أولئك الذين يتواجدون في الوسط الشعري منذ عام 1980 والى الآن لم يُحققوا الابداع اللامع. آن الآوان لأن نتخلّى عن المجاملات والحمق العاطفي ونرمي هؤلاء في بئر أوهامهم .

عبّالهم التجارب الشعرية
طَكْ إعْطيّة.

(3)

أغلب مصادر الشاعر العربي هي تلك المصادر التي لا تغني ولا تسمن. دواوين الشِعر التي قرأها في بداياته. اللغة متشابهة. الموضوعات. الأشكال. قراءة الفلسفة. التاريخ. الميثولوجيا. الاقتصاد. الطبّ. الدين. الاسطورة. الفنّ. علم الجمال الخ. ذخائر حيَّة ولا ينتهي سطوعها بشرط أن يكون فعل القراءة الدائم مرتبطاً بالتأمّل والنظرة النفادَّة الى العالم والزَمَن. ما أن يكفّ الشاعر عَن التأثر بابداعات العقول الكبيرة، حتَّى يبدأ التقليد والفهاهة. لماذا يكف الشاعر عَن التأثّر بالانجازات العظيمة؟ لأنّه يصل الى مرحلة يعتقد فيها انهُ قد أنجزَ مشروعه، وهذا يعود الى نفاد ذخيرته التي هيَ مجموعة الدواوين التي قرأها.

(4)

لا يمكن كتابة قصيدة نثر حقيقية من قبل شاعر يستخدم نفس القواعد والصيغ والمفاهيم اللغوية والشعرية السائدة، ذلك لأن الجدة والطرافة هنا بحاجة الى عقل مغاير والى رؤيا مغايرة.

تنأى عما هو مألوف وسائد في النظر الى الفاعلية الابداعية التي هي مغايرة أيضاً لكل شيء ثابت وجامد .

(5)

ليست هناك صعلكة في الشعر العراقي، ولو كانت الصعلكة أولى مظاهر التمرد على الواقع القذر لكان الآن شعرنا وواقعنا بعافية كبيرة. لا تأثير شعري لجان دمو وهو كما وصفه عبد القادر الجنابي "شاعر بلا قصيدة". جان كان مريضاً عبر افراطه في الكحول وقد استطاع أن يجذب حوله الكثير من الكحوليين والعاطلين عن الفعل الشعري والحياتي .

(6)

كان اكتشاف الغريب واللامتوقع والسعي الدائم الى الماوراء ونبذ المألوف، هو ما ركزت عليه السوريالية في بحثها عن فن وأدب ينطلق من اللاشعور والأحلام والهذيان والجنون. في شعرنا العربي الذي أثقلته حمولات الايديولوجيات السياسية القومية والماركسية والطائفية في القرن الذي مضى وحتى الآن. لا نجد أثراً لهذه المفاهيم والتجارب التي منحتها السوريالية دفعاً قوياً عبر ابداعات كبرى في قارات العالم المختلفة. هل يستطيع للسياسي ورجل الدين و "مطرب الشاعر العربي الخادم الجماهير" الغبية التي تحاول الفهم دائماً. بثقافته الشعبية وأخلاقه المنحطة وسلامه الروحي مع مجتمعه بكل أشيائه الثقافية والدينية والسياسية الراكدة. أن يسعى خلف اللامتوقع واللاشعور وما وراء الواقع العربي الذي تثقله الممنوعات والتصورات والأفكار الدينية والسياسية المتسلطة؟ آن الأوان الآن لنرمي بكل انجازات شعرنا في القرن الماضي الى الحضيض ونسعى الى تأسيس

شعرية جديدة تطرد القارىء الغبي والسياسي الغبي والايديولوجي الغبي

(7)

احترامي الدائم والكبير للكثير مِن شعراء الستينيات الذين تعلمتُ منهم أشياء عظيمة في مسيرتي مع الكتابة. يجعلني أشعر بالسرور كلما تلقيت رسالة من أحدهم بسبب حبي واعتزازي بهم وبمنجزاتهم التي قد اختلف معهم فيها. لا يمكنني أن أنسى انجازاتهم المهمة والطرق الوعرة التي سلكوها طوال أكثر من نصف قرن وهم يحاولون أن يحفروا في الصخر هذه الشعرية التي منحتنا الضوء العالي وفتحت لنا الطرق والمجاهل الوعرة. البعض من هؤلاء لا يستطيع المرء أن يقرأه بمحبة بسبب ادعاءاته النفاّجة وسلوكه العدواني في الأدب والحياة العامة، والبعض الآخر تشعر بقيمة صداقته حتى لو لم تكن تعرفه أو تكون بينك وبينه أشياء مُعيّنة. الانقسامات والتخندقات الايديولوجية التي تورط القسم الكبير منهم فيها في الماضي على حساب الابداع والجوهر الحقيقي للشعر. تبدو الآن واضحة في انجازاتهم، وعلى الرغم من انطفاء تلك الايديولوجيات وبريقها الخلّب. فأن الكثير منهم ما زال يحيا في السراب العقيم لثقافته ورؤيته السياسية والفكرية الأولى. ما فائدة الاخلاص الى الحزب والزعيم الحزبي من قبل الشاعر الطليعي؟ هل حقاً أن في تراثنا الشعري الحديث ما يسمى بقدسية الزعيم الحزبي والطاعة التي قدمها ويقدمها له شاعر التجريب والمغامرة ؟ من أكبر المصائب في شعرنا الراهن هي مصيبة أن يكون فلان أوعلان المرجعية الحزبية لشاعر التحرر والتنوع والتعدد والحداثة.

(8)

يمكننا العثور على الكثير مِن أجمل القصائد عند الشعراء المبتدئين، لأنهم بصراحة في محاولة منهم لاثبات الذات وتسلق الهاوية. يسطون على قصائد الشعراء الكبار ويمزجونها بتجاربهم الشيطانية والبريئة .

(9)

مما يلفت النظر في الكثير مِن تجارب شعراء الثمانينات هو أن نتاجاتهم كثيرة التوغل في "المسائل الوجودية التي لها صلة بالحياة والموت والطفولة والحبّ والصيرورة" عكس الشعر الآخر الذي هو مجاز جماهيري حسب تعبير فان تيغيم ، ولئن وصل هؤلاء الشعراء الى هذه النتيجة فأن فعلهم الابداعي هو أنهم لجئوا الى جوهر الشعر وحده واتخذوه أداة تعبير عن أحلامهم وطموحاتهم المشروعة بعيداً عن الوهم الايديولوجي المتعصب ، وبعيداً عن المفاهيم الدوغمائية التي كانت تسد أمامنا طرق الابداع. أود أن أعلن عن ايماننا العالي في الشعر الحقيقي. أليس الشعر كما تقول اندريه شديد : "حركة لا نهاية لها، طريق نعود اليه بمعابره التي يلتقي فيها الحلم بالعادي، المدرك واللامرئي" لن يوصلنا الشعر كما يعتقد البعض الى البستان الخالي من الظلال ولا الى الفجر الدائم، لكن في ذلك خلاصنا. ما الذي يمنعنا من الذهاب الى الينابيع القصية على حد تعبير اندريه شديد أيضاً ؟ هل نتعاطف مع الذين أساءوا الينا أو غدروا بنا من خلال تعصبهم ورؤاهم التي لا ترى من العالم إلاّ غابة تتصارع فيها الايديولوجيات فقط، ولا يميزون بين وهم الايديولوجيا ووهم الشعر الذي هو طريق لا يعرف الوقوف وعطش دائم له صفة النسمة التي تهب. سريع العطب، لكنه معلق دائماً عبر جباهنا.

(10)

لا يمكن للشاعر الحقيقي أن يكون ابناً لأيّة مؤسسة مهما كانت طبيعتها وتوجهاتها. انه خارج الوصف وخارج أيّة مؤسسة واذا استثنينا بعض العقول الشعرية الكبيرة في كل العصور، والتي تلطخ البعض منها قليلاً برماد المؤسسة "مثلاً حالة المتنبي في ثراثنا العربي والذي قتله مشروعه السياسي" فسنجد أن الشعراء الأصلاء الذين استبطنوا محنة الوجود والانسان في العالم، كانوا هم المنارات التي أضاءت للبشرية الدهاليز المظلمة في تحولاتها وصيروراتها بعيداً عن كل سلطة ومؤسسة، مهما كانت وظيفتها وادعاءاتها والوهم الذي ترفعه وتعتبره مقدساً ، وبما أن جوهر الشعر الحقيقي لا يمكن تدجينه أو ترويضه من قبل المؤسسات والقائمين عليها. لا يمكن أن تكون له أية فعالية اجتماعية أو سياسية أو نفعية، ذلك لأن الفعل الشعري الأصيل هو دائماً نتاج تلك العقول الخلاقة التي تفرّ من مؤسسات القطيع البليد ولا يمكنها أن تلبي الاحتياجيات الآنية والزائلة .

(11)

يستطيع الشعر خلق لغته الشفيفة والخطرة والخاصة دائماً، بشرط الاخلاص للتجربة والمغامرة والتجريب المستمر. في محاولاتي عبر أكثر مِن مجموعة أردت التوحد في الروح الكبيرة للعالم لكن ليس من منظور لاهوتي. السيدة الشفيعة في شعري تمثل عندي المجهول أو بعبارة أخرى " السيدة الغريبة" عند الشاعر الروسي الكسندر بلوك أو السيدة الجميلة عديمة الرحمة في الآداب الاوروبية. لم أحاول أن أجد في بحثي عن طيفها للعالم معادلاً موضوعياً في الواقع. محاولاتي هنا ضرورية بالنسبة لي لامتلاك الجوهر السري لأشياء العالم. أشعر الآن انني عشت وسأعيش في جميع العصور. ربما هي حالة توحد مع الروح الكلية

للطبيعة. منحتني هذه التجربة الفهم لعميق لجوهر الموت. موت الانسان والأشياء في الطبيعة .

(12)

لا نستطيع أن نقدم قصيدة ونتحدث فيها عن المطلق بلغة صحفية. ينبغي خلق أشياء جديدة من أجل التخلص من الكتابة وفق العادات والركاكة والتقليد. يتملكني شعور بالاحباط وأنا أرى أغلب الشعراء العرب والعراقيين يكتبون بلغة وأنساق وأساليب متشابهة، وبالنسبة الى القارىء فأنا أود دائماً طرد القارئ من قراءة القصيدة، لأنه بصراحة غبي ويود أن يفهم واذا مهدّنا له مهمة الفهم فأنه يدمر عمل الشاعر . في جميع العصور كان جمهور الشعر الحقيقي أقلّية وهنا تكمن قداسته وجذوته المستمرة أبداً . الموضوع المعين والواضح في القصيدة الراهنة انتهى منذ زمن طويل. لا يمكننا التفكير في كتابة القصيدة. التفكير يقتل كل شيء. الكلمات لا الموضوع هي التي تخلق القصيدة كما يقول بول فاليري .

(13)

لستُ مُتديّناً طوال حياتي. ومفاهيمي حول الدين لم تتغيّر قط. يعني الدين بالنسبة لي انّه مؤسسة. ميثولوجيا وأستفيد من بعض جوانبه في الشعر. لماذا يسمح آلهة العالم والأديان أن تستمرّ هذه الحروب ويُقتل فيها الانسان؟

(14)

يعني لي "مفهوم الشعر" على الدوام انّه فعل خلاص وحرّية.. الشعر ليس أدباً كما يقول الصديق الشاعر والكاتب خزعل الماجدي، وهو معني بالاسطورة وطقوس الصيد والحصاد والسحر الخ. وظيفة الشعر تكمن في هذه الأشياء، لكنَّ الدين والسياسة وكلّ الايديولوجيات الأخرى استطاعت أن تُهيمن عليه وحرَّفَت جوهره ووظيفته الأصلية. لو عدنا الى مجمل تاريخ الشعر في العالم وبحثنا عن الحصيلة الابداعية فيه، لوجدناها ضئيلة عبر هذا الكم الهائل مِن كتب الشعر. الشعر يمنحنا الأمل والحُبّ وهو قنديل معلّقٌ في جباهنا ويرشدنا الى طريق الهاوية. لولا الشعر لكنتُ خاضعاً للعرف والتقاليد والمألوف في الحياة والمجتمع. منحني الشعر طاقة عظيمة في أن أحرّر ذاتي مِن الخضوع الى الأشياء التي تستلب الانسان وتدمّر حياته. كنتُ أعي مفهوم الشعر قبل نشوب الحرب العراقية- الايرانية سَنة 1980 وحين اشتركتُ فيها مُجنَّداً الزامياً، حرصتُ على أن لا ألوّث قصيدتي بما يطلبه مني مُناخ الدعاية والاعلام والنعرة الوطنية. عزَّزت الحَرب الطويلة فهمي للشعر على انّهُ أكثر قداسة مِن أن أسخّره للآني والزائل وكلّ ما يدمّر الانسان .

(15)

على الصعيد الشخصي انني أعي بقوة جوهر ووظيفة الشعر الأصلية، وبما أن تجربتي تبتعد عن الآني والزائل وذائقة القطيع، فقد كنت على الدوام أعيش في تعارض دائم مع العالم والأشياء بحثاً عن الدرب الذي يوصلنا الى ما وراء محنة الوجود. لم أشعر بأي انزياح لغوي في كتابتي للقصيدة أو بتغيير في مقاربتي لأشياء العالم بعد سقوط نظام الطغيان في العراق. لقد شهدنا في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي سقوط الكثير من المفاهيم

الشعرية والمعرفية في العالم العربي وشهدنا كذلك سقوط وتهشم الكثير من الأصنام الشعرية التي هيمنت بقوة من خلال السياسات المتخلفة للأنظمة والأحزاب والخطاب الاعلامي المهووس بالعنتريات، وبما أن هذه الأصنام قد انشغلت نتيجة لمحاباتها وتنطعها للسلطات الحاكمة بالدم والحديد، في الآني والتقريري وتلبية احتياجات القطيع الذي تقوده المؤسسات الفاشية في عالمنا العربي، فقد فشلت تماماً في تقديم أي ابداع حقيقي، اللهم إلا ذلك المجاز الجماهيري الذي مازال يحفظه عجائز اليسار العربي المثخن بجراح لا تندمل أبداً. أن موضوعات الموت والحب والحرب والتحول والصيرورة والطفولة والأحلام هي التي تهيمن على تجربتي الشعرية منذ سنوات طويلة، وبما انني لم أنشغل بالواقع السياسي المعاش بكل جوانبه الأخرى، فقد ظل مفهوم الشعر الأصلي عندي لا يتغير على الدوام بتغير الأنظمة والمفاهيم الثقافية والشعرية الرسمية للأنظمة العربية الحاكمة. لقد شهدتُ تجارب عديدة في شعرنا العراقي تتهاوى نتيجة عدم رسوخها في أرض الشعر الحقيقية، وكم أرثي الآن لضحالة وسذاجة تلك التجارب التي خدعتها الشعارات والمفاهيم السياسية البراقة. ثم أن الانزياح والتغيير في المقاربات والنظر الى العالم في الرؤيا الشعرية، لا يأتي نتيجة الأنفعال بحدث ما أو سقوط أشياء كريهة ومدانة. نعم، كان سقوط نظام صدام حسين أشبه بحلم عصي وبالتأكيد ستسقط من بعده كل الثقافات التي استطاع أن يرسخها طوال سنوات حكمه البغيضة وبشّر بها كتّاب وشعراء من العراق ومن الدول العربية الأخرى. وبالنسبة الى مستقبل القصيدة العراقية فانني لا أتوقع أن تظهر تجارب مهمة في السنوات القادمة. ذلك لأن البذور الجديدة بحاجة الى زمن طويل لتزهر وبحاجة الى تربة ثقافية يتطلب حرثها جهوداً كبيرة، وهناك مفارقة أخرى تقوم بها دوائر الخطاب الاعلامي الرسمي في العراق الآن وهي محاولات اضفاء طابع ما على تجارب تقليدية وميتة، بغية منحها الشرعية الابداعية وهذه المحاولات الدؤوبة تجيء الآن نتيجة لفهم قاصر مزمن في الواقع الثقافي العراقي، تتكرس وتترسخ في الدهاليز السياسية للأحزاب المنشغلة في النظر الخاطىء الى الشعر .

(16)

كتبتُ في مناسبة سابقة أن الحصيلة الابداعية والاضافات الحقيقية في الشعر العربي، كانت قليلة في جميع العصور وهذا سرّ مقدس من أسرار الفعل الشعر الحقيقي. ما يميّز الشعر العربي الراهن هو التعدد والتنوّع بعد أن قطع شعرنا أشواطاً طويلة في التجريب والمغامرة ومحاولات اللحاق بركب الشعر العالمي. كان شعرنا الذي هيمنت عليه مشاريع الرواد الايديولوجية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ومن تلاهم، يرزح تحت أنماط وقوالب شديدة التشابه، انشغلت بما يدور في المحيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي. لم يعد الشعر العربي الآن يقدم رؤية للعالم من خلال مفهوم الالتزام الذي أشاعته حركات اليسار في محاولاتها الدؤوبة لاخضاع الشعر والمعرفة وتطويعهما وفق ستراتيجياتها التي كانت ترى حركة الواقع مجرد صراع طبقي فقط عبر شعارات ومفاهيم انهارت بعد نضال طويل وصراع مرير في أول نسمة ريح نحو الحرية ضد الاتحاد السوفيتي السابق. ولم يعد الشعر العربي الآن منهمكاً بمشروعات القوى الايديولوجية القومية التي كانت تحاول عبر رؤى وشعارات وهمية أن تستعيد أمجاد ماتت وانقرضت منذ دهور طويلة. ما يميّز الشعر العربي الآن في تنوّع اتجاهاته ورؤاه، هو أن الفاعلية الشعرية تسير في اتجاهات ومتاهات متعددة بعيداً عن طروحات ومفاهيم الايديولوجيا التي كانت ترسم الحدود للشعر. طبعاً هذا لا يعني أن شعرنا الآن لا يعاني من حالات التقهقر والمراوحة في مسيرته المتعرجة وسط هذا الخضم الهائل من الأفكار والثقافات والتجارب، وبالنسبة للاختلاط والتشوش فأعتقد انه يأتي من كون الشعر في السنوات الأخيرة قد تغيرت وظيفته الأساسية ولم يعد الناطق الرسمي للايديولوجيات التي خدعت الجماهير بأقنعتها الزائفة. هنا لا أريد أن أعير أيّ اهتمام لما ينشر في مواقع الانترنت من شعر ولا لتلك الأعمال الشعرية الكاملة التي يصدرها الشعراء الموتى / الأحياء الذين لا يمتلكون أيّ فعل حقيقي للشعر، لأن هذا الشعر الذي يكتبه هؤلاء الهواة لا يمثل القيمة الحقيقية لجوهر الشعر. اعتقد بيقين أن الشعر العربي

الآن يستطيع أن يمنحنا من بين مليون شاعر حيّ، حفنة من شعراء مبدعين فقط، وهذا هو ما نعول عليه في ديمومته وتألقه العالي

(17)

لم يكن هناك أيّ أثر شعري أو ثقافي يذكر لما يسمى جيلي في الساحة الأدبية العراقية من سنة 1980 الى سنة 1990، فقد كنا نكتب قصيدة النثر شبه الممنوعة من النشر في الصحف والمجلات التي تصدر بالعراق ونحتفظ فيها لأنفسنا أو نقرأها في البداية لبعضنا بمقهى "البرلمان" وبعدها في مقهى "حسن عجمي". عندما مات صاحب الشاهر كان عمري الأدبي سنتين. لم يصنع أيّ واحد منّا تقاليد جديدة أو ما شابه. الشعر لم ينزل الى الشارع حينذاك لأنه بصراحة لا يوجد شعر حقيقي في العراق باستثناء أسماء قليلة وأسماء أخرى تعيش في المنفى وكانت نتاجاتهم ممنوعة في العراق ونتداولها سرّاً. لم نخلق أيّة قطيعة مع الأجيال السابقة لأنها ميتة أساساً، وما زالت لغة الشعر العراقي وموضوعاته وأشكاله متشابهة.

(18)

لم يؤسس شعراء الثمانينيات أيّ خطاب مضاد باستثناء الاصرار على كتابة قصيدة النثر وقد تبعهم شعراء السبعينات في هذا المشروع ولا أعتقد "أستثني هنا بعض الأسماء" انهم اخلصوا لجوهر الشعر، فقد كتب الكثير من هؤلاء وأصدروا مجموعات تمجد حروب صدام صدرت عبر سلسلة "ديوان المعركة " وسلسلة "كسر الحصار الثقافي" التي أنشأها عدي صدام حسين وأشياء تافهة أخرى تخون الجوهر الحقيقي للشعر. مشكلة شعراء السبعينيات في العراق هي نفس مشكلة شعراء السبعينيات في

العالم العربي. الايمان بايديولوجيات معينة والتبشير بطروحاتها الغوغائية على حساب الجوهر والوظيفة الأساسية للشعر. عندما أعود الى قراءة أعمال 73 شاعراً ظهروا في السبعينيات بالعراق أشعر بالكارثة ليس هناك أي ابداع حقيقي لإلاّ لدى قلّة قّلية جدّاً،على الرغم الادعاءات والصراخ الذي ملأ وسطنا الشعري طويلاً .

(19)

كيف يمكنني التعبير عن محنة الانسان في متاهة العالم ووحشته، ومسائل ما وراء الوجود أو الزمان أو التحول والصيرورة في الطبيعة وفي الأشياء من خلال لغة انشائية تخلو من الأفكار والأحاسيس؟ ما يعوز شعرنا العربي الآن هو الأفكار العميقة . تمت وتتم الآن التغطية على مشروعات وتجارب شعرية كبرى في الشعر العربي من أجل ترسيخ الجماهيري والايديولوجي وتلبية احتياجات القطيع عبر مفاهيم سياسية واجتماعية واعلامية بعيدة عن جوهر الشعر . يظهر النقد المتهافت تجارب شعرية هزيلة لأسماء طنّانة تتغنى بمشروعات التحرير ووحدة الأمة العربية وقضية فلسطين، ويحجب هذا النقد ووسائل الاعلام المتهافتة مثله التجارب الكبيرة والحقيقية لشعراء من أمثال خليل حاوي وتوفيق صايغ وبلند الحيدري وسواهم. كل نص شعري يخلو من المعرفة لا يستحق القراءة. كيف يمكننا قراءة قصيدة لا تقدم لنا سوى لعثمات وتأوهات تافهة وفارغة للشاعر الذي يكتبها؟ أعتقد أن الثقافة المتجددة وتجاربها المستمرة مع المعرفة ضرورية جداً لاعطاء النص بعده الابداعي العميق .

(20)

لا يمكننا القول أن ثمار التجربة الشعرية الحداثية في العراق قد نضجت على يد شاعر معين . يجب أن لا ننسى المغامرة الستينية في شعرنا العراقي وهي مغامرة كبيرة وأصيلة استطاعت أن تنقل شعرنا من أنماطه وأساليبه وأساطيره السابقة التي حاول أن يعكسها الشعراء الرواد على واقعنا المتردي عبر النظرة الايديولوجية للشعر ، الى آفاق أكثر سعة ومسؤولية في التعامل مع العالم والنظرة العميقة للشعر وجوهره . يشكو البعض الآن من كثرة عدد الشعراء في العراق . هذه الحالة ليست غريبة على الوسط الشعري في العراق . في كل عقد يظهر عشرات الشعراء ويحاولون ايجاد أشياء جديدة عبر التجريب والمغامرة والجهود الكبيرة . تهمنا المحصلة النهائية وهي بقاء عدد صغير جداً من هؤلاء يواصلون الابداع الحقيقي .

(21)

لا أعتقد أن اللغة الصوفية هي غاية الشعر. الشعر يستطيع خلق لغته الشفيفة والخطرة والخاصة دائماً، بشرط الاخلاص للتجربة والمغامرة والتجريب الدائم. في محاولتي عبر مجموعة "بين خرائب محنتنا" أردت التوحد في الروح الكبيرة للعالم لكن ليس من منظور لاهوتي. السيدة الشفيعة في هذه المجموعة تمثل عندي المجهول أو بعبارة أخرى "السيدة الغريبة" عند الشاعر الروسي الكسندر بلوك أو السيدة الجميلة عديمة الرحمة في الآداب الاوروبية. لم أحاول أن أجد في بحثي عن طيفها للعالم معادلاً موضوعياً في الواقع. محاولاتي هنا ضرورية بالنسبة لي لامتلاك الجوهر السري لأشياء العالم. أشعر الآن انني عشت وسأعيش في جميع العصور. ربما هي حالة توحد مع الروح الكلية للطبيعة . منحتني هذه التجربة الفهم لعميق لجوهر الموت. موت الانسان والأشياء في الطبيعة.

(22)

لا يمكن الحديث عن عشق خارج الجسد. كان الشاعر العربي العذري حسب ما يقول هادي العلوي لا يحب حبيبته ككيان انساني له جسد ورغبات محمومة. انه يحبّ الحبّ فقط. في حبّي الخائب والعاثر لانخيدوانا سعيت دائماً الى خلق علاقة حميمة مع الحب كمطلق من خلال منظور شعري. ربما هي محاولة تعويض شيء مفقود وعصي. لقد تغيرت الان مفاهيم العشق كلها وأصبح امتلاك المحبوب سواء كان رجلاً أو امرأة يجري بطريقة أكثر سهولة، لكن من جهة أخرى وهنا أود أن أوضح الطريقة المختلفة في العشق خارج نطاق الثقافة والعالم العربي. تتعرف على فتاة ما أو هي تتعرف اليك في مكان معين وربما تذهبان الى السرير بعد احتساء فنجان قهوة أو وجبة طعام. تتكرر اللقاءات أو تعيشان معاً ثم يأتي الحب بعد شهر أو أكثر أو تتركها وتتركك. ليست هناك طريقة معينة في الحُبّ. في حالتنا العربية تبدو المسألة مرضية وبحاجة الى علاج نفسي طويل .

(23)

الرهان الدائم عندي حول المران الطويل في الكتابة هو الذي يجعلني أواصل المغامرة والتجريب من أجل خلق لغة وكلمات وأنساق خطابية جديدة للقصيدة التي اكتبها عبر الصراع الطويل مع اللغة وانزياحاتها وبلاغتها. ما عادت الطريقة الغنائية الآن في النص الشعري تلبي الحاجات النفسية والشعورية للشاعر. لا يمكنني أن أكتب جملة من سطرين أو أكثر وأنا أحاول التعبير عن محنتي الدائمة من زوال الأشياء في العالم، أو استحالة وجود الانسان على الأرض كما يقول هايدغر. أنا أعيش حيرة كبيرة ووعي مدمر في التحولات وصيرورة الانسان والعالم والزمن والطبيعة.

(24)

لطالما بحثت في شعري عن الماوراء وعن الحيرة في متاهات الوجود واللاوجود. ليست هناك بيئة معينة تشغل قصيدتي. ماذا يمكنني أن أكتب عن مقهى "حسن عجمي" أو ساحة "الميدان"؟ . هذه المهمة ليست مهمتي. طوال 34 سنة أمضيتها بالعراق كنت أشعر دائماً في الاستلاب والاغتراب الروحي والجسدي ولم أشعر بانسانيتي قط.

(25)

الشعراء الذين لهم تجربة حقيقية وكرّسوا لها حياة بأكملها هم قلة، يحتاج اكتشافهم بالنسبة الى القارىء الجديد الى مرشد أو كشاف وسط هذا الضجيج من الأسماء.

(26)

كم عدد العقول الشعرية الكبيرة التي منحت شعرنا العراقي ديمومته واندفاعاته منذ سنوات الخمسينات مِن القرن الماضي الى الآن؟ لقد استنفذ الكثير من الشعراء الذين سبقونا كل امكانياتهم الشعرية وتكرست في الواقع الثقافي تجاربهم وأشكالهم ومشروعاتهم، وبالتالي فان الحصيلة الابداعية التي خرج فيها شعرنا الآن. هي حصيلة تثير الرثاء ذلك لأن أغلب هؤلاء الشعراء لم يصلنا منهم "إلاّ ايصال بخدعة". لم يعد الآن ماهو جديد تحت الشمس وتكاد تجف جميع الأنهار التي اعتقدنا انها ستظل تفيض دائماً، وهنا ينبغي لي أن أستثني بعض التجارب الكبيرة والحقيقية التي مازالت تواصل مشروع الابداع دائماً من دون الحاجة الى ذكر الأسماء لأنها معروفة جداً، والتجربة

الشعرية التي أعنيها هي تلك الحياة الكبيرة التي يعيشها الشاعر ونقرأها نحن عبر ابداعه في المغامرة الدائمة. "ليس الشاعر الحقيقي رجل يجلس في مكتبة" انه المغامر، جوّاب الآفاق، المجنون، العاشق، "المريض الكبير" ،المفكر، دليلنا الى المجهول، الغريب، المنفي في الداخل والخارج. لم يعد الشعر انعكاساً لواقعنا المتردي بكل أشيائه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بل هو كشف وتعرية لكل أشياء العالم والزمن والتاريخ .

(27)

لا يمكن لنا أن نعتبر قصيدة النثر التي نكتبها مقدسة ونهائية، بل هي تبقى مشروع قابل لاعادة الصياغة والشطب والحذف. أكثر ما يثير فزعي الآن هو اصرار الكثير من الشعراء الرديئين على اصدار المجموعات التي لا يقرأها أحد، وعلى حسابهم الخاص من دون أن يراجعوا تجاربهم أو أن يفكروا قليلاً بجدوى هذا الاصرار، وهؤلاء الكائنات الهلامية طفح جلدي في أوساطنا الشعرية الحقيقية التي تركلهم في كل حين، لكن وجودهم ضروري أيضاً وآمل أن يبلغ عددهم 3 ملايين شاعر لأننا على الاقل بحاجة الى قرّاء للقصيدة التي نكتبها، لكن هل يقرأوننا فعلاً أم هم ولدوا هكذا شعراء من دون ارث يسبقهم. عندما انتهت الحرب العراقية - الايرانية وهدأت طبولها نهائياً ، اكتشفنا اننا لم نكن نكتب شعراً حقيقياً بل كتابات رديئة تتخذ التعمية هدفاً رئيسياً وتخلو من أي طابع ابداعي وانساني. لا مضامين، لا أشكال، لا أهداف واضحة في الفاعلية الشعرية، ويبدو أن هذا عائد الى أننا كنا نعاني حالات عزلة مع مجمل التواصل الشعري والمعرفي مع الخارج. بدأ الكتابة معي منذ سنة 1980 ، 123 شاعراً، لم يبق منهم الآن إلاّ القليل ممن يواصلون الكتابة بجدية حقيقية، وأتساءل: أين ولّت تلك الأسماء وما هي مصائرها الآن؟ وأين ذهبت صرخاتها واصداراتها؟ الى القمامة بالتأكيد لأنها كانت كاذبة وجاهلة واتخذت الشعر وسيلة

آنية لتحقيق طموحات اجتماعية سخيفة على حساب الهم الشعري الذي لا يقبل الخديعة مهما كانت .

(28)

ماعاد موتي يهمني الآن بعد أن تدربت عليه طويلاً من خلال فهمه والاحاطة به عبر الموقف الفلسفي للتحول والصيرورة، وفي قصيدتي أسعى الى العيش بتوازن مع اللحظات القليلة الممنوحة لي في العالم من أجل أن يكون لحياتي ذلك المغزى العميق الذي بحثت عنه دائماً. التشابه الحاصل الآن في أغلب التجارب الشعرية يجعلني أسعى للبحث عن المختلف والجديد من خلال قلقي وصراعي مع الزمن والموت والتجددات الدائمة للطبيعة واللحظات التي تعبر بخفة في الزمن. لا يمكن الآن كتابة القصيدة بمعزل عن الرؤيا والموقف من العالم. التجارب الشعرية التي تتوخى البساطة والعاطفة الخاوية لا مكان لها الآن في الفعل الشعري، وما عادت مفاهيم الشعر التي سبقتنا تلبي الحاجات العميقة لانسان عصرنا المبتلى بالقلق والسأم وهو يواجه المصير البائس لنهايته في هذا العالم المتغير والمتحول دائماً. كل قصيدة هي رؤيا للعالم ومعرفة ، ومن خلال المعرفة ينشّط الشعر الذاكرة العاطلة للانسان ويمنحه وعد ورجاء في ظلمة العالم الذي يستلبنا في كل حين .

(29)

لا أدعي انني وجدت ضالتي حتى الآن لكنني أطمح الى أن أتلمس طرائق جديدة للتعبير الشعري في هذه المتاهة التي تتشابه وتتكاثر فيها الطحالب والأشنات. قالت لي آندريه شديد مرّة وهي تناولني أحد كتبها في الحلم. "لا يمنحنا الشعر الشهرة ولا الجاه ولا السلطان ، لكنه معلق بين أهدابنا ويدلنا على تلمس الفجر".

منذ تلك اللحظة العظيمة التي التقيت فيها آندريه. قبضتُ بقوة على الجمرة المشتعلة للكتابة وواصلت طريقي الطويل في من أجل أن أتلمس الفجر، لكنني حتى هذه اللحظة لم أكمل الظلام عبور الطريق وفجر حياتي ما يزال بعيداً، بعيداً جداً. بعض الشعراء الحمقى يتأثر في الشخصيات التي يقرأ نتاجاتها ويكثر من الاستشهاد منها. مصيبة الشعر العراقي الراهن انه خاضع لمفهوم الاشاعة. الاشاعة الايديولوجية والتراثية واشاعات الخدائع المتواصلة التي تركتها لنا الأجيال الشعرية الماضية.

(30)

جاءت صعقة الشعر مِن خلال اكتشاف الموت. في سنوات مراهقتي هيمن عليّ الدين هيمنة كاملة مع أن عائلتي غير متدينة. كنت أبحث عن الخلاص من الموت في الدين وكثرة الصلوات واداء الطقوس الدينية وزيارة المساجد والكنائس وأضرحة الأولياء وقراءة الكتب المقدسة وبمرور الزمن ومن خلال القراءة اكتشفت الشعر أو هذا ما أعتقدته، واكتشفت فيه خلاصي، فقررت أن أترك الدين وأكون شاعراً حتى لا يكون موتي مثل موت مليارات الذباب والديدان التي عاشت حياتها على هذه الأرض بلا طائل. منحني الشعر القدرة على فهم الموت ومعايشته ومصالحته وبالتالي لم يعد موتي يشكل لي حالة دائم مع العدم واللاجدوى في ظلمات الوجود، وأحتاج الآن الى سنوات أخرى قادمة لكي أصبح شاعراً بالمعنى الحقيقي للشعر، حتى أظل عائشاً في الزمن. لا أؤمن بالخلود بمعناه اللاهوتي ولا أريد الشهرة ومسألة موت البشر وجميع الأشياء على هذه الأرض الفقيرة. تكبل ضميري وتثقل كاهلي، وكون الانسان يعيش 15 سنة أو 200 سنة أو 1000 سنة لا يهم عندي، طالما أنه يستحيل علينا الوجود الدائم في العالم. لا فرق بين موتنا وموت الحيوان.

(31)

منذ طفولتي لم أخضع الى مُقدّس في العائلة. المُجْتَمع. الدين. الآلهة. الثقافة. العَمَل. السياسة. الدولة. عشتُ حياتي كُلّها حرّاً ولم أتورَّطُ في التقليد. الآنَ وأنا أقرأ ل "الطائفيين" الذين تخرَّجوا في الجامعات والذين يعيشون في اوروبا وامريكا واستراليا الخ. يشتمون هذا وذاك. شيعة. سُنَّة. أشعر بالأسف على الذين صاحبتهم سنوات طويلة وانتهوا الى النوم في النفاية السياسيَّة والطائفية .

(32)

طوال حياتي لا أستطيع أن أقرأ شعري أمام جمهور مِن البغال والحمير. أشعر بالحيرة والتلعثم والفزع. المرَّات القليلة التي قرأتُ فيها شعري. كُنتُ إمّا أمسك القلم أو أُدخِّن أو أكون سكراناً، حتَّى أتخلَّص مِن أولئك الأغبياء الذين يحضرون جلسات الشعر.

(33)

حاولتُ في بعض أعمالي أن أقدم شعراً تكون مناخاته المطلق بشكله السري والعميق. الموضوعات وهي تسمية لا أحبذها موجودة . لا نستطيع أن نقدم قصيدة ونتحدث فيها عن المطلق بلغة صحفية. ينبغي خلق أشياء جديدة من أجل التخلص من الكتابة وفق العادات والركاكة والتقليد. يتملكني شعور بالاحباط وأنا أرى الكثير مِن الشعراء العرب والعراقيين يكتبون بلغة وأنساق وأساليب متشابهة. بالنسبة الى القارىء فأنا أود دائماً طرد القارئ من قراءة القصيدة، لأنه بصراحة غبي ويود أن يفهم واذا مهَّدنا له مهمّة الفهم فأنه يدمّر عمل الشاعر. في جميع العصور كان جمهور الشعر الحقيقي قليلاً. وهنا تكمن قداسته وجذوته المستمرة أبداً. الموضوع المعين والواضح في القصيدة

الراهنة انتهى منذ زمن طويل. لا يمكننا التفكير في كتابة القصيدة. التفكير يقتل كل شيء. الكلمات لا الموضوع هي التي تخلق القصيدة كما يقول بول فاليري.

(34)

لا يمكننا الحديث عن خطاب انثوي أو ذكوري في الابداع. المناسبة الدائمة التي يتكرر فيها هذا الحديث عندنا نحن العرب، عن الفصل بين الخطاب الانثوي والخطاب الذكوري في الكتابة هو الاعتقاد السائد أن المرأة عندنا تخلق لغتها المختلفة عن لغة الرجل بسبب الثقافة الذكورية المنحطة والمفاهيم والعادات والأخلاق. تقرأ لشاعرات من أمثال ايديث سودغران وكارين بويا وسوزانا روكسمان وبوديل مالمستين وكارين لينتز من السويد، وآنّا اخماتوفا وآنّا أحمدولينا ومارينا تسفيتايفا من روسيا، وسيلفيا بلاث واليزابيث باريت براوننغ واميلي ديكنسون واميلي برونتي وسواهن في اللغة الانكليزية، ولا تشعر بمفاهيم خاصة في الخطاب الابداعي تفصل كتابة المرأة عن كتابة الرجل .

(35)

المضامين البرجوازية في الشعر.

في سنوات السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي. تم منع تداول أعمال أدونيس والماغوط وأنسي الحاج وتوفيق صايغ وعباس بيضون وسليم بركات في المكتبات العراقية .

كتاب الدكتور الناقد محسن الموسوي "كشف المضامين البورجوازية في الشعر" الذي يبدو انه قد تخلى عنه ولم يعد يذكره في قائمة مؤلفاته النقدية. يؤكد فيه أن اليوت وسان جون بيرس وسواهما من شعراء العالم الكبار لا تجب قراءتهم لأن شعرهم يحتوي على مضامين بورجوازية مدانة، ولست أدري

لماذا تدان المضامين البورجوازية في الشعر اذا صحت هذه الفرضية. ثم ما علاقة شعر هؤلاء العمالقة الذي استبطنوا محنة الوجود والانسان في العالم بهذا الحكي؟ كان هذا الكتاب والكتب الأخرى التي على شاكلته هي التي تنظّر لشعرنا في تلك السنوات عندما كانت تدوخ رؤوسنا شعارات ومفاهيم الواقعية الاشتراكية والالتزام، والبعد القومي. أيَّة خديعة كنّا نتعرَّض لّها مِن هذا الناقد وأمثاله؟

يا للمفارقة

(36)

قالَ امرؤ القيس:

أرَانا مُوضِعِينَ لأمْرِ غَيْبٍ
ونُسْحَرُ بالطَعامِ وبالشَرابِ
عَصافيرٌ وذِبّانٌ وَدُودٌ
وأجْرَأً مِنْ مُجلَّحةِ الذَّئابِ
إلى عِرْقِ الثرى وشَجَتْ عُرُوقي
وهذا الموْتُ يَسْلِبني شَبابي.

عاشَ امرؤ القَيس حَياته مُسْرِعاً لأمر لا علم لهُ بهِ، لكنّه كان يدرك حَقيقة الموت.
ما نَحنُ إلاّ "عصافير وذِبّان ودودٌ " لكننا على ضعفنا نكون أشدّ جرأة مِن الذئاب.

أنا نصيف ولدتُ سنة 1960 وقبلها بسَنَة لَم أكُن موجوداً في العالم. جئتُ من اللاشيء.
العَدَم. الخَلاء. الفراغ الخ. أحيا اللحظات الضَئيلة المَمْنوحة لي في حَياتي بكلّ امتلاء
وأودِّع العالم وأذهَبُ الى اللاشيء أيضاً. تَدرَّبْتُ على موتي طَويلاً وَعشْتُ حَياتي
حَسَب الطَريقة التي رَغبْتُ فيها. بما انَّني جئتُ مِن العَدَم، فَلا

أريد إيلاد ذَرِّيَّة لي
منه. جُئتُ الى العالَم وَحيداً وسأرحَل عَنه وحيداً. لا شَفاعَة أريد
ولا غُفْران وَلا
أيّ وَهم أو حُلم بالخلود أو البَعث. ما أنا إلاّ عصفور أو نملة
.

(37)

ما يرسّخ النمطية والتفاهات والغثيان في الشعرية العربية الآن، هو الاصرار الدائم على كتابة الشعارات والانشاء والتداعيات الفارغة من أيّ جوهر معرفي أو شعوري. كيف يمكنني التعبير عن مخنتي ومحنة الانسان في متاهة العالم ووحشته ومسائل ما وراء الوجود أو الزمان أو التحول والصيرورة بالطبيعة وفي الأشياء، من خلال لغة انشائية تخلو من الأفكار والأحاسيس؟ ما يعوز شعرنا العربي الآن هو الأفكار العميقة. تمت وتتم الآن التغطية على مشروعات وتجارب شعرية كبرى في الشعر العربي من أجل ترسيخ الجماهيري والايديولوجي وتلبية احتياجات القطيع عبر مفاهيم سياسية واجتماعية بعيدة عن جوهر الشعر. كل نص شعري يخلو من المعرفة لا يستحق القراءة. كيف يمكننا قراءة قصيدة لا تقدم لنا سوى لعثمات وتأوهات تافهة وفارغة للشاعر الذي يكتبها؟ أعتقد أن الثقافة المتجددة وتجاربها المستمرة مع المعرفة ضرورية جداً لاعطاء النص بعده الابداعي العميق
.

(38)

كان هاجس الموت عند الشاعر الانكليزي الميتافيزيقي جون دن، يشكل على الرغم من ايمانه العميق مشكلة عميقة عنده وتثقل كاهله في كل أيام حياته ، وكان يعتقد أن موت أيّ انسان في مكان ما من العالم يعني موته هو. أمّا غوته الذي كان لا يقل رعباً عنه في مشكلة الموت، فقد أعتقد خاطئاً بأن موت البشرية ما هو إلاّ " حيلة الطبيعة " في الحفاظ على نفسها. نحن نعلم أن

الحفاظ على النوع لا الفرد الواحد في مسألة الموت. لا يجعل الطبيعة تلجأ من أجل حماية نفسها الى الحيلة. "لماذا خلقنا أناساً ، سيكون موت حيوان؟" قال الشاعر الشيلي نيكانور مادام موتنا بارا . موت الانسان والحيوان وموت كل الأشياء في العالم هو السمة البارزة لتجدد الحياة واستمراريتها. الموت ولادة أخرى. في الماضي كنت أرثي لمصائر البشر على هذه الأرض بسبب الموت وبسبب لا جدوى الحياة وعبثها. الآن توصلت الى حقيقة أن الحياة تستحق أن تعاش حسب الرغبات الابيقورية حتى النهاية، أمّا موتنا فهو شيء تافه ولا يجب أن نشعر بالحسرة والخوف منه طالما اننا لسنا سوى حشرات وزواحف تدب على الأرض .

(39)

"كم سنة استلقي على السرير وحيداً وأداعب قضيبي؟"

هكذا يقول آلن غينسبرغ في قصيدته " أيام مايو 1988 ".

ويقول الشاعر الأمريكي دونالد هال في قصيدته "الأيام الأخيرة"

"انفجرت جين في البكاء وصرخت: كفى نكاحاً.

كفى نكاحاً، اذ فقدت السيطرة على نفسها."

في شعرنا العربي المصاب بالعنّة المزمنة، لا نجد مثل هذه اللغة التي تتحدث عن موضوع شخصي عادي بهذا الوضوح والبساطة. أكثر شعرائنا الكبار أخْصتهم الأحلام القومية والتنطعات الحزبية حتى اننا صرنا نعتقد بيقين تام أن كل واحد منهم ماهو إلاّ عنّين أو لا يملك قضيباً يتحدث عنه ولو مرة واحدة في حياته. المرحوم نزار قباني هو المسؤول الأول عن اجهاض الثورة الجنسية التي اجتاحت العالم في ستينيات القرن الماضي في عالمنا العربي. عبر حجبه لحقيقة الجنس الانسانية عن قرائه الأغبياء والأميين في تأوهاته وفحولته المزعومة وانشغاله بكتابة قصيدة لا هي غزل ولا هي قصيدة حب يوصل الى الجنس. عنّين. عنّين. حتى قاموسه الشعري ضئيل. المسكين حافظ على كلمات قليلة بسبب عدم تجديد

نفسه وراح يطشها في كل مجموعة عبر نصف قرن من الكتابة المتشابهة .

(40)

الشعر . الاشارة

في المقطع الخامس من قصيدة المرحوم عبد الوهاب البياتي

" عذاب الحلاّج " يقول في البداية:

"في سنوات العقم والمجاعة
باركني
عانقني
كلّمني
وَمدّ لي ذراعه"

طبعاً بعد المباركة والعناق والكلام لازم يمدّ له ذراعه،
قابل يمدّ له طيزه؟
هذا الشعر لا يعني بالاشارة ويعنى بالتقرير.

(41)

الشاعر العراقي هو الوحيد من بين الشعراء العرب الذي لا يسمح لشاعر ما أو صديق مقرّب له، أن ينقد شعره ويكشف العيوب. دائماً هو نرجسي ويعتقد انه الأول والآخر، واذا كتب ونشر شاعر معيّن قصيدة أو مجموعة جميلة. لا يحظى باعجاب واستحسان الشعراء الآخرين. تاريخ من الانحطاط والتبجّح المقيت والفارغ. ليس عندنا اجماع وطني على شاعر سوى بدر شاكر السيّاب .

(42)

حول إدمان الكحول.

كُلّ شخص يشرب الخمر مرتين في الاسبوع

كحولي ومريض ويحتاج الى علاج طبّي ونفسي،

حقيقة عرفتها بالسويد.

قبل سنوات أخذتني آنّا الى مستشفى متخصّص بمعالجة المدمنين.

سألوني:"منذ متى أشرب وكم الكمّية التي أتناولها في اليوم والاسبوع ؟"أجبتهم :"منذ دهر طويل والخ". أعطوني أقراص لمدة 6 شهور تخفّف نسبة الكمّيات التي أتناولها، وخفّفت فعلاً واعتقدت أن المسألة انتهت، لكنّهم أخبروني أن العلاج سيستمر مدة أكثر من سنتين حتى يتخلّص جسمي من آثار الكحول، ويتوّجب عليّ أن أتناول أقراص"آنتي بوس" في المستشفى وبحضور الطبيب الذي يناولني هذه الأقراص في يوم الاثنين ويوم الخميس، وما يصير أتناولها في البيت لخشيتهم من انني سأرميها وأعود الى الشراب، وأخبروني انني اذا تناولت هذه الأقراص وشربت قدحاً من البيرة أو كأس عرق، فسأصاب بجلطة في الدماغ أو نوبة قلبية. هذا الشيء ينطبق على كلّ شخص في السويد. حاولت اقناعهم انني لا أستطيع وأود أن أشرب في يومي العطلة. أخبروني انني في هذه الحالة لا أود التخلّص من المشكلة. أخيراً وافقت وبدأت رحلة العلاج التي امتدت الى أكثر من سنتين ونصف. الآن لا أستطيع الشراب إلاّ حسب موعد مع صديق أو دعوة يتمّ التحضير لها أو حفلة نتفق عليها.

هل نحتاج الآن الى ثقافة جديدة نتخلّص عبرها من الادمان الذي يدمر حياة الكاتب والشاعر والفنان؟ نعرف الكثير من المبدعين الذين ماتوا بسبب الكحول.

(43)

ما الذي يجبر الشاعر الشاب الجَديد على رهن مشروعه الشعري الذي ينبغي أن يُكرِّس حياته كلّها مِن أجله ، على التلطّخ بمشروعات وثقافة السلطة الطائفية؟

أهيَ جنَّة المال
الوظيفة،
الفَهْلَوة
الحصول على مغنم؟

سبقت هؤلاء
الكثير مِن النفاية
وضاعت في بالوعات
الدولة
والحزب
والطائفة.

(44)

كل تواصل مع الكتابة يمنح الشاعر القدرة على فعل التذكر وعلى كيفية الامساك بقوة على العناصر السرية للوجود. أن تواصل الكتابة دائماً عبر اخلاصك لها وتكرس لها حياة كاملة، تستطيع أن تحول الجماد والأشياء الراكدة الى نبضات تسمع من بعيد. لا معنى لحياتك اذا حاولت أن تشغلها بترهات الواقع اليومي الشعبي. شعرية التأليف معناها أن تكون مليئاً على الدوام بهواجس الكتابة وعذاباتها. تصبح الأساليب والصور والموضوعات أكثر سهولة في سيلانها على الورق ، من خلال

الذهن المليء بالقلق والتوتر، ومن خلال الذاكرة. هل نحتاج الى ذاكرة شاغرة؟ شعرية التأليف عدوة للعادة والمألوف . في كل سطر جديد تتوسع الآفاق المتعددة للكتابة بشرط الحفاظ على المغايرة والجدّة والطرافة. فعل التذكر هنا ضروري جداً، كذلك التخيّل. كل كتابة تنأى عن التذكر والتخيّل تصبح عادة فجّة. نطلب من الشعر نار المحبة ومساعدتنا على الخلاص من الأشياء التي تعرقل سيرنا في الليل الطويل للعالم .

(45)

لماذا يتحسَّر الكثير مِن الشعراء على هجران الشعر لهم؟ لماذا تسْتفْحل الغيرة عند الكثير مِن الشعراء؟ هل مهمة الشاعر تكْمن في التلطّخ بشتم هذا الحزبي وذاك السياسي وتلك الطائفة . القومية. الجماعة الخ ؟ ايشْ الفائدة مِن ادْمانِ الشاعر الحالم المثقف، للتلفزيون وبرامجه التافهة؟ الشِعر فنٌّ شريف ويهجر الذين يخونون رفقته. فنّ التخيِّل. الحلم. الأمل. المعرفة. المحبّة. وعي الموت

.

مصالحة الموت. هل تُريد أن تكتب

في كُلّ يوم؟ حاول القراءة. التأمّل. الاعتكاف.

الصمت. حلم اليقظة. الأمل بشيء ما.

(46)

الكثير من الشعراء العراقيين الذين يقيمون في الخارج ، ظلوا يحافظون على المكان القديم وعوالمه عبر نوستالجيا فظيعة وأغلبهم هجره الشعر الى الأبد بعدما اكتسحته أوقات العمل

ومحاولة تأمين لقمة العيش. سعيتُ دائماً الى أن أكتب قصيدة لا يحدّها زمان ومكان. محاولاتي التأملية في التوحِّد مع الروح الكلي للطبيعة أو التاريخ، جعلتني أحيا في بعض اللحظات بين أزمان وحيوات في الماضي السحيق والمستقبل البعيد، والشعر يخلق عوالمه وأمكنته وأزمنته عبر التخيّل والنشاط الذهني غير المحكوم بتلك الأشياء التي يحاول فيها صنّاع الأدب أن يكبِّلوه بها

(47)

كتبتُ مرَّة عَن الذين يحرَّرون الصفحات الثقافية في الجرائد اذا ما أرسل لهم الشاعر الناشىء قصيدة، انهم يقدَّمون له هذه النصيحة التافهة. "يتوجَّب عليكَ أن تَقْرأ الشعري العَربي. المعلّقات. المتنبّي. أبو نؤاس. الخ السيَّاب. أدونيس. البياتي. الخ" هؤلاء الحمقى وأغلبهم شعراء فشلوا في حياتهم الشعرية. لا يدركون أن حشو الشاعر الناشىء لدماغه بقراءة هذه الترَّهات، تدمِّر مشروعه وكل طموح من الممكن أن يحقّق فيه شيئاً. أغلب التجارب الشعرية العربية في لحظتنا الراهنة متشابهة والشعراء بالملايين ونستطيع أن نميّز المبدعين منهم وهم أقليّة. الكلّ يستخدمون اللغة الشعرية في دواوين الشعر التي قرأوها، أو يستخدمون لغة الجرائد، وتعج قصائدهم المتشابهة بكلمات الجرائم والأبراج والطبخ والاغتيالات السياسية والوزراء والراقصات. قال أدونيس مَرَّة "لا يدرك الكثير من الشعراء العرب جماليات اللغة العربية" وهو محق. في شعرنا الراهن، الفعل الشعري فارغ، الفاعلية الشعرية خواء، اللغة ممسحة ممزقة .

(48)

الآن بعد هذه التجربة الطويلة مع الشعر، لم يعد لي سلف صالح كما هو الحال من قبل. لقد تخلّيت عن أسلافي الأوائل كلهم

واستبدلتهم بأسلاف جدد. وتكمن مشكلتي مع هؤلاء الأسلاف الأوائل في انني الآن لا أستطيع أن أقرأ لهم إلاّ مجموعة أو مجموعتين من كل أعمالهم الكثيرة. القصيدة الكبيرة الآن لا تأتي من الشعراء الكبار، بسبب جفاف ينابيعهم وكتابتهم الشعر بحكم العادة التي تعودوا عليها. انما الآن في الوقت الحاضر، فهي تأتي من أولئك الذين يجب علينا أن نبحث عنهم دائماً وسط أكوام القمامة المسماة شعراً في راهننا الشعري .

(49)

كل شرارة حقيقية في الابداع تأتي عبر الاضافات للتجارب الماضية ولا نستطيع أن نضيف شيئاً جديداً ونحن نكتب وفق الصيغ والأشكال التي سبقتنا. في قصيدتي أسعى الى العيش بتوازن مع اللحظات القليلة الممنوحة لي في العالم من أجل أن يكون لحياتي ذلك المغزى العميق الذي بحثت عنه دائماً. التشابه الحاصل الآن في أغلب التجارب الشعرية يجعلني أسعى للبحث مع الزمن عن المختلف والجديد من خلال قلقي وصراعي والموت والتجددات الدائمة للطبيعة واللحظات التي تعبر بخفة في الزمن. لا يمكن الآن كتابة القصيدة بمعزل عن الرؤيا والموقف من العالم. التجارب الشعرية التي تتوخى البساطة والعاطفة الخاوية لا مكان لها الآن في الفعل الشعري، وما عادت مفاهيم الشعر التي سبقتنا تلبي الحاجات العميقة لانسان عصرنا المبتلى بالقلق والسأم وهو يواجه المصير البائس لنهايته في هذا العالم المتغير والمتحول دائماً. كل قصيدة هي رؤيا للعالم ومعرفة، ومن خلال المعرفة ينشّط الشعر الذاكرة العاطلة للانسان ويمنحه وعد ورجاء في ظلمة الواقع الذي يستلبنا في كل حين .

(50)

أحالت دائرة الرقابة على المطبوعات "أناشيد مالدورو" للوتريامون سنة 1982 الى شاعر عمودي حلمنْتيشي ومؤلف أكثر من 7 كتب عن النقابات العمالية في العراق. مُنِعَ الكتاب من النزول الى المكتبات بحجة أن لوتريامون يتغزل بالقملة والرياضيات وأشياء أخرى اخترعها هذا الرقيب وربما اعتقد أن لوتريامون كلب بن 16 كلب، وعندما أعارتنا الشاعرة دنيا ميخائيل نسخة منه وقمنا بتصويرها سنة 1992، طلب هذا الخبير بعد 10 سنوات من منعه للكتاب نسخة منه، بعد أن ألغى صدام حسين بقانون سوريالي مفهوم الطبقة العاملة في العراق. أصبح هذا الشاعر الرقيب ناقداً أدبياً وراح يصول ويجول في حقل النقد من دون أيّ منهج وتخلّى عن العمال ونقاباتهم، ولم يترك كتابة الشعر العمودي وادعى بعد ذلك أنه لم يمنع الكتاب قطّ، ولك أن تقيس على هذه الشاكلة كم من مطبوع تم منعه بهذه الحجة أو سواها، أمّا اذا أجازت دائرة الرقابة هذه كتاباً للطبع فانها تأمر بصرف كمية من الورق تصل الى 5 آلاف نسخة مجاناً للمؤلف فيتفق مع أحد المطابع الخاصة على أن يطبع 2000 نسخة منه ويبيع كمية الورق المتبقية الى الناشر ليقوم هذا بدوره بطبع كتب الطبخ والأبراج ووالخ. هل سمعتم بكتاب أصدره أحد الشعراء بهذه الطريقة في الثمانينيات وحمل عنوان " قوة البلاغة في أحاديث السيد الرئيس صدام حسين" ؟ ولست أدري هل كان هذا الشاعر "يقشْمر" الناس أم "يقشمر" نفسه ؟

(51)

في سنوات بلوغي الأولى عانيتُ صدمات كثيرة بسبب الجوّ الصارم الذي نشأت عليه في محيط العائلة. العفة الزائفة والاحترام والخوف من ارتكاب المعصية والطاعة الشديدة لأوامر الزجر التي تتوالى عليّ. كانت رغباتي وأحلامي وكوابيسي

الجنسية في صوب وضميري الذي يصرخ في زيفه بصوب آخر. أدمنتُ العادة السرّية وظلت وظائف أعضاء جسدي المهمة معطلة تماماً. الآن وأنا أحاول استرجاع جحيم تلك السنوات البعيدة لمراهقتي . يحلو لي أن أغني هذه القصيدة لجورج سفيرس التي لا علاقة لها بمشكلتي هنا، لعلها تعينني على التخلص من ما أدمنت عليه في تلك السنوات .

"أنامُ ويظل هو يقظان
ملأه النوم أحلاماً عن فاكهة وأوراق شجر
بينما حالت اليقظة بينه وبين التقاط حتى حبَّة توت.
افترسه الاثنان معاً. اليقظة والنوم،
ووزعا أطرافه على الباخوسيات.

(52)

أبديت في مناسبة سابقة اعجابي بما حققه الشعر العربي المعاصر من انجازات وتجارب واتجاهات ومحاولات جادة، بدأت منذ الستينيات من القرن الماضي في اللحاق بركب الشعر العالمي وتطوير القصيدة العربية الجديدة ولغتها ورؤاها ومعمارها وفنيتها، عبر الفهم الواعي المسؤول والواضح لدور الشعر في العالم الراهن بعيداً عن رماد السياسة والايديولوجيا التي تحاول دائماً اخضاع الشاعر وتجربته الابداعية الخاصة الى رؤيتها تنتهي، ولا القاصرة للواقع المبتلى بشرور شتى لا تريد أن تستطيع هذه الايديولوجيات التي تكاد تضمحل الآن أن تقدم لها الحلول اللازمة ولا حتى أن تفك الغازها، وباركت جهود الشعراء العرب في خلق قصيدة جديدة ومغايرة تنأى عن السائد والمألوف والعابر . الآن بعد قراءة جادة لمجموعات شعرية عديدة لشعراء عرب من أمكنة وتجارب مختلفة صدرت في الفترة 2001 والى الآن. أجدني أعلن عن خيبة أمل في شعرنا العربي الآن وفي تجارب هؤلاء الشعراء وهم من المعروفين جداً وقد أصدر

البعض منهم أكثر من 10 مجموعات. تتبدى خيبى أملي هنا في أن هؤلاء الشعراء الذين حققوا لهم شهرة كبيرة في العالم العربي من خلال الايديولوجيا والعلاقات العامة والقضية الفلسطينية التي كانت المفتاح السحري للدخول الى الوظيفة والى المهرجانات والاعلام والشهرة. لم يقدموا جديداً في مجموعاتهم هذه، وظلت الرؤى واللغة والموضوعات المكررة هي نفسها على مدار التجربة الطويلة وكأن الشاعر هنا غير معني في الزمن ونهر الحياة المتدفق دائماً. لا بل أن البعض بعد أن انتهت وتهشمت الحاضنة والمرجعية السياسية التي كان يتكىء عليها بعد اصدارات كثيرة تحت ظلال هذه الحاضنة، قد عاد الآن الى الوظائف التقليدية في الشعر العربي وراح يكتب على غرار شعراء العصور الأخيرة للأندلس في الغزل. ومن المعروف أن الغزل الآن لا مجال له في قصيدة الحبّ الحديثة التي تخلت عن وظيفتها السابقة منذ زمن لا بأس فيه .

(53)

ينبع حزني الدائم وهو حزن سري من اللاجدوى وخواء الحياة الانسانية في هذا العالم الذي يستلبنا في كل لحظة. يظن الانسان انه خالد، لكن الحقيقة أن هناك أشياء في الوجود أعمق من الخلود. بحثي عن الشعر الذي كلفني حياتي كلها، كان شبيهاً بالبحث عن الذهب وسط أكوام عظيمة من التراب والرمال والقمامة. لم أعثر على القصائد الأصيلة والبهية، على الرغم من ملايين الشعراء العرب إلاّ عند أولئك الشعراء العظام القلائل الذين أداروا ظهورهم منذ أول حرف كتبوه، للمؤسسات بكافة أشكالها

(54)

لو لم أكن شاعراً - لا سمح الله - لكنت مثل بقية البشر الأسوياء،أما صعقة الشعر فقد جاءت من خلال اكتشاف الموت.

في سنوات مراهقتي هيمن عليّ الدين هيمنة كاملة، مع أن عائلتي غير متدينة. كنت أبحث عن الخلاص من الموت في الدين وكثرة الصلوات واداء الطقوس الدينية وزيارة المساجد والكنائس وأضرحة الأولياء وقراءة الكتب المقدسة، وبمرور الزمن ومن خلال القراءة ، اكتشفت الشعر أو هذا ما أعتقدته، واكتشفت فيه خلاصي فقررت أن أترك الدين وأكون شاعراً، حتى لا يكون موتي مثل موت مليارات الذباب والديدان التي عاشت حياتها على هذه الأرض بلا طائل. منحني الشعر القدرة على فهم الموت ومعايشته ومصالحته، وبالتالي لم يعد موتي يشكل لي حالة صراع دائم مع العدم واللاجدوى في ظلمات الوجود، وأحتاج الآن الى 25 سنة قادمة لكي أصبح شاعراً بالمعنى الحقيقي للشعر حتى أظل عائشاً في الزمن. لا أؤمن بالخلود بمعناه اللاهوتي ولا أريد الشهرة، ومسألة موت البشر وجميع الأشياء على هذه الأرض الفقيرة، تكبل ضميري.

(55)

كنتُ ومازلت أطمح الى أن تكون القصيدة ذات محتوى فكري عميق وتعالج المسائل الكبيرة في الحياة والوجود، بعد أن شوهت مفاهيم الشعر وقيمه الأهداف الايديولوجية للقوى التي هيمنت على واقعنا الثقافي والسياسي منذ عهود طويلة. لا أعتبر نفسي فيلسوفاً ولا مؤرخاً ولا مشتغلاً في الفلسفة. ما يهمني هي تلك الموضوعات التي تشغل بالي في الزمن والموت والحب والتحول والصيرورة وماوراء الوجود. ما يعوز شعرنا الآن هي الأفكار واللغة الجديدة والنظرة العميقة للأشياء في العالم ونحن نحاول أن التصالح أو سبر الأغوار العميقة لتجاربنا نقدم قصيدة تسعى الى ومخاوفنا وآمالنا في هذه المتاهة المعلقة ما بين لحظة الولادة ولحظة الموت. المضامين العميقة في القصيدة والنظرة الفلسفية للعالم والأشياء التي نسير بين متاهاتها. تأتي عبر المرجعيات المعرفية للشاعر وقلقه الدائم من التحول والصيرورة وهو يحاول أن يكتشف معنى الكينونة وسط هذا الركام من الأفعال والأحلام المتناقضة في العالم والراهن اليومي الذي يحيّرنا في كل حين

وهو نحاول أن نتلمس الفجر البعيد لحياتنا وأحلامنا في الوصول الى السرّ الحقيقي للوجود. في محاولاتي الدؤوبة أسعى الى لغة وصياغات ومضامين لقصيدتي غير تلك اللغة والصياغات التي تأتي عبر قراءة التجارب التي سبقتني. كل شرارة حقيقية في الابداع تأتي عبر الاضافات للتجارب الماضية ولا نستطيع أن نضيف شيئاً جديداً ونحن نكتب وفق الصيغ والأشكال التي سبقتنا. ماعاد موتي يهمني الآن بعد أن تدربت عليه طويلاً من خلال فهمه والاحاطة به عبر الموقف الفلسفي للتحول والصيرورة، وفي قصيدتي أسعى الى العيش بتوازن مع اللحظات القليلة الممنوحة لي في العالم من أجل أن يكون لحياتي ذلك المغزى العميق الذي بحثت عنه دائماً. التشابه الحاصل الآن في أغلب التجارب الشعرية يجعلني أسعى للبحث عن المختلف والجديد من خلال قلقي وصراعي مع الزمن والموت والتجددات الدائمة للطبيعة واللحظات التي تعبر بخفة في الزمن. لا يمكن الآن كتابة القصيدة بمعزل عن الرؤيا والموقف من العالم. التجارب الشعرية التي تتوخى البساطة والعاطفة الخاوية لا مكان لها الآن في الفعل الشعري، وما عادت مفاهيم الشعر التي سبقتنا تلبي الحاجات العميقة لانسان عصرنا المبتلى بالقلق والسأم وهو يواجه المصير البائس لنهايته في هذا العالم المتغير والمتحول دائماً. كل قصيدة هي رؤيا للعالم ومعرفة، ومن خلال المعرفة ينشّط الشعر الذاكرة العاطلة للانسان ويمنحه وعد ورجاء في ظلمة العالم الذي يستلبنا في كلّ حين .

(56)

شهدت وتشهد أزمان العالم منذ بدء الخليقة الى الآن دورات واندفاعات مستمرة من البؤس والضرر الوحشي في جميع جوانب الحياة والطبيعة والانسان، لكن الميزة الأساسية للشعر والتي هي التصادم مع هذه الأزمان ومحاولة فضحها وتعريتها. تكمن في تلك الجهود التي لا تتوقف في محاولة تغيير المفاهيم

المعرفية التي تحتضن هذه الأزمان. أن الكشف الحقيقي عن جوهر الحياة الانسانية البائسة والتي ألقي بها في هاوية العدم عبر قانون الصدفة العمياء. لا يستطيع الشعر والشاعر أن يفعلا له شيئاً غير الاصرار الدائم على ارتياد الآفاق السرية للوجود من أجل توسيع الجغرافيا الحلمية للانسان والبحث عن السحر الكامن في ماوراء المادة، حتى تعاش الحياة بطرق أجمل من حقيقتها المريضة والمتعفنة دائماً. أن جدوى الشاعر في هذا الزمان لا تتحدد بمسألة الظروف التي تحيطه. الشعر في جميع العصور غير معني بالظروف الآنية، وهذه ميزته العظيمة التي نعّول عليها دائماً. وبما أن الفاعلية الشعرية هي التوغل المستمر في المجاهل السرية للعالم من أجل تعرية بؤسه وشراسته التي تذهب بعيداً في استلاب الانسان والكشف عن أسراره العميقة ومحاولة التصالح مع محتواه الذي يحمل بذور الفناء والعدم، فأن زمان البأساء والضراء هنا يبدو لا شيء أمام القوى العمياء التي تدمر آمالنا وأحلامنا في حياة لطيفة نحياها بكرامة انسانية حقيقية. جميع أزمان العالم هي أزمان وحشية وعدوة للانسانية التي كتب عليها أن تنوجد في هذه المتاهة المحيرة التي نسميها الحياة والتي لا تمنحنا اللحظة الكافية في العيش والأحلام والتجوال بحرية في الليل الممتد من الميلاد الى الموت. لا جدوى لي ولصرخاتي في هذا الزمان ولا أستطيع كما كان مألوفاً بصيغة شعبية تخون جوهر ووظيفة الشعر الأساسية، أن أكون شاهداً ومؤرشفاً بطريقة المؤرخ البائسة عن هذا الزمان. أن أزمنتي وحياتي كلها ضارة وبائسة وعديمة الرحمة ولا تمنحني اشارة ما للخروج من الجحيم الذي أحيا فيه منذ أن ألقي بي في هذه الهاوية .

(57)

أضفيت قيمة زائفة على المرأة التي أحببتها من خلال الشعر وحوّلتها الى رمز لكي أحتفظ في الجوهر المثالي للحبّ. للحبّ كما هو معلوم طاقة عظيمة في الشعر وهو أحد الموضوعات الكبرى طوال التاريخ وفي سعينا الدائم الى امتلاك المحبوب،

نعرف اننا مرضى وأنا أعتبر نفسي من مرضى الحبّ. حاول الكثير من شعراء الثمانينيات تقديم قصيدة حبّ لكنهم فشلوا ولا نتذكّر الآن أيّ قصيدة حبّ لشاعر منهم إلاّ القليل والسبب يعود الى انهم كتبوا قصائد حبّهم وفق التقليد والذاكرة الجمعية للشعر العربي والتجارب التي سبقتهم. امتزج حبي دائماً في الموت والتحولات الكبيرة في الزمن ولذلك بدت قصيدتي وكأنها محاولة للخروج من نفق الموت / الزمن، وعلى الرغم من امتلاكي أكثر مِن امرأة في حياتي، لكن صورة تلك الفتاة السمراء التي أدعوها "السيدة الشفيعة، انخيدوانا" ظلت عالقة في ضميري طوال حياتي نعم انها تجربة عاثرة وحبّ من طرف واحد ويبدو انني أحبّ الحبّ وليس امرأة واقعية من لحم ودم. يكمن عزائي الآن في العيش بالجوهر الحقيقي للحبّ عبر معايشتي له في الأحلام والأشواق والذكرى الحارّة لصورة المحبوب وأنا أتكبد الخسائر الكبيرة في ناره ورماده. وفي سعيي للخلاص من هذه النار وهذه المتاهة، اكتشفت انني لم أقطع علاقتي مع فتاتي هذه وظل تواصلي الحميم معها يتم عبر اللقاءات العابرة والرسائل الدائمة والمحبة التي تستعر جذوتها عبر كل لقاء وكل همسة أو لمسة. حبّي هذا كان وما زال أحد الينابيع الشعرية في حياتي ولولاه لكنت قد تحجّرتُ أو انتحرت .

(58)

بدأتُ حَياتي الأدبية أكتب الشِعر السوريالي الفكاهي وكنتُ أسخر مِن الشعراء التقليديين وشعراء الحَرب والحزب، ومثل سواي ممن يكتبون قصيدة النثر.

عانيتُ مِن التهميش والسخرية وصعوبة نشر قصائدي في الصحف والمجلات العراقية. سنة 1986 أصدرتُ رباعية بعنوان:"جهشات 4 مجموعات شِعرية كتبتها بخط اليد وبالحبر الصيني وذهبتُ الى محل تصوير واستنساخ. دفعتُ راتبي كلّه واستلمتُ 50 نسخة. وزعتها على الشعراء والنقاد العراقيين والعرب وتخلّصتُ منها. سنة 1989 كتبَ عنها الاستاذ حاتم

الصكر مقالة طويلة ونشرتها صحيفة الجمهورية بعنوان "جهشات الغجري الملعون" وكانت اشارة كريمة سلّطت الضوء على جهدي الشِعري ومنحتني اللقب الجميل الذي التصق بي " الغجري". كانَ الوسط الثقافي يُشنِّع علي في كلّ شيء بسبب غرابة ما أكتب وطريقة سلوكي الصعلوكية والخ .

(59)

الآن مَن هوَ الذي " ظاهرة اجتماعية وليست ابداعية ؟

هنا مقتطف

مِن حوار مع الاستاذ الصديق الناقد حاتم الصكر
أجراه معه صديقنا الكاتب علي السوداني
على هامش الملتقى الأول لشعراء الثمانينيات سَنَة 1992

*مَن الأسماء التي تتبّناها بوضوح؟
- الشاعر نصيف الناصري
*ماذا تقول عن اتهامه بانَّه ظاهرة اجتماعية
أكثر مما هو ظاهرة ابداعية؟
- أن طبيعة منهجي النقدي تقتضي دائماً أن *
أتقصى ما حولي مِن شِعر ونكتفي بالوثائق
والمتون الشِعرية، ولهذا كانت انتباهتي لنصيف
الناصري انتباهة نصَّية وليست اجتماعية، أمّا
الجانب الخاص به وكيفية تقديمه لمشروع الشِعري
فهذا أمر خاص به.

(60)

وظائف الشعر المتعدّدة والنظرة الأحادية .

هل تغيّرت نظرتنا نحن العرب الى فهم طبيعة الشعر وجوهره منذ عصر المعلّقات الى الآن؟ كلا بالطبع وما زلنا ننظر الى الشعر بنفس النظرة القديمة لأسلافنا وما يزال شعرنا العربي على الرغم من ثورة الخمسينيات في القرن الماضي، يهتم بأغراض الشعر القديمة. الوصف والغزل والفخر والمديح والهجاء والخ. للشعر وظائف متعدّدة وهناك من يعتبر وظيفته الأساسية هي بوجه الطغيان أو الذود عن القبيلة أو التعبير عن النفس أو سلاحاً تقرّباً الى الله أو كشف الستر والحجب عن الوجود أو التصالح مع العالم وأشياء أخرى. أنا مؤمن بمقولة بول فاليري "التفكير في القصيدة يقتلها" ومقولة ما لارميه " القصيدة تصنعها الكلمات وليس الأفكار" . الكثير من الشعراء العرب يعلنون انهم سيكتبون عن كذا مسألة وكذا مشروع. هؤلاء يحضرون أقلامهم ومساطرهم والفرجال ويبدأون التخطيط للقصيدة. في النهاية لا يتحقّق أيّ شيء من ادعاءاتهم الطنّانة، واذا كانت وظيفة الشعر عند هذا الشاعر هي التعبير عن الواقع فهي وظيفة بائسة لأن الواقع بائس جداً ونحن لا ينبغي أن نلومه لأنه تكوّن شعرياً وثقافياً على هذا الفهم للشعر. كما لا ينبغي أن نمجّد أو نلوم ذلك الشاعر الذي تكون عنده وظيفة الشعر الأساسية هي التعبير عن أحلام الشعب أو تعزية المضطهدين والنضال من أجلهم كما كانت وظيفة الشعر في النصف الثاني من القرن العشرين. تتعدّد وظائف الشعر في كلّ عصر وما يبقى من الإرث الحقيقي لجوهره هو الابداع وهو محصول ضئيل في النهاية لأن حقيقة الشعر الأصلية تطرد دائماً الأشنات والقارىء الغبي الذي يريد أن يفهم. أغلب النقاد العرب لا يمتلكون المناهج النقدية والمعرفية وتعوزهم الثقافة العميقة والفهم الصحيح للشعرية، وتراهم دائماً بسبب الثقافة الاكاديمية المتحجّرة التي تربّوا عليها في المدارس، يسقطون ما تعلّموه على الموضوع الذي يكتبون عنه ومنهم مَن لا يتحرج الآن في الاستشهاد بخلف الأحمر استاذ أبي نؤاس أو

سواه. الشعرية العربية الراهنة لم تخرج من سكونيتها الدائمة قط وستبقى هكذا الى أن يأتي الفهم المغاير في النظرة الى طبيعة الشعر. ليست مهمة الشعر والشاعر في كلّ عصر هي التعبير عن الواقع أو عن النفس وبقية الأشياء الأخرى التي سئمنا منها وأصبحت مثل المرض العضال. هناك رهط من النقاد والشعراء الذين بطشت بهم العادة ، لا يستطيعون فهم أو تقبّل الشعر المغاير والذي يعنى بالصورة والمجاز والانزياح والمفارقة والغرابة، والكثير منهم يعتقد أن انجاز هذا الشاعر أو ذاك هو مجرد تراكم لغوي ولعب في اللغة، ولا أحد منهم يسأل لماذا ذهب هذا الشاعر الى اللعب في اللغة وابتعد عن الموضوع وعن الواقع ؟ القصيدة لعب مقدس أو تسلية والشاعر لا يخطّط أو يفكّر حين يكتبها . القصيدة صنعة ولا يستطيع اتقانها إلاّ من تدرّب طويلاً على الكتابة واعتبر الرهان الدائم عليها، الشغل الشاغل لحياته. ما عادت أساليب النقاد العرب الآن تجدي نفعاً مع الشعرية الجديدة التي تنأى عن السائد والمألوف والراهن، وفي مغامرة الشاعر الجديد ومحاولاته الدؤوبة في التملّص من الأنماط والأشكال والموضوعات القديمة ، نتلقى تعزية مجيدة من أجل مستقبل الشعر الذي ينبغي أن لا يتوقف عند فهم محدّد ونظرة جامدة .

(61)

كتبتُ في مناسبة سابقة أن الحصيلة الابداعية والاضافات الحقيقية في الشعر العربي، كانت قليلة في جميع العصور وهذا سرّ مقدس من أسرار الفعل الشعر الحقيقي. ما يميّز الشعر العربي الراهن هو التعدد والتنوّع بعد أن قطع شعرنا أشواطاً طويلة في التجريب والمغامرة ومحاولات اللحاق بركب الشعر العالمي. كان شعرنا الذي هيمنت عليه مشاريع الرواد الايديولوجية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ومن تلاهم، يرزح تحت أنماط وقوالب شديدة التشابه، انشغلت بما يدور في المحيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي. لم يعد الشعر العربي الآن يقدم رؤية للعالم من خلال مفهوم الالتزام الذي أشاعته حركات اليسار في محاولاتها الدؤوبة لاخضاع الشعر والمعرفة

وتطويعهما وفق ستراتيجياتها التي كانت ترى حركة الواقع مجرد صراع طبقي فقط عبر شعارات ومفاهيم انهارت بعد نضال طويل وصراع مرير في أول نسمة ريح نحو الحرية ضد الاتحاد السوفيتي السابق، ولم يعد الشعر العربي الآن منهمكاً بمشروعات القوى الايديولوجية القومية التي كانت تحاول عبر رؤى وشعارات وهمية أن تستعيد أمجاد ماتت وانقرضت منذ دهور طويلة. ما يميّز الشعر العربي الآن في تنوّع اتجاهاته ورؤاه، هو أن الفاعلية الشعرية تسير في اتجاهات ومتاهات متعددة بعيداً عن طروحات ومفاهيم الايديولوجيا التي كانت ترسم الحدود للشعر. طبعاً هذا لا يعني أن شعرنا الآن لا يعاني من حالات التقهقر والمراوحة في مسيرته المتعرجة وسط هذا الخضم الهائل من الأفكار والثقافات والتجارب، وبالنسبة للاختلاط والتشوش فأعتقد انه يأتي من كون الشعر في السنوات الأخيرة قد تغيرت وظيفته الأساسية ولم يعد الناطق الرسمي للايديولوجيات التي خدعت الجماهير بأقنعتها الزائفة. هنا لا أريد أن أعير أيّ اهتمام لما ينشر في مواقع الانترنت من شعر ولا لتلك الأعمال الشعرية الكاملة التي يصدرها الشعراء الموتى / الأحياء الذين لا يمتلكون أيّ فعل حقيقي للشعر، لأن هذا الشعر الذي يكتبه هؤلاء الهواة لا يمثل القيمة الحقيقية لجوهر الشعر. اعتقد أن الشعر العربي الآن يستطيع أن يمنحنا من بين مليون شاعر حيّ، حفنة من شعراء مبدعين فقط، وهذا هو ما نعول عليه في ديمومته وتألقه العالي.

(62)

طوال 10 سنوات في الأوساط الأدبية والثقافية لم نتمكن من انتزاع فرصة واحدة للاعتراف بنا نحنُ الشعراء الصعاليك. كان عزاؤنا يكمن في حياة البارات التي كانت ملاذنا الأخير من التفاهة الرسمية والهروب من أولئك الذين يرتدون البدلات الكلاسيكية وبدلات الزيتوني العسكرية مع حقائبهم اليدوية. لماذا كانت موائدنا محاطة دائماً في بار اتحاد الأدباء وبارات "الباب الشرقي" و "ساحة النصر" وغيرها من البارات بالمتزوجين والرسميين والأكاديميين وأدباء دائرة التوجيه السياسي؟ هل كنا

نذكرهم وننبّهم من دون قصد الى تفاهاتهم وتفاهات حيواتهم المستكينة والمتنطعة؟ هل كانت ثقافاتنا ورؤيتنا الى الشعر والحياة تدغدغ ما عجزوا عنه على مستوى الحياة والانجاز؟ كانت الأمسية الشعرية اليتيمة للصعاليك في اتحاد الأدباء العتيد فضيحة كبيرة لتلك المؤسسة الرسمية سنة 1993 حيث كان حضور الجمهور كبيراً وبشكل لافت للنظر لم تألفه أمسيات الاتحاد الثقافية " أقيمت في الحديقة وليس في القاعة الكئيبة". قال لنا جان في ذلك اليوم الصيفي:"اليوم سيتم الاحتفال بنا لأول مرة منذ أكثر من عشر سنوات وسنشرب بالمجان وننام في أراجيح حديقة الاتحاد. لا فندق ولا مصطبة. لا تطيلوا القراءات من أجل الشراب المبكر" . كان جان قد قرأ قصيدة قصيرة جداً وأثناء قراءته صرخ رجل يرتدي بدلة سوداء اللون وتجلس الى جانبه امرأة انيقة: " الله. أحسنت. أعد. أعد " نظر اليه بامتعاض وغضب وصرخ في وجهه:" إنجبْ لك" . بلع الرجل الذي فاجأته المصيبة ريقه وإنجبَّ طوال الأمسية التي لم تستغرق أكثر من نصف ساعة وتمَّ بعدها فتح النادي للروّاد.

(63)

بزّون سويدي .

كان عندي موعد لاجراء عملية إخصاء للبزّون "هاري". ذهبتُ الى دائرة صغيرة تعنى برعاية وخدمة الحيوانات المنزلية "القطط .الكلاب". أجروا العملية للبزّون المسكين بعد أن بنّجوه، ثم نظّفوا أسنانه وثقبوا أذنه اليمنى ووضعوا فيها رقمه { 3166Y }. أخبرني الطبيب انه سيمنحني وثيقة هي عبارة عن "جواز سفر" له ويتوّجب عليّ أن أرسل نسخة منها الى دائرة معيّنة حتى يتم تسجيل كافة المعلومات. مبلغ العملية وثقب الاذن وتنظيف الأسنان، تدفعه الحكومة السويدية. أحاولُ منذ أكثر مِن 12 سنة والى الآن، تبديل جواز سفري العراقي الذي انتهت

صلاحيته من دون جدوى. القوانين تنص على أن أجلب لهم "الجنسية العراقية " و "شهادة الجنسية" حتى يُصدِّقون انني " عراقي" ويسوون المعاملة .

(64)

كان أول ظهور جدي وخجول لقصيدة النثر في سنة 1986، حين صدرت انطولوجيا "الموجة الجديدة" التي أعدها وقدم لها زاهر الجيزاني وصدرت عن دائرة الشؤون الثقافية والتي اشترك فيها 53 شاعراً، ولم تضم من قصائد النثر سوى 6 قصائد لستة شعراء، وعلى الرغم من مهاجمتها من قبل الكثير من النقاد الذين اعتبروا قصائدها تافهة، فقد ألقت حجراً وسط البركة الآسنة للشعر الذي كان يمجد الحرب. الغريب أن دوائر السلطة الاعلامية التي جندت كل شيء في مشروعاتها التهريجية للحرب، من الشعر العمودي الى الشعر الشعبي، الى شعر البند والهوسات. ظلت ترفض وتحاصر قصيدة النثر طوال سنوات الثمانينات، وكانت الأمكنة الأساسية لها هي مقهى "حسن عجمي" و الأقسام الداخلية للطلبة و خنادق الجنود في جبهات الحرب .

(65)

في سنة 1980 افتتح صدام البرلمان العراقي المزعوم قبل بدء الحرب مع ايران وكانت السلطة قد أحضرت مجموعة كبيرة من الشعراء لحضور الافتتاح وانشاد القصائد للاشادة بقيادة صدام وديمقراطيته وبعد نهاية العرس الديمقراطي دعا صدام جميع الشعراء الى وليمة تقام في القصر الجمهوري. أثناء تناول الشعراء الطعام كان صدام يمرّ على الموائد ويجامل الشعراء ويستفسر منهم عن أشياء يريدها، وحين وصل الى المائدة التي يجلس عليها سلمان، شكا له من أن قصيدة النثر ممنوعة ولا

يستطيع هو أن ينشر أيّة قصيدة وطلب منه أن يتدخل حتى تقوم الصحف والمجلات بنشرها. هنا انبرى أحد شعراء الستينات وقيل في وقتها:انه "شاعر عربي" يعيش بالعراق وراح يشرح لصدام تفاهتها وأن من يشيعها في العالم العربي شعراء ضد العروبة وضد القومية العربية، وهكذا أسقط في يد سلمان الذي بلع شكواه وصمت. وبعد أن نودي على سامي مهدي من باريس في سنة 1980 حين بدأت الحرب العراقية الايرانية ليصبح أولاً مدير دائرة الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والاعلام. كانت هناك نية عند مجلة "الطليعة الأدبية" في أن تصدر عدداً خاصاً لأول مرة في العراق عن قصيدة النثر، لكن استلام سامي لمنصبه الجديد ألغى المشروع تماماً ولم يوافق على اصدار ذلك العدد، لكنه راح يكتب فيما بعد قصيدة النثر حين ترسخت وتجذرت بقوة في أرض الشعر العراقي، وفي مجموعته "حنجرة طرية" 6 قصائد نثر واحدة منها مكتوبة عن غورباتشوف .

(66)

ما عادت الطريقة الغنائية الآن في النص الشعري تلبي الحاجات النفسية والشعورية للشاعر. لا يمكنني أن أكتب جملة من سطرين أو أكثر وأنا أحاول التعبير عن محنتي الدائمة من زوال الأشياء في العالم، أو استحالة وجود الانسان على الأرض كما يقول هايدغر. أنا أعيش حيرة كبيرة ووعي مدمر في التحولات وصيرورة الانسان والعالم والزمن والطبيعة .

(67)

الآن بعد هذه التجربة الطويلة مع الشعر، لم يعد لي سلف صالح كما هو الحال من قبل. لقد تخلّيت عن أسلافي الأوائل كلهم واستبدلتهم بأسلاف جدد. وتكمن مشكلتي مع هؤلاء الأسلاف

الأوائل في انني الآن لا أستطيع أن أقرأ لهم إلاّ مجموعة أو مجموعتين من كل أعمالهم الكثيرة. القصيدة الكبيرة الآن لا تأتي من الشعراء الكبار، بسبب جفاف ينابيعهم وكتابتهم الشعر بحكم العادة التي تعودوا عليها. انما الآن في الوقت الحاضر، فهي تأتي من أولئك الذين يجب علينا أن نبحث عنهم دائماً وسط أكوام القمامة المسماة شعراً في راهننا الشعري .

(68)

حاولتُ أن أتبرأ من فضيحة الصعلكة عدّة مرّات لكنّني أخفقت. ماذا أفعل ؟ لقد تشكلت حياتي على هذا المنوال منذ أول لقاء بجان دمو سنة 1980، وبالنسبة للافلاس فلا شيء تغير هنا. ينبع حزني الدائم، وهو حزن سري من اللاجدوى وخواء الحياة الانسانية في هذا العالم الذي يستلبنا في كل لحظة. يظن الانسان انه خالد لكن الحقيقة أن هناك أشياء في الوجود أعمق من الخلود. لماذا الشعر وقد أجبتُ عن هذا السؤال من قبل. بحثي عن الشعر الذي كلفني حياتي كلها، كان شبيهاً بالبحث عن الذهب وسط أكوام عظيمة من التراب والرمال والقمامة. لم أعثر على القصائد الأصيلة والبهية على الرغم من ملايين الشعراء العرب إلاّ عند أولئك الشعراء العظام القلائل الذين أداروا ظهورهم منذ أول حرف كتبوه، للمؤسسات بكافة أشكالها.

(69)

في منتصف سنوات الثمانينيات أقيمت أمسية شعرية باتحاد الأدباء مخصصة لعبد الرزاق عبد الواحد ويوسف الصائغ وسامي مهدي وحميد سعيد وعبد الأمير معلة. في المساء ذهبنا كعادتنا الى الاتحاد ليس من أجل الأمسية وانما من أجل الشراب في نادي الاتحاد وكان السياق المتبع في كل يوم أربعاء هو انهم

لا يفتحون النادي إلاّ بعد نهاية الأمسية التي تقام في هذا اليوم. ما أن دخلنا بناية الاتحاد ورأى عبد الأمير معلة وكان يشغل منصب وكيل وزير الثقافة والاعلام ورئيس الاتحاد، جان دمو معنا حتى وقف شعر رأسه . أخيراً تمالك نفسه وانفرد بجان وحيّاه بحفاوة بالغة وأخرج من محفظته بعض المال وطلب منه أن يذهب ليكمل سكره بأحد البارات وادعى أن الأمسية ستطول وبار الاتحاد مغلق حتى نهاية الأمسية. واجهه جان بالصراخ:"يا قاذور يا...." ارتفع المبلغ وجان يصرخ ويشتم أكثر من المرة الأولى. وحين شعر انهم من الممكن أن يأمروا موظف الاستعلامات برميه خارجاً وافق على الخروج والذهاب الى أحد البارات ليكمل سكره. بعد ساعة أقيمت الأمسية وكان أول من قرأ قصائده هو يوسف الصائغ ثم تلاه عبد الأمير معله فحميد سعيد وهنا دخل جان دمو القاعة كأيّ سيد مهذب. اتجهت أنظار الحضور اليه وبسبب الصمت والانصات لحميد سعيد وهو يقرأ قصائده فقد تركوه وشأنه طالما انه دخل مهذباً جداً ولم يشوش على الأمسية. بعد أن انتهى حميد من قراءته اتجهت الأنظارالى جان أكثر من المرة السابقة وحدث همس ولغط خفي لكنه ظل هادئاً وصامتاً مما شجع عريف الحفل على القيام ومناداة عبد الرزاق عبد الواحد الذي ذهب الى منصة القراءة كالطاووس وأخرج أوراقه وبدأ يقرأ:

سلاماً يا فتى الفتيان يا علماً بواديها .

وهنا انتابت جان عاصفة من الضحك وراح يغني ويرقص ويتشقلب ويقع على الأرض داخل القاعة الغاصة بالجمهور مما حدا بالهيئة الادارية أن تستدعي حارس بناية الاتحاد وموظف الاستعلامات اللذان حملاه وهو مستمر في نوبته الهستيرية من الضحك وألقوا به خارجاً. بعد طرد جان منحونا استراحة لمدة 5 دقائق ريثما تهدأ الأمور قضيناها بجوٍ سوريالي من التشفي والشماتة ضد عبد الرزاق. في اليوم الذي تلا الأمسية علقوا بلوحة الاعلانات قراراً صادراً من المجلس المركزي لاتحاد الأدباء ممهوراً بتوقيع عبد الأمير معلة يقضي بمنع دخول جان دمو الى بناية الاتحاد منعاً باتاً لمدة سنة كاملة .

(70)

كنت أنا والكثير من الشعراء والكتاب الشباب في سنوات الثمانينيات من القرن الماضي. لا يسمح لنا بدخول مبنى ونادي اتحاد الأدباء والكتاب إلاّ بمعية عضو يمتلك بطاقة الانتساب للاتحاد، وأن نسجل أسماءنا كل يوم في سجل الضيوف. فلكي نكون أعضاء يتحتم علينا أن ندفع مبلغاً معيناً من المال وأن نقدم مع طلب الانتساب كتاباً مطبوعاً لكن من أين نأتي بالكتاب المطبوع وكتبنا غير صالحة للنشر عند دائرة الشؤون الثقافية؟ وحتى لو أردنا أن نطبعها على حسابنا الخاص، فستقوم دائرة الرقابة في وزارة الثقافة والاعلام باحالتها الى رقباء وخبراء من الذين لا يرحبون بابداعنا. وقد أحالت دائرة الرقابة المجموعة الأولى لصديقي الشاعر والفنان ناصر مؤنس الى جبرا ابراهيم جبرا، حيث كتب في معرض تقييمه لها انها تشوّه الخط العربي. وكان ناصر قد كتب مجموعته بطريقة تشكيلية عرف فيها فيما بعد، وامتنع الخبير عن اعطاء رأي بخصوص اجازتها لتطبع.

(71)

نشرت مجلة "الوطن العربي" التي كانت تصدر من باريس في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، حوارات مطولة وقصائد لمجموعة من شعراء السبعينيات. منهم خز عل الماجدي وزاهر الجيزاني وسلام كاظم وفاروق يوسف. تحدثوا فيها عن فهمهم للابداع في الشعر والكتابة والحساسية الجديدة وأبدوا آراء في ما يخص راهن الثقافة العراقية والعربية ومشروع قصيدة النثر التي كانت حلماً يداعب مخيلاتهم قبل أن يرسخها الشعراء الذين ظهروا من بعدهم من خلال جهود دؤوبة ومخلصة وصامتة في التجريب الذي استمر من سنة 1980 وحتى سنة 1990 من دون أن يفلحوا في نشر نتاجهم الذي بدا غريباً آنذاك، حتى تنبه لهم الناقد حاتم الصكر سنة 1990 وكتب عنهم مقالاته "شعراء

الظل" التي بين فيها مدى اخلاصهم لقضية الشعر بعيداً عن التنظير اللامجدي والادعاء بتفجير اللغة وما شابه من مصطلحات. بعد حوار "الوطن العربي" هذا أخرج نقادنا جميع أسلحتهم الصدئة وراحوا يشحذونها بوجوه هؤلاء الشعراء وراحوا يكيلون لهم التهم ويشككون في مشروعاتهم الكتابية الجديدة، وبلغت المهزلة ذروتها عندما تطوع الناقد يوسف نمر ذياب بكتابة ونشر مقال طويل في مجلة "ألف باء" أسماه "البيان الختامي للشعر السبعيني" جامعاً فيه خلاصة آراء الكثير من نقادنا المشوهة ضد شعراء السبعينيات بعدما كانوا قد مهدوا الأرض لهم في البداية وفرشوها بالأعشاب والزهور، وهكذا حاول هذا الناقد الهمام أن يلغي بجرة قلم جيلاً شعرياً بأكمله من الذاكرة الثقافية لعراقنا المبتلى، لمجرد أن هؤلاء الشعراء حاولوا الاعلان عن آرائهم في مجلة تصدر خارج العراق، وبالنسبة لهؤلاء الشعراء فقد قاموا من جانبهم بالرد عليه رداً قاسياً وقد عددوا 50 نقطة وردت في البيان الموجه ضدهم، اعتبروها لا تمت الى الابداع بصلة ونشروا معاً في نفس المجلة دفاعهم الشهير"خمسون بيضة فاسدة في سلة النقد" لكن العداء ظل مستمراً بين بعض النقاد وبين المشروع السبعيني بعدما أحرقت الايديولوجيا وهشمت كل الأحلام التي نادى بها هؤلاء الشعراء، حتى جاء عدي صدام حسين في سنة 1993 ليرأس التجمع الثقافي في العراق ويطرد الجميع شعراء ونقاداً وينصب بدلاً عنهم مجموعة من الأدباء الجدد الذين راحوا يدبجون مقالات تطالب بضرورة طرد واسكات جميع الديناصورات من الحياة الثقافية في العراق .

(72)

كانت الوجوه الملمعة في الأوكار الحزبية والثقافية تطل علينا عبر الصحف والمجلات وجلسات اتحاد الأدباء، لكن المصيبة الكبيرة التي لم نكن نعرفها من قبل في شعرنا المعاصر. كانت تكمن في أن أغلب موضوعات قصائد هؤلاء الشعراء كانت تدور

حول مسيرة الثورة الظافرة والعمل الشعبي وتأميم النفط و "كل شيء من أجل المعركة " وأمجاد الأسلاف، وابتكرت السلطة وبقية القبائل الايديولوجية الأخرى تقليداً جديداً في واقعنا الشعري المعاصر، ربما لأول مرة في العالم، يتمثل في اصدار بلاغات وأوامر الى القواعد والمنظمات الحزبية يلزمها بضرورة الحضور والتواجد في كافة الجلسات الشعرية التي تقام لهؤلاء الشعراء للتصفيق لهم ومطالبتهم بالاعادة المرة تلو الأخرى، ليظهروا للعين بهاء شاعريتهم حسب تعبير باسترناك مع تحوير بسيط .

(73)

الايروتيكا هي بداية التَعرَّي. ليس الايروتيكا على شاكلة:
"أديري ظهركِ إليّ والتصقي بي حتى ألْمس نَهْديكِ" ؟

مفهوم الايروتيكا هنا
لدى الشاعر العربي.
ضَربْ جلقْ.

(74)

أعيش في ثالث مدينة في السويد "مالمو" البشر الذين فيها من 179 دولة. ليس فيهم مَن يشتم الآخر أو ديانته أو قوميته . لونه . عرقه. لغته الخ . يجمعنا القانون الانساني الواحد. الحريات . المعتقدات . الثقافات كلها محترمة من الدولة ومن الجميع. الدولة كما هو معلوم ، علمانية . عدد نفوس السويد 9 ملايين وأعضاء الكنيسة السويدية أقل من عدد الناس في ناحية بقضاء عربي صحراوي. الدولة تدفع لمن يرغب تشييد مسجد. كنيسة. مرقص.

معبد. مطعم. معمل. الخ الخ. إيش فيها الشعوب العربية منشغلة بشتم السُنّة والشيعة وما أدري أيش؟ الله في يوم القيامة يدخل الذين يشتمون الناس وأديانهم ومذاهبهم جهنم
ولا يشفع لهم والى أئمتهم ، أئمة السوء.

(75)

لا تخطر في بال الشخص الملحد مسائل الالوهية والدين والنبوة والعالم الآخر. يعيش حياته وعوالمه بانسجام مع نفسه ولا يتورَّط بشتم الآخرين ومضايقتهم والتهجّم على ايمانهم ومعتقداتهم ، لأن هذه الأشياء لا تعنيه ولا تهمه. الكثير من الملحدين المزعومين { أغلبيتهم كحوليين } ينشرون شتائم ويسخرون من أديان وعقائد وأنبياء الخ . هل هي رقاعة أم فهلوة أم غباء أم أن المعاقرة اليومية للكحول التي تدمر الأعصاب وتخلق حالات نفسية سيئة ويائسة، هي التي تدفعهم الى هذه الكارثة؟ ايمان هؤلاء بالله عميق جداً وإلاّ لماذا يخطر في بالهم بكلّ حين .

(76)

طوال حياتي لا أستطيع أن أقرأ شعري أمام جمهور مِن البغال والحمير. أشعر بالحيرة والتلعثم والفزع. المرَّات القليلة التي قرأتُ فيها شعري. كُنتُ إمّا أمسك القلم أو أُدخِّن أو أكون سكراناً، حتَّى أتخلَّص مِن أولئك الأغبياء الذين يحضرون جلسات الشعر .

الفصل الثالث

المهنة: شاعر

(1)

سَنَة 1995 أعيش في عمَّان وأعمل في لفّ وتصليح "الموتورات" الكهربائية بورشة يمتلكها صديق للمرحوم عبد الوهاب البياتي. يبدأ عملي من الساعة السابعة صباحاً الى الساعة السابعة مساء. أحصل على 20 ديناراً في الاسبوع. مبلغ زهيد بالتأكيد. لفّ "موتورات" يتخلّله تدريسي 4 أطفال لصاحب الورشة،دروس اللغة العربية والجغرافية والرياضيات "كنتُ أستعين بحاسبة لأنني حمار في الرياضيات الى الآن". الحصار يقتل الناس بالعراق وأنا لا امكانية لدي في ارسال مبلغ ما الى عائلتي. طلبتُ من البياتي أن يُسلّفني مبلغاً بسيطاً كي أرسله الى أمّي. قال لي: "هل تريد أن تحصل على 200 ديناراً؟" أجبتهُ ب نعم. كانت لديه فكرة اصدار كتاب يضم منتخبات مِن شعره عن الحُبّ. طرح الفكرة على محمد تركي النصَّار وعوَّاد علي وعدنان الصائغ. المطلوب منّا أن يقوم كلّ واحد باختيار 10 قصائد ويكتب دراسة عن الحُبّ في شعر البياتي. تتكفَّل المؤسسة العربية للدراسات والنشر بنشر الكتاب والمكافآت تدفع حال تسليم مخطوطة الكتاب. أعيش مع هادي الحسيني في بيت يضم الكثير من العراقيين الذين يعملون في المطاعم وبيع السجاير. أغلبنا مصاب بالادمان ونشرب في كل يوم حين يحلّ الظلام. أريد أن أكتب عن الحُبّ عند البياتي لكنّي لا أجد الفرصة المتاحة أو المكان. يوجد في البيت صندوق كبير من الكارتون. جلستُ فيه ورحتُ أكتب المقال وسط صياح وعربدة سكّان البيت. المهم أنهيت عملي وفي اليوم التالي سلّمت ما كتبته الى أبو علي. بعد يومين استلمت واستلم محمد وعواد وعدنان كل واحد مبلغ 200 ديناراً. صدر الكتاب بعنوان:"عبد الوهاب البياتي. خمسون قصيدة حبّ". اختيار وتقديم عواد علي . محمد تركي النصار. عدنان الصائغ. نصيف الناصري .

(2)

زار المرحوم عبد الوهاب البياتي دمشق سَنَة 1997 والتقى الكثير من الأصدقاء ومن ضمنهم زاهر الجيزاني. البياتي بعد عودته الى عمَّان كان قد جلب معه مخطوطة مقال للجيزاني بعنوان: "البياتي في مرآة الشرق" في حدود 32 صفحة فولسكاب. طلب منّي أن أروح الى مكتبة "الشروق" واشتري كتاب معجم المصطلحات الأدبية. فكرة البياتي عن المقال كانت انه يختار من شعره قصائد بحدود الثلاثين صفحة وطلب مني أن أضع الشرح للمصطلحات الواردة بمقال الجيزاني بحدود الثلاثين صفحة أيضاً عبر كتاب معجم المصطلحات الأدبية ومن ثم يكون الكتاب 6 ملازم ب 96 صفحة. لفَّقنا الكتاب وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر وقدمتُ له عرضاً طويلاً في صحيفة "الوفاق" التي تصدر من لندن. حين غادرت عمَّان الى السويد اتصل بي أبو علي وطلب منّي أن أقدّم عرضاً أخر للكتاب في صحيفة "الزمان" التي تصدر مِن لندن وممنوعة مِن دخول سوريا. عرضته في حلقتين وكنتُ أرسل كلّ حلقة الى البياتي حيث انتقل الى دمشق .

(3)

في أواخر سَنَة 1994 بعمّان تعرَّفتُ الى المرحوم عبد الوهاب البياتي بغاليري الفينيق عن طريق صديقي الشاعر صلاح حسن. كان صلاح الذي ينتظر قدوم عائلته، يرافق البياتي كُلّ يوم ويذهبان الى الفينيق والهورس شو كافيه وأمكنة أخرى. جاءت عائلة صلاح وبعد مدَّة غادروا الى هولندا. التقي البياتي في الفينيق وبعد الساعة الثامنة مساء نذهب الى الهورس شو معَ بعض الأصدقاء وفي نهاية الجلسة أوصله بالتكسي الى بيته. قالَ لي أبو علي مرَّة: "نصيف، مِن يوم غد سنذهب الى حانة اسمها الياسمين في شارع تلاع العلي وهي قريبة مِن بيتي" . بقيتُ مع أبو علي 4

سنوات نلتقي في كُلّ يوم وأصدرتُ مجموعتي الأولى "أرض خضراء مثل أبواب السَنَة" على نفقته الخاصة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 1996. في ذلك العام كان شَعَر راسي طويلاً فاستوقفتني في يوم ما مفرزة شرطة: "هات بطاقتكَ وَلَكْ. شوْ أنتَ حُرْمة يا عرس. ليشْ شَعرك طويل؟" أخذوني الى الحبس وبعد وساطة مِن البياتي وغيره أطلقوا سراحي بعد أن قصَّوا شَعَر راسي نمرة صفر. أعطاني أبو علي بدلة وربطة عنق وأمرني أن لا أطيل شَعري مرَّة أخرى.

(4)

أثناء استعدادي للسفر الى السويد اقترحَ علي البياتي أن آخذ معي الكتب المهمّة فاشتريتُ الكتب التي لا يمكن الاستغناء عنها. بالعراق سنوات الثمانينيات كانت أغلب الكُتب التي تصدر في بيروت أو القاهرة ممنوعة مِن دخول العراق باستثناء تلك الكتب التافهة وأعمال نزار قباني. من خلال الرفقة الدائمة مَعَ البياتي وحسب الشيخ جعفر الذي أقام في بيتي فترة لا بأس بها ومن ثم انتقلنا للسكن مع آخرين، ومن خلال زياراتنا لسعدي يوسف والأحاديث والآراء التي تُطرح في كُلّ جلسة ولقاء. حاولتُ إعادة النظر بمجمل ما قرأته في حياتي الماضية وما كُنتُ أظنّهُ هوَ الحقيقة الثابتة. نعم، كنتُ بالعراق أقرأ التراث والشِعر العربي القديم لكنَّ التطرّف الذي كُنّا نبديه إزاء مسألة الشِعر والثقافة، بدا لي في هذه اللقاءات ليس سوى إدعاء أجوف. ما العمل الآن في حضرة هذه العقول الشعرية الكبيرة؟ البدء مِن جديد ومحاولة فهم العالم والطبيعة والانسان مِن دون إدعاء. أعدتُ النظر بكلّ ما قرأته وعدتُ الى تفحّص الشِعر العربي منذ ما قبل الاسلام الى الراهن الذي ابتلينا فيه بالادعياء وتبجّحاتهم.

(5)

المعروف عن المرحوم عبد الوهاب ا بياتي انه يسخر دائماً ويطلق الألقاب في صحوه وسكره على الكثير من الشعراء والكتّاب والساسة الذين لا يحبهم لأسباب عديد . في حانة الياسمير " العاصمة الاردنية حين كنّا نرتادها كلّ يوم بعد الساعة الثامنة مسا . كان الشعار الذي أطلقه أبو علي ، مقولة للخليفة المأ ون " بساط السكر مطويٌ بما فيا" هو دستورنا في جلسات الشراب اليومي . يمنع منعاً باتّاً معاتبة صديق أساء أو عربد في جلسة الشراب اليوم التالي لأيّ سبب كار . من الكلمات الأثيرة عنده حول الأشياء التي لا يرضى عنها كلمة زَبلّعي . هذه السيدة زبلعية وهذا السائق ز لعي و ذا شاعر زبلعي وتلك شاعرة زبلعي . أسمى المرحوم الشاعرا! ردني أحمد المصلح ا و الشمقمق . الشاعرة عراقية آمال الزهاوي كان يسميها الخندريس" . حين سألناه كيف وافق أحمد عبد المعطي حجازي على قبول جائزة سلطان العويس مناصفة مع الشاعر والكاتب ابراهيم نصر ال . أجاب بسخريته المعهودة خطية هذا أحمد عنده 5 بنات وبمصر اذا أرادت بنت الزواج فيجب أن يجهزها أبوه . ة ش وملابس وذهب . أحمد وافق من أجل بناتا" . مرات كثيرة تتسلل قفشات أبو علي الى أو لئك الذين يسخر منهم خارج الحانة . محمود درويش . سعدي يوسف الـ . هم يزعل ن ويقولون أن مجلسه يعج بالنميم . سعدي لا يلبّي دعوات أبو علي الى الحانة بسبب النميمة وبسبب مجيء أو ئك الذين يسميهم البياتي الأبقار ، وهم مجموعة من الشعراء والصحفيين عراقيين الذين لا يتعاطون الشراب . يجلسون معنا على المائدة ويهجمون على صحون المزّة وحين يقول لـ م أبو علي اطلبوا عشا " يرفضون ويجهزون على المزة في كلّ مر . مرة ـ اد أبو علي من زيارة سوريا وقال أعتقد أن مجلة المدى ستصدر من العدد القا م من دون أخطاء املائية ومطبعية ". كيف يا أبو علي " . سألناه : خطية هذا هادي العلوي عيّنه فخري كـ يم مصحح براتب 100 دولار بالمدى" طبعاً نحن

نعرف أن العلوي لا يحب البيتي ولا يزوره حين يذهب الى سوريا ، وهنا أراد أن يقلل من شأنه عبر اعلانه هنا من انه تعيّن بوظيفة مصحح . كنتُ قد رافقته مدة 4 سنوات ليل نهار حين كنت في الأردن وأصدرت مجموعتي أرض خضراء مثل أبواب السنا " عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 1996 على نفقتي . حين كان البعض يسأله : " كيف حال أمين سرّك نصيف؟ " يجيبهم هكذا : لم يبق لي أيّ سر . فضحني هذا الزبلعي نصيف .

(6)

عندما كُنتُ في عمّان سنوات التسعينيّات مِن القرن الماضي، كان يصعب علي الاتصال بعائلتي التي تقيم بالعراق أو إرسال رسالة اليها، ذلك لأنَّ جهاز المخابرات قد استدعى أخي حميد بسبب عملي بحركة " الوفاق الوطني" وكانوا يطلبون مِنهُ ابلاغهم اذا اتصلّتُ بهم أو أرسلتُ لَهم رسالة، ومرَّة في صيف سَنَة 1996 وصلتني منه رسالة غريبة يقولُ فيها :"أخي العزيز نصيف، أن ماء دجلة والفرات الذي شربتهُ والمبادىء الوطنية العظيمة الخ" مِن هذه الكلمات الطنّانة التي حدستُ انّها أُمْلِيَت عَليه مِن قبل ضابط المخابرات المسؤول عَن ملقّي. سَنَوات حصار جائر ضدّ الشَعب العراقي وعائلتي لا تمتلك الدرهم وأشدَّ ما كان يعذّب ضميري، هوَ انَّني لا أستطيع أن أرسل لَها ديناراً أو قطعة قماش أو دواء أو اتصلّ وأسمع صوت أمّي أو أبي. بَعدَ وصولي السويد بشهر ضيَّفَتْني عائلة صَديق وكانت هناك امكانية أن أتصلّ بعائلتي فاتصلّت بها وكان كياني كُلّه يرتعش بسبب سنوات الألم والوحشة والفراق. بَكَت أمّي وكانَ صوت أبي الحزين قَد هزَّ أعماقي. في اليوم التالي أُصبْتُ بحمَّى أعرفها. حُمَّى الكتابة فانعزلتُ بمكتبة الصديق وكتبتُ 10 قَصائد، نشرتها بَعدَ أيَّام في صحيفة "القدس العربي" .

هنا واحدة منها.

(7)

شقّة على الطراز السويدي

أعيش هنا منذ شهور في شقّة
على الطراز السويدي،
تهتز حياتي فيها متأرجحة
بين الألم والضجر.
أين أهرب من رماد الماضي
الذي يسيّجني بسياجات طويلة؟
أين ألبد من عواء جروحي؟
كلّ القبور التي شيدتها تهدّمت،
والحياة في هذه الشقّة لا تشبه
تلك التي عشتها في كوخ القصب
في "الناصرية" ولا ذلك البيت
القبر في بغداد ولا ذلك القسم
الداخلي في "الباب المعظم" الذي
كنت ألبد فيه في هروباتي المتكرّرة
من الخدمة العسكرية،
ولا ذلك الملجأ المقصوف فوق
جبل "نواخين" ولا تلك الغرفة
المظلمة والرطبة في "عمّان".
ضع يدك فوق رأسي المتألم
قذائف ثقيلة ستنهض من سباتها.
ليل حياتي هنا، دمعة كبيرة.
ما أوحش الحياة في شقّة
على الطراز السويدي.
ـ ما الذي تريده أيها الغجري،
يا جوّاب الطرقات الهرمة
ومغني العذابات

"* "واللوعة الشجية؟: "الجدران بأهلها
أريد ظل نخلة
في هجير العراق
أريد ليل العراق
أريد قبراً
في العراق
أريد ضيم العراق.

مثل *

(8)

عائشة عبد الوهاب البياتي.

تظهر صورة عائشة وكينونتها في مجمل أعمال البياتي على الدوام بأشكال ومظاهر مختلفة ومتباينة، فمن المرأة الحبيبة الواقعية، الى الاسطورية، فالكونية، الى المرأة الماورائية، ولكنها لا تظهر منفصلة الواحدة عن الأخرى، فالمرأة الواقعية التي هي من لحم ودم. تظهر على وجهها بعض العلامات التي تشير الى انتمائها الى عالم السحر ومملكة الاسطورة. لا شك في أن رمز عائشة عند البياتي وكما جاء على لسانه، هي "روح العالم الجديد، والرمز الفردي والجماعي للحُبّ". انها امرأة تموت وتولد باستمرار وتضيء طريق العاشق/ الشاعر وتغمره بموتها في الظلام والعزلة والبرد، ثم تظهر من جديد في صور وأشكال مختلفة من التجسيد. صفصافة. فراشة. ناعورة تبكي على الفرات. حمامة. والفراشة "رمز الخلود في الطقوس الجنائزية الفرعونية" والحمامة هي حمامة الطوفان، وأميرة بابلية أو ساحرة أو عرّافة ثم انها تنهض دائماً مثل طائر العنقاء من بين الرماد. انها اوفيليا وشهرزاد في وقت معاً. تجسدت عدة مرات في صورة عشتار، إلهة الحب والموت في حضارة وادي الرافدين.

عائشة البياتي هذه تظهر في صور كثيرة، كانت مثل الواحد في الكل والكل في الواحد، وبعد ذلك صارت تأخذ أبعاداً أخرى. بدأ يجري في عروقها دم وحياة من الماضي والحاضر والمستقبل. انها المرأة التي ماتت وسوف تولد مرة أخرى. انها الموت والحياة/ المرئي واللامرئي. ومعلوم أن كلمة عائشة في اللغة العربية تعني انها : المرأة التي تعيش دائماً. التي تموت ولا تموت/ التي تأتي دائماً وتذهب. عائشة هذه تجربة جاءت من الواقع لكنها أخذت أبعاداً رمزية/ اسطورية / تاريخية. تظهر وتختفي/ تعيش وتموت/ مرئية وغير مرئية/ تزوره عندما يريدها / عندما يشتاق اليها / من دون انذار، وهو ينتظرها في كل لحظة وفي كل مكان ويسافر دائماً من أجلها، حتى أن حياته أصبحت ترحالاً دائماً وهو مجنون من أجلها .

هنا الجزء الأول والثالث مِن قصيدة " أولد وأحترق بحُبّي".

1

تستيقظ "لارا" في ذاكرتي: قطًّا تتريًّا، يتربص بي، يتمطَّى، يتثاءب،
يخدش وجهي المحموم ويحرمني النوم. أراها في قاعِ جحيم المدن
القطبية، تشنقني بضفائرها وتعلقني مثل الأرنب فوق الحائط مشدودًا في خيط دموعي.
أصرخ: "لارا" فتجيب الريح المذعورة: "لارا " أعدو خلف الريح وخلف
قطارات الليل وأسأل عاملة المقهى. لا يدري أحد . أمضى تحت الثلج
وحيدًا، أبكي حبي العاثر في كل مقاهي العالم والحانات.

3

"لارا رحلتْ"
"لارا انتحرت"
قال البوَّاب وقالت جارتها، وانخرطت ببكاءٍ حارْ
قالت أخرى: "لا يدري أحد، حتى الشيطان".

هنا المقطع الأول والرابع مِن قصيدة "حُبّ تحت المطر".

1

"واترلو" كان البدء، وكل جسور العالم كانت تمتد لواترلو، لتعانقه، لترى مغتربين التقيا تحت عمود النور ابتسما، وقفا وأشارا لوميض البرق وقصف السحب الرعدية. عادا ينتظران. ابتسما. قالت عيناها "من أنت؟" أجاب: "أنا. لا أدري" وبكى . اقتربت منه وضعت يدها في يده. سارا تحت المطر المتساقط، حتى الفجر، وكانت كالطفل تغني. تقفز من فوق البرك المائية تعدو هاربة وتعود. شوارع لندن كانت تتنهد في عمق والفجر على الأرصفة المبتلة في عينيها، يتخفى في أوراق الأشجار؟ أجاب "أنا. لا أدري" وبكى. قالت "سأراك غداً" عانقها. قبّل عينيها تحت المطر المتساقط كانت كجليد الليل تذوب حناناً تحت القبلات.

4

كان يراها في الحلم كثيرا منذ سنين. كانت صورتها تهرب منه اذا ما استيقظ أو ناداها في الحلم، وكان بحمى العاشق يبحث عنها في كل مكان. كان يراها في كل عيون نساء المدن الأرضية، بالأزهار مغطاة وبأوراق الليمون الضارب للحمرة، تعدو حافية تحت الأمطار. تشير اليه :"تعال ورائي". يركض مجنوناً. يبكي سنوات المنفى وعذاب البحث الخائب عنها والترحال.

(9)

كزار حنتوش.

اعطني 50 الف دولار ثمن تمثال لي،
وسأقف في مكانه بشحمي ولحمي ودمي طوال حياتي.

في حوار مع الشاعر كزار حنتوش الله يرحمه، يطالبه أحد الصحفيين بضم صوته له والى أدباء "الديوانية" مدينته لمناشدة المسؤوليين في اقامة تمثال له باعتباره الوجه الثقافي والشاعر الأول في مدينتهم. كزار يرفض الفكرة ويقول :

- بالطبع سيكون جوابي، كلا وبالقلم العريض. أولى بالمسؤولين أن يقيموا التماثيل لشهداء الديوانية الابطال، ثم لو جنّ أحد المسؤولين وقرر أن يقيم لي تمثالاً يطل على مقبرة الاطفال قرب "زيد النار". فانني سأقول له كم ستصرفون على هذا التمثال، وقد يجيب مثلاً بخمسين الف دولار. عندها سأقول له: اعطني هذا المبلغ وسأقف أنا بشحمي ولحمي ودمي مكان التمثال طوال حياتي .

انه طراز خاص من الشعراء. نسيج وحده. بدأ حياته الأدبية يكتب الشعر الشعبي وانتمى الى الحزب الشيوعي العراقي في السبعينيات، لكنه تخلى فيما بعد عن الانتماء السياسي وعن شعر

العامية واتجه الى الكتابة بلغة شعرية خاصة به وظلَّ في أعماقه محافظاً على روحه الشيوعية حسب طريقته في صعلكته وفي مسيرة حياته ولا ينتمي منجزه الشعري الى تقاليد الشعر العراقي التي ترسخت منذ خمسينيات القرن الماضي. انه كما قلت طراز خاص ونسيج اجتماعي وثقافي وشعري من صنعه وحده. كسول جداً في كل شيء. في شعره وفي أنماط حياته الفقيرة والغنية في آنٍ معاً. لا تهمه مسألة الاصدار المنتظم مثلما لا تهمه شطحات الحداثة وفذلكاتها. قصيدته تشبه تماماً. تشبه حياته ومصادرها الاجتماعية. يخيل إليّ أحياناً أنه لم يقرأ كتاباً واحداً في حياته، لكنه مثقف جيد وقارئ دائم ولا أستطيع أن أمنع نفسي من الاعجاب بقصائده التي تصدر من مخزون اجتماعي نعرفه كلنا، وفي مناسبة الحديث عن كسله المعروف أود أن أروي هذه الحادثة. عندما تمت احالته على التقاعد المبكر من وظيفته "تخرج في معهد الهندسة العالي" بسبب تغيبه المستمر عن الدوام الرسمي، فَقَدَ معاملة التقاعد في أحد البارات عندما كان يشرب هو وجان دمو، قبل أن يقدمها الى مديرية تقاعد "الديوانية" ونسى الأمر تماماً. بعد شهور التقيته ببغداد وسألته ممازحاً:"أود أن تدعوني الى بار" أجابني ببراءة: "لا أملك نقوداً. أنت ستدعوني" قلت له: "ملعون. تقبض ثمن مكافآت قصائدك وراتبك التقاعدي وتطلب مني أن أدعوك" قال:"أيّ راتب؟ لقد ضاعت معاملة التقاعد في بار ونسيت أمرها تماماً" . عرف مصطلح القصيدة الحنتوشية في الثمانينيات بسبب الميزة الخاصة لقصيدته التي يستطيع المرء تمييزها على الفور من خلال لغتها ومناخها وموضوعها. لا يحسب كزار على تيارات الحداثة الشعرية في العراق، لكنه مؤسس لنفسه طريقة خاصة به. ميزتها الفريدة انه لا يشبه أيّ شاعر آخر في العالم، وهذا هو مجده. يحيا يومه بكل امتلاء من دون التفكير بالغد. ليست لديه مشاكل مع الآخرين ولا مع العالم ولا مع الزمن. عندما يأتي من الديوانية الى بغداد مرة أو مرتين في الشهر. نشبع أنا وجان دمو من البيرة والخمر بسبب الدعوات التي توجه له ولنا من محبيه عبر وجوده معنا في مقهى "حسن عجمي" أو في البارات. جان دمو الذي لا يعترف بأيّ شاعر في العراق، كان دائم العيش مع كزار حين يأتي الى بغداد. يبدو أن ما يجمع بينهما هو الصداقة العالية في انسانيتها. سأله

جان مرة وكنا في بار "روافد دجلة" بساحة النصر قبل أن يتزوج:"كزار. منذ متى استحممت؟" فأجابه:"لا أدري، ولكنني أستحم كل شَهَر مرَّة واحدة" فقهقه جان بصخب وتساءل مَرَّة أخرى متعجباً من نشاط كزار: "شنو أنتَ بطة؟" . معلوم أن جان لا يستحم .

هنا قصيدة لكزار بعنوان

عشاء "باكونين" الأخير.

جئت الى "نادي الادباء"
مهووش الشعر، غريباً، وجلاً،مرتاب
فلقد أنبأني ملكُ الافاقين السبعه
بأن صديقي الشاعر
قد ضاقت انشوطتهُ
والدنيا خطت دائرة النار حواليه
بجناح غراب
لكن البواب
يرجمني بحصاه
ويطاردني بعصاه
أحني رأسي حتى بوز حذائي غير المصبوغ
كأجير مصريٍ في بارٍ لسراة القوم
عفواً أن صديقي الشاعر-
يقبعِ تحت السرو
كجرو
منتظراً أن أنسف وحشتُه وأولّي.
انظر، أن لدي قليلاً من بارود الحرب
انظر، بلتني الأمطار تماماً
والقمر الأخضر غاب
لكن البواب
ثانية

يرجمني بحصاه
ويطاردني بعصاه
أقفز بار الأدباء
أتخطى الخافر والساقي والبواب
وأحطُّ على مائدة الليل
حيث الوحشة كالناعور
نازلة صاعدة
صاعدة نازلة
يأتيني رأس النادل المتخفيّ في زي غراب
-ماذا تطلب يا سيد؟
قنبلة.

(10)

الشاعر الروسي يفغيني يفتوشنكو أصدرَ150 كتاباً
وعلى الرغم مِن مرضه، أعدَّ "انطولوجيا الشعر الروسي
خلال ألف سنة" ب 10 مجلّدات وَتَبرَّع بارشيفه الى شَعبه.

يقول في قصيدة:

لا يوجدُ إنسانٌ في العالمِ غيرُ مُهِم
قدرُ الناسِ كتاريخ كواكبِ هذي الدُنيا
والكوكبُ يزهو بتَفرُّدِه وما مِن نَجم
يُشبهُ قدَرَه.

(11)

كانت أمّي أطال الله عمرها، تعتقد اعتقاداً راسخاً برجال الدين، خصوصاً أصحاب العمائم السود الكبيرة وتعتقد انهم يعلمون الغيب وانهم علماء فطاحل الخ. تتبرك بالسلام على أيّ واحد منهم في الشارع أو أيّ مكان آخر، وحين تذهب الى زيارة الامامين موسى بن جعفر وحفيده محمد الجواد. كانت تحاول دائماً إيجاد عذر أو مبرّر لاعطاء أحد هؤلاء بعض ما ادخرته من نقود قليلة. أقول لها :"هؤلاء لا يستحقون ، وهم يملكون المال الكثير والسيارات والبيوت". هي لا تصدق كلامي وتزجرني. لكي أخلّصها من أوهامها، أخذتها في يوم ما الى الزيارة وأعطيتها 5 دنانير " مصروف " وأنا أعرف انها ستعطي الدنانير الى أول معمم يصادفها. بعد الزيارة ونحن نهم بالخروج رأت واحداً من هؤلاء يجلس على دكة قرب " باب المراد " فتحركت صوبه. أمسكتها وقلت لها :" هذا لا يفتهم أيّ شيء مما تظنين" : قالت: "ولكْ لا تصير حمار، هذا إمام وعالم". قلت لها:" تعالي معي وأنا سأسأله عن شيء وهمي". لم تفهم وأنا لم أوضح لها القصد. القينا عليه السلام فأجاب بوقار عظيم:" وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته": "مولانا هاي أمّي ونحن نسكن مدينة الثورة. لي أخ مفقود في الحرب وصار 3 سنوات لا نعلم عنه أيّ شيء، اسمه نصيف". تنحنح وحوقل وبسمل وقرأ شيئاً من القرآن وقال:" ابنكم أسير وهو بخير وصحة وحاطينه بمعسكر قرب حدود الاتحاد السوفيتي ، وبعد فترة قليلة راح يرسل لكم رسائل" . أمّي كاد يغمى عليها من جرأتي ومن جواب الإمام الذي يعلم الغيب. قلتُ له:"ما عندنا شخص مفقود في الحرب، وآني نصيف" فأجاب بعصبية وهو يهرب:" لعنك الله يا بن الفاجرة، يا كلب بن كلب .

من يومها، تركت أمّي اعطاء النقود الى هؤلاء.

(12)

كولالة نوري.

من حوار معها.

أتذكر حينها حين زار الشاعر نصيف الناصري مدينة الموصل في مناسبة شعرية مع شعراء آخرين. قال لي ونحن نزور احدى المكتبات العامرة بكتب مهمة شعرية ونقدية وروايات وكان يسألني كلما نرى كتاباً جيداً، سأختار لك هذا وهذا وهذا وقال لي اختاري ما تشائين. وكنت مرعوبة من الأسعار وكنا في خضم بداية الحصار الاقتصادي . وكم كنت بحاجة لتلك الكتب. قلت له رغم خجلي الطري وانزياحي لعمل بسيط آنذاك لاستقل عن معونة أهلي. إنني آسفة ولكنني لا استطيع شراء كل هذه الكتب دفعة واحدة . سكت نصيف. وكنت أعرف بانه شاعر مفلس كان ينتمي الى مجموعة الشعراء الصعاليك الذين لجأوا لاطلاق صفة الصعلكة على أنفسهم ليهربوا قدر الإمكان من الرقيب والجبهات. ولم اشأ أن يشتري لي ذلك من جيبه الخاص. وحين خرجنا من المكتبة وكنت ما أزال أتنغص على الكتب التي رأيناها. فاذا نصيف يفتح جاكيتته أو "قمصلته" ويخرج لي معظم الكتب التي أعجبتني .

كان ذلك كافياً لأصاب بالذهول من شخصيته ومن فكرة السرقة تلك التي جعلتني ارتجف خجلاً ورعبا. إلا انه حين فعل ذلك فعله بضمير مرتاح جداً. قال لي "اعتقد نحن نملك الحق في أن نأخذ الضرائب من صاحب المكتبة الجشع- كما قال- وأنت تستحقين هذه الكتب فاقرأي بضمير مرتاح جدا. وهو انسان لا يقرأ سوى كتب كيفية تخزين الأموال" ههههه. كانت كتب عن الحداثة الشعرية. وقصيدة النثر. ورامبو. ومجاميع شعرية مختلفة لا أتذكرها الآن .

(13)

نشر قبل فترة أحد الجلاّقة في صفحته بالفيس بوك كلمات منسوبة للإمام السيوطي "سبحانه الذي زيِّن صدور النساء بالنهود". رَدَّت عليه امرأة :"أنتَ لم تجد عند الإمام السيوطي غير هذا الكلام؟". الرجل الجلاّق يعتقد أن المرأة "وليمة جنسية"، والمرأة التي لم يعجبها الكلام. دافعت عن انسانيتها. أكثر ما يصيبني بالقرف هو أن تنشر منكودة الحظ بعض السطور الحلمنتيشية وتحصل على مئات اللايكات من الجلاّقين .

(14)

ينشر شاعر قصيدة في موقع معيّن:

"الطيور في السماء تطير"

أين تطير الطيور، في سراديب الأبنية؟

يا ابن 10 آلاف قحبة

ما تصير شاعر

لو ينكحك الشيطان.

(15)

صديق شاعر كتب لي أن "أدلي بدلوي"

في الأحداث السياسية بالعراق.

أجبته: "آني بلت في الدلو"

آني وين والسياسة وين؟

(16)

Nasif . Vad gör du?

كتبتُ 4 قصائد ونشرتها بصفحتي وبموقع "الحوار المتمدن". شعرتُ بإجهاد كبير ومن ثم جلستُ للشراب. الشفيعة خافرة في العمل. لا رقيب ولا حسيب، هكذا ظننتُ الأمر. قبل أن أنهي احتساء العلبة الأولى من البيرة. رنَّ تلفوني

Nasif . Vad gör du?

"نصيف، ايش تعمل"

"أقرأ وأستمع للموسيقى في المطبخ"

"أنت لستَ في المطبخ. أنت في الصالة عند اليوتيوب وتشرب. حاول إنهاء الشراب فوراً واخرج الى الشارع. الحدائق.

لا يمكنني الكذب عليها وأصرّ انني في المطبخ أستمع الى الموسيقى،

خرجتُ ولكن مرأى الحشود وهي تأكل وترقص، أصابني بالغثيان.

آهٍ ،يا حانات بغداد، وآهٍ، أيّها الأصدقاء الأعزاء.

(17)

كتبتُ مع صديق شاعر من جيلي "طبعاً ماكو أجيال في الشعر" ومنحني العزاء في

هذه الكلمات الطيّبة التي تحرض الوحيد مثلي على السرور.

صديقي هذا ليس مثل الكثير من شعراء جيلي الذين يكتبون تعليقات

دائماً ويثنون على الشعر المصلْبخ والمحنْبط ورباب الجعفري الخ؟

- أنت نصيف تعتبر من الشعراء الهامشيين كما صنفناهم في الثقافة العراقية،
بنفس الوقت هذا النص شكَّل مركزية ومعيار في الوعي الشعري
كثيرون يخافون من شعرك،
ويتخذونه محرضاً على الكتابة.
* لكنّي لم أقدّم أقدم أشياء مهمة

- أكبر نغل انت.
* وما أعرف كم سنة قادمة أحتاج حتى أكمل ربع مشروعي مرعوب وأخاف أن أموت وما أكمل شي

- اذا متّ
* بشرفي خايف ربما بسبب الوحدة والانقطاع عن الاخرين

- نصّك فيه تجربة انسانية
هذي سمة اسلوبية عندك.
نصك مطابق لشخصيتك.

(18)

المهنة : شاعر.

عملتُ في حياتي بسْ سنتين غسَّالاً للسيارات في وزارة النفط. 1978 – 1979. لا مهنة لي ولا شهادة دراسية. أُجبرت خوف السجن على الذهاب الى مركز لمحو الأمّية وتعليم الكبار بمدرسة الجبل الأخضر في مدينة "الثورة" سنة 1975 في الحملة الشاملة لمحو الأمّية وتعليم الكبار. عمري 15 سنة. درست 6 شهور ومنحوني شهادة "يقرأ ويكتب". شتاء سنة 1994 أردت الهجرة الى الأردن وذهبت الى دائرة الجوازات. كان يوم أربعاء. مجلة "الف باء" التي كانت تصدر ب 300 الف نسخة، أصبحت تصدر السنة الرابعة للحصار المفروض على العراق ب 50 الف نسخة ، وكانت تنفذ من المكتبات والباعة بسرعة. كانت تصدر

كلّ يوم أربعاء. في ذلك اليوم كانت قصيدتي "منفى" التي ضمّتها مجموعتي "أرض خضراء مثل أبواب السَنة" قد نشرت في "الف باء". نشرها لي الشاعر أمين جياد. قال لي الرائد وهو يتسلم معاملة سفري منّي:"ايش مهنتك؟" أجبته "شاعر". صفن شوية وقال:"ايش؟". أجبته مرّة أخرى:" شاعر". التفت الى رجل يرتدي الملابس المدينة ومحنْبط بقبّوط أسود وقال له:"سيدي العقيد، أقول الى الأخ ايش مهنتك، يقول لي شاعر". هذا السيد العقيد كان مدير دائرة الجوازات. قال لي: "الشعر ليس مهنة" .قلت له:"عمري 34 سنة ولا مهنة لي سوى كتابة الشعر والعيش من المكافأة" قال: "شعبي لو فصيح"أجبته:"فصيح وهذا عدد مجلة الف باء الذي صدر اليوم ،لي فيه قصيدة" ناولته المجلة ،تمعّن في القصيدة ثم طلب منّي أن يحتفظ بالمجلة لأنه ربما لا يستطيع الحصول عليها، ثم وجَّه كلامه الى الرائد:"اكتب، مهنة استاذ نصيف شاعر".

(19)

يتم تمويل تلفزيون السويد بكلّ قنواته، وراديو السويد من قبل الشعب. كلّ مشترك يدفع ضريبة التلفزيون والراديو، لأنهم يقولون:"لا ينبغي للحكومة والأحزاب السيطرة على التلفزيون والراديو". في كُلّ موسم انتخابي تعطى حصة متساوية الى جميع الأحزاب في الراديو والتلفزيون لطرح برامجها الانتخابية ولا ميزة معيّنة لحزب على آخر. فرص الظهور بالتساوي. قبل سنوات كلّف رئيس الحكومة السابقة 3 نساء ورجل لشغل حقائب وزارية في الحكومة فاعتذروا لأنهم لا يدفعون ضريبة التلفزيون والراديو. هاي مصيبة وتحايل على القانون، اذا كشفتها الصحافة فهي فضيحة بجلاجل .

(20)

يا صاحِبيَّ امزُجا كأسَ المُدامِ لَنا
كَيْما يُضيءَ لَنا مِنْ نُورِها الغَسَقُ
خَمْرٌ إذا ما نَدِيمي باتَ يَشْرَبُها
أخشى عَليهِ مِنَ اللَّألاءِ يَحْتَرِقُ
لَو رامَ يَحْلِفَ أنَّ الشَّمْسَ ما غَرَبَتْ
في فِيهِ كَذَّبَهُ في وَجْهِهِ الشَّفَقُ.

عبد الصمد بن بابك

(21)

في سادس عشر من محرمها قلد الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي نقابة الطالبيين في سائر الممالك وقرئ تقليده في دار الوزير فخر الملك بمحضر من الأعيان وخلع عليه السواد وهو أول طالبي يخلع عليه السواد. وفيها جيء بأمير بني خفاجة أبو قلنبة – قبحه الله – وجماعة من رؤوس قومه أسارى وكانوا قد اعترضوا للحجّاج في السنة التي قبلها وهم راجعون، وغوروا المناهل التي يردها الحجّاج ووضعوا فيها الحنظل بحيث انه مات من الحجّاج من العطش نحو من خمسة عشر ألفاً وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لدوابهم في أسوأ حالوأخذوا جميع ماكان معهم. وفي شوال توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى فخرجت النوائح والصلبان معها جهاراً فأنكر ذلك بعض الهاشميين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس النصراني بدبوس في رأسه فشجه فثار المسلمون بهم فانهزموا حتى لجأوا الى كنيسة لهم هناك فدخلت العامة اليها فنهبوا ما فيها وما قرب من دور النصارى وتتبعوا النصارى في البلد وقصدوا الناصح وابن أبي اسرائيل فقاتلهم غلمانهم وانتشرت الفتنة ببغداد ورفع المسلمون المصاحف في

الأسواق وعطلت الجمع في بعض الأيام واستعانوا بالخليفة فأمر باحضار ابن أبي اسرائيل فامتنع فعزم الخليفة على الخروج من بغداد وقويت الفتنة جداً ونهبت دور كثيرة من النصارى ثم احضر ابن أبي اسرائيل فبذل أموالاً جزيلة فعفا عنه وسكنت الفتنة
.

ابن كثير

"البداية والنهاية"
حوادث سنة 403 هجرية

(22)

وَلَمَّا بَرَزْنا لِتَوْديعِهِمْ
بَكَوْا لُؤلُؤاً وَبَكَيْنا عَقيقا
أداروا عَلَيْنا كُؤُوس الفِراقِ
وَهَيْهاتِ مِن سُكْرِها أنْ نُفِيقا
تَوَلَّوْا فَأتْبَعْتُهُمْ أدمُعي
فَصاحوا الغَريقَ وصِحْتُ الحَريقا.

شاعر

(23)

أول انقلاب في العالم العربي حدث في العراق سنة 1936 وقاده الفريق بكر صدقي الذي أعدم وزير الدفاع جعفر العسكري وارتكب المجازر ضد الآشوريين. سنة 1941 حدثت ثورة ضد الانكليز وقادها رشيد عالي الكيلاني. تمت فيها عمليات "الفرهود" وإبادة المواطنين اليهود ونهب ممتلكاتهم. سنة 1958 قامت ثورة 14 تموز وأعدم فيها الملك ورئيس الوزراء والوصي

وكلّ العائلة المالكة، بما فيها النساء والأطفال. سنة 1963 حدث انقلاب 8 شباط. أعدم فيه الزعيم عبد الكريم قاسم ورفاقه وتحوَّلت مدن بغداد. الكاظمية والثورة الى شيوعيتين. الأعظمية الى قومية. ميليشيا المقاومة الشعبية للشيوعيين. الحرس القومي للبعثين. قتل الحرس ببغداد صبيحة 8 شباط الكثير من الشيوعيين والمتعاطفين معهم. جاء انقلاب سنة 1968 بالبكر وصدام. جيش شعبي. حرس جمهوري قوات الطوارىء. جهاز الأمن الخاص. جهاز المخابرات الخ الخ. الأنصار الشيوعيين. فيلق بدر. ميليشيات لهذا الحزب أو ذاك. بعد نهاية نظام صدام جاءت ميليشيات كثيرة واستباحت الدم العراقي. أصبحت الكاظمية الشيوعية شيعية. الثورة الشيوعية شيعية. الأعظمية القومية سنّية. شعب يقتل وطنه وناسه ومستقبله باسم الحزب والطائفة والعشيرة.

(24)

في زَمَن الحرب العراقية الايرانية كانَ نظام العقوبات الذي يُطبَّق على الجنود الذين يهربون مِن الخدمة العسكرية، لا يأخذ بالحسبان ظروفهم النفسية والعائلية والاقتصادية الخ. العقوبة لا يقرِّرها القضاة في المحاكم العسكرية ويقرِّرها صدام حسين عبر قرارات تصدر عن "مجلس قيادة الثورة ". كلّ جندي يرتكب جريمة الهروب ويعود الى وحدته العسكرية نادماً. لازم يتم سجنه وتُخفَّف عنه العقوبة اللازمة. الذين هَربوا وشملوا بعفو عام لا يعاقبون. إيّ جندي يهرب ويتم تقديمه الى المحكمة يسأله القاضي السؤال:"لماذا هربتَ؟" يجيب:"هَربْتُ لأعيل عائلتي" كليشة هذا معروفة. أنا هربتُ 6 مرَّات وكنتُ التحقُ الى وحدتي بعد نهاية المعارك نادماً أو أعيشُ حياتي مُتخفّياً بانتظار العفو العام. كنتُ كلّما التحقتُ نادماً يقومون بإرسال أوراق جريمة هروبي الى المحكمة وحين يتم ابلاغي بموعد المحاكمة أهرب من جديد. قبل

نهاية الحرب كنتُ هارباً والتحقتُ بعدها في العفو الذي أصدره وزير الدفاع عدنان خير الله الذي ألغاه صدام حسين بعد فترة قصيرة لالتحاق الهاربين بوحداتهم. احتجزونا في البداية ومن ثم أرسلوا أوراقنا الى المحاكم. أرسلوا المجلس التحقيقي الخاص بي عن أول جريمة هروب الى المحكمة الدائمية 23 في الموصل في بداية شتاء سنة 1988وذهبتُ مخفوراً بصحبة نائب عريف. سألني القاضي:"لماذا هربتَ؟". "سيدي آني أحبّ امرأة شاعرة جميلة تطلع بقناة التلفزيون 7 ولها برنامج عن الثقافة. كلما أشاهدها لا أصبر وأهرب". التفت القاضي الى رائد يجلس الى جانبه وتكلم معه بهمس ومن ثم قال لي: "اخرج ريثما تتم مناداتك". بعدها طلب القاضي من نائب العريف الذي يخفرني أن يعيدني الى الوحدة العسكرية ومن ثم يتم إرسالي الى مستشفى أربيل العسكري. في النهاية أرسلوا الكشف الطبّي."عاشق مُخبَّل" :"حبس شديد 6 شهور واعتبار جريمتك مُخلّة بالشرف واسقاط رتبة أعلى". خرجتُ من السجن في الشهر الخامي سنة 1989مصاباً بداء الجرب .

(25)

في يومٍ ما مِن الشَهَر العاشر سَنَة 1980 ببغداد
كُنتُ آكلُ الجبن وأشرب شرَبَت الزبيب في مَحلّ
يلاصقُ مقهى "الأعيان" التي تفصلها عَن جامع
"الحيدرخانة" دَرْبونَة صَغيرة جدّاً. مقهى "البرلمان "
قريبة الى " الأعيان" وهي في الجهة المقابلة لها.
أكو جَماعَة مِن حزب الدعوة يريدون اغتيال وزير الدفاع
عدنان خير الله. موكبه يَمرُّ كُلّ يوم في شارع الرشيد
حيث "الأعيان" والحرب مَعَ ايران مُشتَعلة.
المُهمّ.
مطرب المقامات يوسف عمر اعتاد الجلوس على
أريكة عند مدخل المقهى وأمامه طاولة صغيرة
يضعون لهُ عليها الشاي والماء.

رجال الأمن الذين يبدو انهم علموا بنيّة حزب الدعوة كانوا بانتظار المجموعة التي تريد اغتيال الوزير.
حَدَثَ اطلاق نار داخل المقهى والبعض قُتل والبَعض هرب واطلاقة اخترقت جدار محلّ الرواف الصغير المقابل للمقهى. أثناء هذه الكارثة انقلبَت طاولة أبو يعقوب وانكَسَر اسْتكان الشاي ووالخ. يوسف راح يصرخ:
"أخوات القحبة الشاي مالي وكَعْ. إيري فيكم
أنا كُنتُ أرتعد مِن الخوف وَزَرَبْتُ على نفسي بسبب الاطلاقات والقتلى.
رَجلٌ قال لأبي يعقوب:"استاذ يوسف، الأمن يقولون هؤلاء جاءوا لاغتيال وزير الدفاع" ردَّ عليه يوسف:
"إيْ بَسْ مو يقلبون الطاولة ويكسْرون اسْتكان الشاي مالي أخوات القحبة؟".

(26)

المعروف عَن المطرب الشعبي الجميل حضيري أبو عزيز، انّه لَمْ يتزوَّج في حياته وكانَ يعشقُ الغلمان. أغنياته التي كَتَبها ولحَّنها بنفسه. " أحْميّد. إمْجَيّد. يا عنيّد يايابا. هلا يا أم عبد الخ" خصَّصها الى هؤلاء الناس الذين ارتبط بهم. وُلِد ب "الناصرية" في بداية القرن العشرين وصارَ نائب عريف في الشرطة سنوات الثلاثينيات. تمّ نقل خدماته الى دائرة الاذاعة حين تأسَّسَت سنة 1936 وعلَّموه أصول الموسيقى.
إعْنَيِّد صديقه وهو " فَرَخ" كان يرتدي الصاية والبشت والعقال، أمَّا عبد فقد ضَجَرَت أُمّه مِن العلاقة بينه وبين حضيري. حَتَّى يسْكتها كَتَبَ ولحَّن أغنيته الشهيرة "هلا يا أم عبد هلا" .

(27)

الواقع العراقي بعد التغيير أوجد أساطيره ورموزه المتناقضة والعاصفة ولا أعتقد أن للقصيدة أيّ دور في تغيير هذه المتناقضات، ومن فضائل شعرنا العراقي الآن انه لا يسير وفق الأهواء الايديولوجية أو تلك المضامين التي تسعى الى أن تكبله بترهات الواقع اليومي. أتابع التجارب الشعرية العراقية الجديدة دائماً وأرى انها تحاول تلمس ما وراء الواقع عبر شعر يحنو على الاخلاص للتجربة الروحية للشاعر وامتداداتها المعرفية والجمالية. قلتُ في مناسبة ما أن الحصيلة الابداعية للفعل الشعري في كل العصور كانت قليلة بسبب الجوهر الحقيقي للشعر وهذا هو سرّ الابداع الذي يحافظ عليه هذا الفن العصي.

(28)

في الذكرى السابعة لهزيمة صدام حسين من الكويت سنة 1997. وزعت وكالة الأنباء العراقية مقالاً كتبه صدام تحت عنوان "خواطر في الذكرى السابعة لأم المعارك الخالدة" ونشر في الصحف وتمت قراءته عبر الاذاعة وقنوات التلفزيون العراقية. القائد العام لقواتنا المسلحة وحامل أكبر رتبة عسكرية في العالم "مهيب ركن" تحدث في خواطره هذه عن ادارته للمعركة وتصديه للتحالف الدولي الذي شنّ الحرب ضده من أجل طرده من الكويت، وخططه العسكرية ونظريات السوق وستراتيجية الكرّ والفرّ، لكن أغرب ما ورد في خواطره هذه هي قوله:"ونظراً لكثافة الطيران المعادي فقد كلّفتُ الفريق عزت الدوري أن يشتري 5 آلاف بعير ويحمّلها بالماء والعتاد والطعام ويرسلها الى الخطوط الأمامية لجبهة الحرب" . لا تكمن الغرابة هنا في التصدي لأمريكا بالبعران من قبل مهيبنا الركن، بل في تلك الليلة التي سبقت اعلان الحرب وأمر فيها الطيارين العراقيين

أن يطيروا الى ايران ويتركوا طائراتهم الحربية "136 طائرة" هناك حتى لا يتم قصفها من قبل قوات التحالف. هل هذه المصيبة أغرب من مصيبة أوامره في الأيام الأولى لتلك الحرب لقوات الجيش الشعبي والجهاز الحزبي والوحدات العسكرية المنتشرة ببغداد. حول "ضرورة القيام فوراً بتغطية الجسور بالحشائش وأكياس القنب حتى لا تكتشفها الطائرات الحربية الأمريكية" المزودة بأشعة الليزر وتقصفها؟. ماذا كانت النتيجة؟ تهدمت الجسور وتهدم العراق وشعبه .

(29)

عندما أعلن صدام حسين الحملة الايمانية سنة 1993 وأمر باغلاق الحانات والمراقص وأماكن اللهو. استجابت الناس لدعوته شيئاً فشيئاً باعتباره "أمير المؤمنين" وراحت ترتاد المساجد وتواظب على اداء الصلوات وأمور العبادات الأخرى وتتوسل الى الله أن يزيل عنها الغمّة العظيمة التي سببها الحصارالشامل المفروض على البلد والبلايا التي سببتها سياسات الطاغية وعدم تعاونه مع القرارات الدولية والأمم المتحدة. كل أساطير وطقوس وثقافات القرون الوسطى استعادت عافيتها المنقرضة في هذه الحملة الايمانية التي فرضها أمير المؤمنين على الناس المبتلاة ببطشه ووحشيته، ورافقتها عودة الى ثقافة الغيب وانتظار المعجزات من السماء والشعر العمودي الذي انتشر في الصحافة. في السنة الثانية من تلك الحملة أمرّ طاغيتنا نائبه الجنرال المزعوم عزت الدوري أن يصطحب معه جموع المصلين الكثيرة والمنتقاة الى مطار بغداد الدولي لاداء صلاة الاستسقاء. " 15 ألف شخص كما أعلن في حينها" ذهبوا وصلوا وبعد يومين تفجرت ينابيع السماء وأغرقت بغداد ومدن عراقية أخرى. هل كان أولئك الذين صلوا صلاة الاستسقاء يعلمون أن دائرة الارصاد الجوية المعنية بأحوال الطقس والمناخ قد الغيت في بداية الحملة الايمانية؟ ثقافة القرون الوسطى والغيب التي أسسها صدام حسين في أعقاب هزيمته سنة 1991. ستنمو وتتكاثر

طفيلياتها في السنوات اللاحقة بالعراق وستجد فيها الأحزاب الدينية الطائفية التي جاءت بعد زوال نظامه. تربة خصبة لاشاعة منطلقاتها الفكرية العنصرية وثقافاتها المتخلفة ليبقى العراق طوال القرون القادمة يعيش في الظلال الداكنة لثقافة الغيب والأدعية وصناعة التعاويذ .

(30)

في بيت أهلي كان يشاركني النوم في غرفتي سنوات الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي. أمي وأخي الأصغر. الغرفة صغيرة ومليئة بالكتب والمجلات والاثاث المكركع. طوال النهار أقضي يومي خارج البيت وأعود بعد منتصف الليل. مرة دعاني أبي وقال لي:"اسمع نصيف. لماذا لا تحاول أن تتزوج ويكون لك بيتك الخاص؟" أجبته:" كيف أتزوج ويكون لي بيتي الخاص وأكثر من نصف راتبي أصرفه عليك وعلى أمي؟". أبي وأمي لا يعملان وهما عجائز. قال:"أمامك الحل السهل. أولاً تنقل سجل نفوسك من محافظة الناصرية الى محافظة كركوك وستحصل على بيت و10000 دينار من الحكومة. تستطيع فيها أن تتزوج وتفتح مطعماً أو صالون حلاقة وتشتري سيارة وتطبع كتبك التافهة. ثانياً تكتب عريضة الى الريس، تطلب فيها الحصول على بيت أحد العوائل المهجرة في بغداد كما يفعل الكثير من الشعراء والكتّاب. يا إلهي. طبعاً أبي يعرف أو لا يعرف أن نقل سجل نفوسي من الناصرية الى كركوك يعني انني سأسطو على بيت أحد المواطنين الكرد أو التركمان المهجرين الى محافظات أخرى بعد أن تم طردهم من بيوتهم حسب حملة التطهير العرقي التي قام بها نظام صدام حسين ومن دون تعويضات. شرحت لأبي عدم اخلاقية هذا الأمر فاقتنع تماماً. بعد نهاية حربنا مع ايران وبالتحديد في سنة 1989 راح بعض الشعراء والكتّاب وشرائح أخرى من المجتمع. يكتبون عرائض الى الرئيس يطلبون فيها تمليكهم بيوت المواطنين العراقيين المهجرين الى ايران وأولئك

الذين غادروا العراق بسبب معارضتهم لنظام الطغيان الى بلدان أخرى
.

(31)

على الرغم من عدم تأثر الأسواق بالعراق وخصوصاً في المواد الغذائية للناس في سنوات الحرب مع ايران التي امتدت الى 8 سنوات، لكن البيض والزبد والأجبان هي المواد الوحيدة التي كانت تختفي في أحيان كثيرة. تذهب الى الحوانيت وتسأل عنها فيكون الجواب دائماً هو "ماكو بيض ماكو زبد ماكو جبن". خال الرئيس وأبو زوجته الذي استحق تسمية "حرامي بغداد" بعد أن استحوذ بالقوة والترهيب والترغيب على الكثير من بساتين المواطنين وأموالهم وبيوتهم وسياراتهم وأراضيهم الزراعية. بعد أن أصبح مليارديراً كبيراً تفتقت عبقريته التجارية عن انشاء "الجمعية الاستهلاكية لموظفي الدولة" التي انتصبت بعمارتها العالية في شارع الرشيد. توجد في هذه الجمعية كل المواد الغذائية التي تفتقدها أسواق بغداد ومنها البيض الذي يتوفر دائماً. قبل افتتاح جمعيته الاستهلاكية. كان الحرامي قد كلّف مجموعة من جلاوزته المزوّرين أن يقوموا بتأليف الكتب باسمه باعتباره مؤرخاً. صدرت له في البداية موسوعة من 43 مجلداً بعنوان " كنتم خير أمة" وأعقبها بكتابه "نضالي" ووالخ. الموسوعة تتحدث عن التراث العربي والشعر وأيّام العرب وخزعبلات غريبة عجيبة لا يربطها رابط. أمّا "نضالي" فيتحدث عن تدخله في محاكم الأحوال الشخصية عندما كان محافظاً لبغداد في بداية سنوات السبعينيات ومنعه القضاة من اصدار الاحكام في القضايا والمشاكل الزوجية والطلاق، بحجة المحافظة "على الرباط الزوجي ومنع ضياع الأطفال" ومديح بعض الشعراء والصحفيين له "خير من الله طلّ وفاح" وسواها من الأشياء الرعناء التي لا تدخل من ضمن اختصاص وظيفته. جمعيته الاستهلاكية تبيع كل شيء الى الشخص الموظف في الدولة، لكن المشكلة التي كان يعاني منها أغلب الذين يتسوقون بضائعهم من تلك الجمعية. انها تجبرهم اذا أرادوا شراء طبق بيض "سعره 600 فلس" على شراء أحد كتبه. كل كتاب سعره ثلاثة دنانير ونصف. ما العمل ؟

لا بيض إلاّ في جمعية الحاج الحرامي المؤرخ وخال الرئيس. كانت الناس تجبر على شراء طبق البيض ومعه كتاب عن القومية العربية أو الجغرافيا أو الوضوء أو غزوات القبائل من تأليف مؤلفنا الموسوعي المزعوم وبثمن يتجاوز ثمن طبق البيض ب 6 مرات .

(32)

عدت من العمل الى البيت بعد الساعة الثانية ظهراً. كانت تقف قُرب البيت سيارة شرطة. ما أن هممتُ بفتح الباب حتى ترجل منها 3 رجال. "شو اسمك وَلَكْ ؟ شوْ شَرْبانْ ؟"أخبرتهم اسمي وقلت لهم انني لَم أشرب سوى الماء والشاي. قال الضابط " اسكت ولك. ترى أدعسْ شاربك بالبسطار يا حمار يا عَرسْ". :"لماذا تدعس شاربي بالبسطار؟ لم أفعل شيئاً. عندي اقامة سنوية وأعمل في جهة معارضة لنظام صدام حسين" قلت له. صرخ في وجهي بغضب "وتسبّ على الرئيس صدام يا حيوان يا بن الشرموطة ؟". اقتادوني الى سجن يقع في ساحة "العبدلي" في العاصمة الأردنية، عمّان وبقيتُ هناك مدَّة اسبوع كامل من دون أن يسمحوا لي بالاتصال بأحد ولا أعرف ما هي التهمة الموجهة إليّ. بَعد اسبوع تَمَّ الافراج عَنّي .

(33)

هذا اليَوم ليست لدي رغبة في الكتابة والشراب. تغدَّيت في بيت الشفيعة ومِن ثمّ ذهبت الى عملها. عدتُ الى البيت وطرق جاري الباب:" نصيف، محال الشراب كلّها مغلقة، واليوم عطلة. هَل أجد عندك. بيرة. فودكا. نبيذ؟" أعطيته نصف صندوق البيرة الذي أمتلكه وشكرني. ورا شوية صعدت رغبة الكتابة فأنجزتُ ونشرتُ 8 قصائد. الساعة الآن السادسة إلاّ 5 دقائق. أريد أن أشرب وما عندي شراب .

(34)

عندما شعرتُ أنّ صديقتي الأولى بدأت تتَملّملُ منِّي وتحاول قَطع علاقتها بي. تذكَّرتُ بيت شعر لأعرابي يقوله عن زوجته التي كانت تسعى الى طلاقه في حمّاسة أبي تمّام بباب المُلح والطرائف. أكثرتُ عليها النيك فصارت لا تتخَّلى عنّي حَتَّى مللتُ منها.

(35)

في الأمسية التي أقامها اتحاد الأدباء والكتّاب بالعراق للصعاليك سَنَة 1993 ،كان جان دمو قد قرأ قصيدة قصيرة جداً وأوصانا قَبل القراءة أن لا نطيل حتَّى يتمّ فتح النادي بَعد الجلسة بسرعة. أثناء قراءته صرخ رجل يرتدي بدلة سوداء اللون وتجلس الى جنبه امرأة انيقة:"الله، الله أحسنت.أعد. أعد" نظر اليه جان بامتعاض وغضب وصرخ في وجهه:" إنجَبْ لَكْ". بلعَ الرجل الأمسية التي لم تستغرق الذي فاجأته الكارثة ريقه وإنجَبَّ طوال أكثر من نصف ساعة. فتح بعدها بار الاتحاد للرواد أبوابه التي كانت تفتح دائماً بعد نهاية كل أمسية.
من الصعب محو جان دمو من الضمير الشعري العراقي، وكونه ظاهرة فريدة من دون انجاز فهذا لا يعني انه سيموت، ذلك لأن هذه الظاهرة لن تتكرر في يوم ما. جان كان أحد الأدلاء الكبار في شعرنا العراقي وقد أرشدني في بداياتي الى المنابع الأصلية للشعر. حين تعرفت اليه صيف سَنَة 1980 في مقهى "البرلمان" كان أبي وأمي قد أكملا استعداداتهما لتزويجي وكنت أرتدي دائماً الملابس الأنيقة واستلم راتبي من وزارة النفط. سحرتني شخصيته الصعبة المتحررة والنبيلة منذ البداية. دعوته الى حانة وحين بدأ يسكر تجرأت وقلت له: "هل أستطيع أن أقرأ لك قصيدة كتبتها قبل أيَّام. قال: "حسناً اقرأ". قرأتُ قصيدتي وقبل أن اكمل. صرخ في وجهي:" اسكت يا حمار، يا قاذور، هذا ضراط وليس شعراً". في نهاية الجلسة وكان يترنَّح وعدني انه سيعيرني في

المرة القادمة قصائد لعبد القادر الجنابي وسركون بولص ومجموعات لسعدي يوسف وانسي الحاج وتوفيق صايغ وشعراء آخرين "طبعاً لم يقدم لي أيّة مجموعة لكنه دلّني على هؤلاء الشعراء". في اليوم التالي استلمت خرقة التصوف منه وخلعت ملابسي الرسمية وخسر أهلي مشروع زواجي واعادتي اليهم الى الآن. طوال 18 سَنَة معه استطعت أن اكتشف الجوهر الحقيقي للشعر وعرفت انه لا يكمن في تلك الأصوات المشهورة والمهووسة بالمشاريع القومية والخزعبلات السياسية، وحتى الآن مازلت أعرف أن الشعر الأصيل والذي يبقى ولا يزول هو ذلك الشعر الذي يكتبه أولئك الذين ابتعدوا منذ البداية عن طلبات القطيع ومشاريع السياسين. الشعر من أصعب وأقدس الفنون التي تستطيع كشف وتعرية الوجود والموت والميلاد ولذلك نلاحظ أن المنجز الأصيل في جميع العصور قليل جداً. لا يمكن للشعر أن يكون وثيقة أو تسجيل وقائع آنية ومن هذا المنطلق نستطيع أن نعول على جلاله ومجده. أردت سنة 1987 أن أحيّي جان وصداقته من خلال الشعر، فكتبت عنه 37 قصيدة ضمتها مجموعة "ولاء الى جان دمو" وذكرت في كتابي "معرفة أساسية" أن أختي الكبرى كانت تسخر مني عندما أهرب من الخدمة العسكرية وأعيش متخفياً خوفاً من القاء القبض عليّ وتقول لي: "لماذا لا تكتب مجموعة ولاء الى الريس حتى يتم نقلك الى بغداد في دائرة التوجيه السياسي؟". كانت الصعلكة مع جان بالنسبة لي اختياراً واعياً وحراً، لأنها تمنحني فرصة أن أعيش للشعر وحده وأكرّس كل حياتي له بعيداً عن الالتزامات السياسية والاجتماعية وسواها. أردت مرَّة بعد أن تعرَّفتُ الى جان أن أشتري ديوان محمود درويش وفي الطريق الى المكتبة صادفني في شارع الرشيد فأخبرته بالأمر. اقترح عليّ أن نذهب الى غرفته المقابلة لمقهى "حسن عجمي"ويبيعني كتاب" السوريالية وتفاعلاتها العربية" لعصام محفوظ ونشرب الخمر بالثمن.

(36)

العمودُ الطّوطميّ

تظلّلُ الراياتُ والمشاعلُ في ليلِ العراق قبرَ السياب
.ولا تظللُ قبورَ الشّعراءِ الآخرين
أنحتُ اسمي في صاريةِ العمودِ الطوطميّ وأنتسبُ الى القبيلة
.تاركاً خلفي ميراثَ بلادي ومهاتراتِ أحزابها الجليلة
بعد رحلةٍ طويلةٍ تحت الأهدابِ المُصفِرةِ للرعودِ والزلازل
"بحثتُ عن النورِ العظيم للايمان في "أنشودة المطر
في "أسمال الملوك"، في لحاءِ شجرةِ الكستناء
في برق الياقوت،
ينبغي أنْ نُصغي إلى صمتِ البراكين في قلبِ الشاعر
الى تعثّر الأنهارِ وتعرجاتِها في جبينِهِ، الى نبضِ الصّخرة
على امتدادِ القانونِ الذي يزنُ رمادَ أسلافِنا وعباداتِهم
المستريحة،
جان دمو، تقدمتُنا الأخيرة
عروقُ ذهبنا القاسيةُ المنحدرةُ من أعماقِ انقساماتِنا المتصدِّعة
.بين النورِ والظلمةِ، والقبلةِ والمخلب

السويد ، 2003 ، كُتبَت بعد موت جان دمو

(37)

موت الحزب والشاعر والاشتراكيه .
كان ذلك في أواسط السبعينات، عندما كلفتني قيادة الحزب الشيوعي العراقي وهي تحتفل بالذكرى الاربعين لميلاد الحزب في 31 / 3 / 1974 لعمل حوار مع

الشاعر عبد الوهاب البياتي، وكان يو، ذاك قد جاء بغداد من القاهرة، وفي الجو ثمة ملابسات حول ما اذا كان الشاعر عبد الوهاب ما يزال على علاقة بالحزب أم ! ؟ والعلاقة التي أعنيها هنا، هي هل يقبل أن يعطي حواراً في الذكرى الاربعين أم انه ما يزال يحتفظ بمسافة عن الحزب برغم انه لم يكن يوماً ضده منهجاً أو تفكيراً، وعندما وضعنا أوليات مثل هذا الفهم أمامنا ونحن نناقش الموضوع، كان الدكتور صفاء الحافظ والاستاذ عبد الرزاق الصافي والاستاذ فخري كريم زنكَنة والمرحوم شمران الياسري أبو كاطع" مع اجراء الحوار، وهكذا كلّفت بوصفي أحد أصدقاء الشاعر بأن أجري معه حواراً مفتوحاً حول الشعر والثقافة والجبهة الوطنية والذكرى الاربعين، ودور المثقفين في العملية السياسية وآفاق الحياة الاشتراكي . كان الحزب الشيوعي علنياً في بـ داد وفي المحافظات، وله جريدته طريق الشعب" ومجلته الثقافة الجديد" والمقابلة كانت مخصصة للثقافة الجديد .
ياسين النص ر

مدن البياتي الآتيا" مقال في كتاب

عبد الوهاب البياتي في مدن العشق"

المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1995 بيروت .

(38)

هذا الموضوع تطرَّق اليه صديقنا الشاعر كمال سبتي يرحمه الله عبر مقال بعنوان "الشاعر شهيداً" نشره في موقع "الحوار المتمدّن" بتاريخ 22 / 10 / 2003 الشاعر يعشق الخليفة
.

قالَ أبو هفان: حدثت أن أبا نواس كان يشرب مع الأمين فنشط الأمين للسباحة فلبس ثياب ملحم "حرير" ولبس كوثر مثل ذلك

ووقع في البركة فنظر أبو نواس الى بدنه فرأى شيئاً لم ير مثله قط فلما كان من غد، غدوتُ لأسأله عن خبره معه فقال لي: ويلك رأيته فرأيت بلية لا توصف وفتنة لا تطاق ثم أنشأ يقول:

إنّي لصبٌّ ولا أقول بمن
أخافُ من لا يخافُ من أحدِ
إذا تفكَّرتُ في هواي لَهُ
مسستُ رأسي هل طار َعن جسدي
إني على ما ذكرتُ من فرقٍ
لآملُ أن أنالهُ بيدي.

فقلت له: اتق الله في رأسك فإنه إن بلغتهُ قتلكَ، فأمسك إنشادها وطواها عن الناس جميعاً.

المعلوم أن الشاعر كانَ يعشق الخليفة واختفى بعد هذه الحادثة، لكنّه حينَ قُتل رثاه في هذه الأبيات:

طَوى المَوتُ مابَيني وَبَينَ مُحَمَّدٍ
وَلَيسَ لِما تَطوي المَنِيَّةُ ناشِرُ
فَلا وَصلَ إِلّا عَبرَةً تَستَديمُها
أَحاديثُ نَفسٍ مالَها الدَهرَ ذاكِرُ
وَكُنتُ عَلَيهِ أَحذَرُ المَوتَ وَحدَهُ
فَلَم يَبقَ لي شَيءٌ عَلَيهِ أُحاذِرُ
لَئِن عَمَرَت دورٌ بِمَن لا أَوَدُّهُ
فَقَد عَمَرَت مِمَّن أُحِبُّ المَقابِرُ.

(39)

موظف حكومي.

في الشهر الخامس من سنة 1977 حصلتُ على وظيفة في وزارة النفط على الملاك المؤقت. غسيل السيارات وتشحيمها وتبديل الزيوت في محطات تعبئة الوقود ببغداد .عمري 17 سنة.

كانت قوانين العمل في العراق قبل استلام صدام حسين السلطة، فيها الكثير من الامتيازات المنصفة والحقوق للعمال. ألغى طاغيتنا بمرسوم جمهوري سنة 1986 الطبقة العاملة في العراق واستولى على صناديق الضمان الاجتماعي والتقاعد وكل الحقوق لتمويل حربه مع ايران. كان قانون العمل آنذاك يلزم أيّ دائرة الدائم، الموظف الذي يعمل أكثر من ووزارة أن تعيّن على الملاك 3 شهور ولا يتم الاستغناء عن خدماته. بعد أن أمضيت أكثر من 3 شهور ولم يتم اعفائي من الوظيفة. عبرتُ "جسر الشهداء" واتجهت الى دائرة العمل والضمان الاجتماعي هناك. كتبتُ عريضة معنونة الى وزير النفط حسب الاجراءات والاصول المعمول بها ودفعت الرسوم "نصف دينار". بعد شهر صدر أمر وزاري بتعييني على الملاك الدائم. في 5 / 5 / 1979 تم سوقي لاداء الخدمة العسكرية الالزامية. في 5 / 5 / 1991 تم تسريحي بعد حرب الخليج الثانية. عندما عدتُ الى وظيفتي بعد 12 سنة محبطاً ومدمّى،كان الحصار الذي فرض منذ سنتين قد بدأ يطبق على كل شيء في دوائر الصناعة والنفط والزراعة وبقية القطاعات الأخرى. محطات الوقود التي عملت فيها سابقاً شبه معطلة وتشكو النقص الكبير في قطع الغيار، وورش غسيل السيارات وتبديل الدهون تم الغائها. أدخلوني دورة سريعة للعمل في لفّ وتصليح موتورات الأجهزة الكهربائية. اجتزتها بامتحان. أمام وتيرة الحصار المتسارعة وغلاء الأسعار وتعطل الخدمات، تمت احالتي على التقاعد المبكر شأني شأن غيري. أنهيت معاملة تقاعدي ودمغوها لي بعشرات الأختام وأخذتها الى دائرة التقاعد العامة في منطقة الكرخ. هناك أخبروني أن راتبي هو 224 ديناراً. بعد التقاعد سيصبح 106 دنانير حسب قرار مجلس قيادة الثورة الأخير. يا إلهي. ثمن علبة سكاير عراقية ماركة "سومر" ب 300 ديناراً ورواتب 3 شهور تكفي فقط علبة سكاير واحدة. ما العمل مع قرار مجلس قيادة الثورة الذي أصدره صدام حسين للمتقاعدين من أمثالي؟ سحبتُ المعاملة وأودعتها لدى أمّي منذ ذلك الحين الى الآن. ذهبت سنوات شبابي سدى في حروب الطاغية، وذهبت سنوات وظيفتي الى الجحيم   .

(40)

رئيس جمهورية العراق في الفترة 1963 - 1966 العقيد عبد السلام عارف،شخص متهوّر واتسم على الدوام بمزاج وثقافة شعبية. كان يخطب في ملاعب الرياضة وسواها من الأمكنة ويقوم باطلاق الكلمات الفاحشة أو يسف جداً بالشتائم. قبل مقتله بحادث سقوط الطائرة المروحية بعام، قرَّر أن يزور مدرسة ثانوية ببغداد. ادارة المدرسة أبلغت الطلبة "مِن بينهم صديقين لي يقيمان في مدينة مالمو الآن" انهم يتوجَّب عليهم أن يرتدوا الملابس الفاخرة وأن وأن الخ. في تلك الفترة كانت العلاقات بين العراق والأردن متوترة جداً وبمناسبة ما، قام رئيس وزراء الأردن السيد وصفي التل بالسخرية من الملابس التي يرتديها الرئيس عبد السلام عارف. كان يرتدي بدلات الموهير التي يرتديها نجوم السينما في الستينيات. لمَّاعة جداً وبرَّاقة. أخونا يرتدي بدلة حمراء . بدلة خضراء. صفراء. جاء الرئيس الى المدرسة ودخل أحد الصفوف يتبعه المدير وقال المعلم "قيام" فقام الطلبة. الرئيس حيّاهم وجلس ثم قال لهم من دون مقدّمات:" سمعتوا أولادي إي يقول عني وصفي النُكَرة؟ يقول عني آني ألبس موهير. إيش ألبس، قابل ألبس كَواني"؟

رئيسنا الفطحل كان متأثراً بجمال عبد الناصر وقام بتأسيس الاتحاد الاشتراكي وألغى الأحزاب، وحتى يطبّق الاشتراكية. قام بتأميم المصارف ومعمل فتَّاح باشا الذي ينتج البطانيات والملابس ومعمل صابون كافل حسين وشركة أحذية باتا. يعني حرم الشعب العراقي من الملابس والصابون والقنادر .

(ملحق)

بيان اعتذار

أعتذر الى الشعب العراقي وخصوصاً ضحايا النظام الدكتاتوري وضحايا المقابر الجماعية، وأعتذر الى الشعراء العراقيين أيضاً عن تلك القصيدة السخيفة التي أُجبرتُ على كتابتها في عيد الميلاد المزعوم للطاغية صدام حسين في 28 / 4 / 1992 واشتراكي مُجبراً في مهرجان "الميلاد العظيم" الذي أقامه منتدى الأدباء الشباب وكان يرأسه عدنان الصائغ وبرعاية وزارة الثقافة والاعلام. كنتُ قد أوضحتُ في مناسبات عديدة وعبر مواقع معيّنة. 1 – مؤسسة "الذاكرة العراقية" 24 / 1 / 2006 . 2 – موقع "الحوار المتمدن" 6 / 2 / 2010 . ظروف كتابتي لهذه القصيدة مُجبراً ومضطراً من قبل جلاوزة النظام السابق وهم شعراء يعملون في منتدى الأدباء وفي وزارة الثقافة والاعلام ولهم حظوة عند الابن الأكبر للطاغية، عدي. من المعروف انني موجود في الوسط الثقافي منذ عام 1980 وقد بدأت حياتي الأدبية أكتب الشعر السوريالي الفكاهي ولم

أعمل في دوائر النظام الثقافية والاعلامية قط ، وكنتُ قد عملتُ غسّالاً للسيارات في وظيفة على ملاك وزارة النفط، وبقيت هذه هي وظيفتي لحين مغادرتي العراق في 14 / 12 / 1994 الى الأردن .في صحيفة "بابل" التي كان يملكها عدي صدام حسين، نشر مستشار وزير الثقافة وشاعر أم المعارك بمرسوم جمهوري رعد بندر في يوم الاثنين المصادف 30 / 12 / 1991 مقالاً تحريضياً ضدي. يتهمني فيه انني "لم يكتب قصيدة ولا أيّ شيء آخر يديم روح النصر في المعارك الخالدة بقيادة السيد الرئيس العظيم" ويطلب منّي أن "لا أستخدم لقب الناصري لا من قريب ولا من بعيد لأنه خاص بعشيرة السيد الرئيس القائد" وانني "منشغل بالغنائم وبعيداً عن خيام الوطن". كان يريد إيهام الدوائر الأمنية لنظام صدام حسين، من انني أقيم بمحافظة الناصرية وبالتالي فأنني مشترك بالانتفاضة التي قامت ضد النظام في 14 محافظة. يا إلهي، هل حقاً أن كاتب هذا المقال هو الذي سيصبح رئيساً لاتحاد الكتاب والشعراء العراقيين؟ ماذا أفعل وكاتب المقال هو نفسه الذي أصبح السكرتير الثاني لرئيس التجمع الثقافي بالعراق، عدي صدام؟

كتبت ردّاً طويلا بعنوان "جروح عميقة، تصحيحات حول مقال رعد بندر" و دفعته في البريد. نشر الرد بتاريخ 5 / كانون الثاني / 1992 ودافعت فيه حول اتهامي:"يرفض الكتابة عن الحرب بدعوى الوقت وبدعوى عدم الاستعداد" ودافعت فيه كذلك عن مجمل شعر الشباب و أوضحت أن شعرهم غير معني بمصطلحات التعبئة والحماسة وتمجيد البطولة وقلت أن :"الشعر الثمانيني يواكب التطورات الحاصلة في الحساسية الشعرية الجديدة ومازال يواصل البحث المضني عن الخارق والمطلق والجوهر الحقيقي للشعر الذي فرّطَ فيه أصحاب المواهب الضعيفة من أجل تثبيت كيانات اجتماعية لهم على حساب ثورة السيّاب التي أحرقت مشاعلها ليل الشعر العربي" وكتبت أيضاً :"ومما يلفت النظر في تجارب شعراء الثمانيينات هو أن شعرهم كثير التوّغل في المسائل الوجودية التي لها صلة في الحياة والموت والطفولة والتحول والصيرورة، عكس الشعر الآخر الذي هو مجاز جماهيري. أن الفعل الشعري عند شعراء

الثمانينات والذي بسببه يحاربه البعض ويضيّق عليه الخناق، ليس في انه قائم على رموز واشارات وايحاءات وترنيمات متداخلة، ان هذه إلاّ أشكاله وعناصره التكوينية. بل هو في اكتشاف الكوى النفسية التي ترتسم لمصائرنا ومخيلاتنا عبر الشقوق والفجوات التي نراها في العالم الواقعي المحيط بنا، ومن خلال هذه الكوى نفذ هؤلاء الشعراء الى العالم الأبدي الكامل ومنها تطلعوا الى رحاب فسيحة من الجمال الذي ينشدونه، ولئن وصل هؤلاء الشعراء الى هذه النتيجة – الجمال – فان فعلهم الابداعي هو انهم لجأوا الى جوهر الشعر وحده واتخذوا الشعر اداة تعبير عن أحلامهم المشروعة في التجريب وخرق المألوف " وكتبت أيضاً :"انني كنت جندياً و أمضيت خدمتي العسكرية البالغة 12 عاماً في جبهات القتال".

وكتبتُ في خاتمة الرد :"هنا أود القول أن رعد بندر قد أمضى سنوات خدمته العسكرية طوال سنوات الحرب حاسر الرأس في صحيفة القادسية وكان ينعم بمغانم السفر والايفادات الى خارج العراق، وكان يشعر بالراحة والطمأنينة في شقّته الفخمة ذات الاثاث الفاخر في شارع حيفا. أخيراً، آملُ أن لا أحسب على جمعية الشحاذين بسبب اعترافاتي التي اضطررت الى البوح بها مجبراً. حمداً لله أنا سعيد الآن وصحتي أكثر من جيدة وعندي وظيفة وغير محتاج الى أيّ شيء".

عام 1986 قدّمت الى مدير دائرة التأليف والنشر في دائرة الشؤون الثقافية رباعية شعرية عنوانها "جهشات" من أجل النشر وذهبت في يوم ما الى مكتب المدير لأستفسر هل أحال الكتاب الى رقيب ممن يعملون في دائرة الشؤون الثقافية؟ أخبرني بعض الأصدقاء الأدباء ممن يعملون في هذه الدائرة أن الكتاب قد أُلقي في برميل للنفاية. قلتُ لنفسي حسناً، سأنشر قصائدي بطريقتي الخاصة أعددت الرباعية وكتبتها بخط اليد بعد أن اشتريت "حبر صيني أسود" وذهبت الى مكتب استنساخ وتصوير بالدفلوب في منطقة الوزيرية. دفعت راتبي الشهري كلّه واستلمت 50 نسخة وزّعتها على أصدقائي الشعراء والكتّاب والنقاد داخل العراق وخارجه. الكثير منّا يتذكّر "منتدى الأدباء الشباب" واقامته لذلك المهرجان الذي خصّص لتمجيد صدام في

عيد ميلاده، ولو عدنا الآن الى صحف النظام الصادرة قبل اسبوع مِن هذا التاريخ. سنجد أن المنتدى قد وجَّه الدعوات الى الشعراء المشاركين في هذا العرس التهريجي وراح ينشر الأسماء وهي 25 اسماً بين يوم وآخر ولم يكن اسمي مِن بين هذه الأسماء ولم توجّه لي الدعوة بسبب موقفي الذي يعرفه رئيس المنتدى عدنان الصائغ، وكنتُ مطمئن البال لكوني بعيداً عن "عرس الواوية"، لكن في الليلة التي سبقت المهرجان تمَّت الوشاية بي مِن قبل جلاوزة النظام الى وزير الثقافة والاعلام حامد يوسف حمادي الذي كان يشغل منصب سكرتير صدام حسين للشؤون الأمنية منذ سنة 1979 ، انني أرفض المشاركة في "عيد ميلاد الرئيس القائد" وسألهم الوزير:" هل لدى نصيف الناصري موقف ضدّ السيد الرئيس؟" أبلغوني ما قاله الوزير أولئك الذين وشوا بي. ماذا أفعل؟ لماذا يقيم عدنان الصائغ هذا المهرجان؟ صدرت له مجموعة بعد المهرجان مباشرة ضمن سلسلة "كسر الحصار الثقافي" بعنوان "غيمة الصمغ" ممهورة بكلمة:" طُبعت على نفقة الاستاذ الفاضل عدي صدام حسين".
كتبتُ قصيدة نثر تافهة في نفس الليلة وأبلغتهم موافقتي على المشاركة في عيد ميلاد صدام وبدأتها بمقطع مِن قصيدة لمحمود درويش:

صدام يا نجمتنا الأخيرة
يا خيمتنا الأخيرة.
وأضفت لَها مقطعاً مِن كتاب هتلر "كفاحي"

"**الأمَّة العظيمة لا تنجب قادة عظماء إلاَّ**
في الأيَّام المباركة".

كانت قصيدة تندّر أكثر مما هي قصيدة مديح.

أود أن أكرّر اعتذاري بأسف شديد الى الشعب العراقي والى

الشعراء العراقيين، على كتابتي لقصيدتي السخيفة واشتراكي بمهرجان "الميلاد العظيم" الذي أُجبرت فيه على هذا الفعل المشين من قبل جلاوزة النظام الدكتاتوري، وآملُ أن أكون قد أوضحت تلك الظروف التي رافقت هذه الكارثة التي تشعرني بالعار.

تحية الى ضحايا وشهداء النظام الدكتاتوري
تحية الى كلّ الشعب العراقي
تحية الى أصدقائي الشعراء العراقيين.

المحتوى

.صدرت لنصيف الناصري عن دار مخطوطات الكتب التالية
الأعمال الشعريية بمجلدين.1 -
إرث الأرتال التي تندثر بلا أمل. 2 -
.معرفة أساسية "سيرة". الحرب. الموت. الحبّ. الشِعر - 3
الثلاثية الأولى. 1 - في انشاده لموته 2 - الموتى بوفرتهم - 4
.وغيابهم. 3 - الأحياء والموتى
الثلاثية الثانية. 1 - تعلّقاً بما يفرط في الرغبة 2 - رمي - 5
الحصباء على النجوم. 3 - تجميل التوابيت. 6 – الثلاثية الثالثة. 1
– جمع الثمار. 2 – التذمّر من المدينة الشغوفة بالطوفان. 3 –
.ملاقاة الذين توافدوا لسلب الغرقى
الرباعية الأولى. 1 - الحدود الجنائزية للزمن 2 - دفع الديِّة 3 - 7
.-حواجز وك نايات4 - مناحاتهم على الغرقى
الرباعية الثانية. 1 – العيش في المتاهة. 2 – أحقيّتنا في – 8
الخلود. 3 – الغرق في الخلاء. 4 – تطويقهم لشِباك الصيد في
.الظهيرة

2016

